

كتابي



الخطاة

سو مرست موم



المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بدمشق - سورية

عالمى مراد



الخاطئة

THE PAINTED VEIL

تأليف : سيمورا ست هوم

- ١ -

● أطلقت صيحة مرتاعة ، فسألها : « ماذا جرى ؟ » .

ورغم الظلام الذى ساد الغرفة ، بسبب إغلاق المصاريع الخشبية لنوافذها ، فإنه استطاع أن يرى وجهها وقد استبد به الذعر فجأة .. وقالت : « لقد حاول شخص ما أن يفتح الباب ؟! » .

— لعلها الوصيفة .. أو أحد الخدم ؟

— إنهم قط لا يأتون فى مثل هذا الوقت ، فهم يعرفون أننى أنام بعد الظهر ..

— إذن فمن يكون غيرهم ؟

فهمست وشفثاها ترتجفان : « وولتر ! » .

وأشارت لصاحبها إلى حذاءيه ، فحاول أن يلبسهما ، لكن انفعاله لم يمكنه ، إذ أصابه جزعها باضطراب ، فضلا عن أن الحذاءين كانا ضيقين .. فدفعت إليه بـ « اللبيسة » وهى ترسل زفرة خافتة تعبر عن نقاد الصبر .. وغيبت جسدها فى « روب » ثم سارت حافية القدمين إلى مائدة الزينة .. كان شعرها قد تهدل ، فأصلحت من وضعه بمشط قبل أن يفرغ هو من عقد رباط حذاءه ، ثم ناولته سترته .. فقال : — كيف أخرج ؟

— يحسن أن تتريث ربثا أطل وأطمئن .

— ما أظنه « وولتر » على أى حال ، فهو لا يبرح المعمل قبل

الخامسة ..

— إذن فمن يكون ؟

وكانا يتحدثان في هس .. وأرجى إليه جزاءها بأنها قبية بأن فقد جلدنا في الطوارئ ، فليس يحق مازاً يتولاها .. لم أباته — بحق الشيطان — بأن ألبس آمن ، إذا لم يكن كذلك ؟

وأسكت بأنفسها ، وألفت راحتها على دراجه ، فتبع نظرتها .. كانا يقفان في مواجهة الأبواب المؤدية إلى الشرفة ، وقد أخلقت مضاربها وأحكم وتاجها .. ورأيا الأكرة الخفيفة البيضاء تتحرك في بطنه .. ولم يكونا قد سمعا أحداً يسير في الشرفة ، فكان من المرغَّب أن يشهدا هذه الحركة الصامتة !

ومرت دقيقة ولا يسمعا صوتاً .. ثم .. وبغس الطريقة المسترفة ، الصامتة ، الشيرة للفرح ، رأيا الأكرة الخفيفة البيضاء للباب الثاني تتحرك ، وكأنها مسبوقة قوة خفية غير طبيعية .. وكان الأمر بائناً للذعر ، حتى أن أعصاب « كيتي » تداخت ، فطقت قلها بهم بأن تصرخ ، لولا أنه رأى ما كانت موشكة عليه ، فوضع يده على فيها في سرعة وخفة ، فخنقا سرخها بين أصابعه ..

وماد الصمت .. واستندت إليه وركبتها ترتجفان ، فحنى أن تفقد رشدها .. وحلها — وهو عابس يصير على أسنانه — إلى فراشها فأجلسها عليه .. وكان وجهها في شعوب الموتى .. وهل الرغم من صبرته هو ، فإن الشحوب تبدى على وجهه هو الآخر .. ووقفت

إلى جوارها ينظر إلى الأكرة الخفيفة كالسلوب .. وقد لاذ كلاهما بالصمت .. ثم تبين أنها كانت تبكي ، فهس في انفعال :

— لا تبكي باقة .. إذا لم يكن ثمة بد ، فلتواجه الأمر .. ولتلتزم برابطة الجلس ..

وتفتت حولها كمن تبحث عن شيء ، فأدرك أنها تبغي متبيلها ، وتولها حقيبتها ..

وسأله : « أين قبعتك ؟ »

— تركتها في الطابق الأسفل ..

— أواه .. يا ألي ..

— خلا تالكت نفسك .. من المؤكد أنه لم يكن .. ووالتر .. ، فما الذي يدعوه إلى العودة في مثل هذه الساعة ؟ .. أحبه لا يأتي قط إلى البيت في منتصف النهار .. أم تزنيه يفعل ؟

— أبداً ..

— أراعتك بأي شيء ، يحلو لك أن الخادم هي التي تحرك الأكرة .. فتجاهلت لترسم شبح ابتسامة على شفتيها ، وقد يث صوتها الخنون المغمى بالأحاسيس ، الطمأنينة إلى نفسها .. وأسكت يده وأخذت تخطتها في وجد ، فتركها لحقة كمن تتسرد جاشها ، ثم قال :

« اصبري .. إننا لا نستطيع البقاء هنا إلى الأبد .. هل تحبين بالجماعة الكثيفة لأن تخرجين إلى الشرفة وتلقي نظرة ؟ »

— ما أراي أقوى على الوقوف ..

— هل لديك هنا أي نوع من الخمر ؟

فهزت رأسها بالنفي .. ونام على وجهه العروس لحقة وقد أخذ صبره يزيد ، إذ لم يكن يرى ما ينبغي له أن يفعل .. وفجأة ، اشتدت قبضتها على يده ونساءت : « حب أنه ينتظر هناك ؟ »

فأغضب ابتسامة ، ورد إلى صوت تيرته الرقيقة المشجعة التي كان موقفاً من مدفوعها ، وقال :

— ليس هذا بفعل .. تشجعي قليلاً يا كيتي .. كيف يحصل أن يكون زواجك ؟ .. لو أنه جاء ورأى قبة غريبة في الرعدة ، وصعد السلم فوجد غرفة مغلقة ، لأخبرت شيئاً من الضجة بالأكيد .. لابد أنه كان أحد الخدم .. فليس يتقن تحريك الأكرة بهذه الطريقة سوى الصبيان ..

واستردت شغليتها ، وقالت : « ليس المرفق مستحياً على أي حال » حتى لو كانت صاحبة الحركة هي الوصفة ..

— من الممكن تأنيها ، ولو دعت الضرورة في وسمي أن أرها .. فمع أن منسبي المحكوم لا يكفل كثيراً من الميزات ، إلا أنه على كل حال يمكنني من أن أسئله قدر الإمكان ..

ورأت أنه ولا بد على حق ، فهبت ، وفتت نحوه بأسطة دراعها ، فتناولها في أحضانها وطبع على شفتيها قبلة ، أحتست لها لذة قربة إلى درجة الإيلام .. فقلقت كانت بعيدة ! — ثم أظفها من دراعيه فطعت إلى باب الشرفة ، ففتت إلى الأمام ثم رجعت إلى العنبر الخشبي ..

وأطلت : « .. ولكن ، لم يكن ثمة مخلوق .. فأنشأت إلى الشرفة وأطلت داخل غرفة زوجها ، ثم داخل غرفة الجلوس الملحقة بمعدنها ، فإذا الطرفان غائبان .. وعادت إلى الطبخ فأشارت له قائلة : « لا أحد هناك ! »

— اعتقد أن الأمر كله كان نوعاً من خداع البصر ..

— لا تضحك ، فقد ذعرت مثل .. أذهب إلى غرفة الجلوس وانتظري ، وأنا أرتدي جواربي وحذائي ..

— ٢ —

● وفصل ما سألته ، ولم تنقص خمس دقائق حتى لحقت به .. وكان يدخن سيجارة ، فسأله : « تبشني .. هل أستطيع أن أسخطي بشيء من البراندي والصودا ؟ »

— أجل ، سأدق الجرس ..

وارتضا في صمت ريثما أتى الخادم فأصعدت إليه الأمر ، ثم قالت لصاحبا : « اتصل تليفونياً بالمعمل وسأل عما إذا كان ووالتر هناك .. فإنهم لا يعرفون صونك ! »

ووقع « الساعة » فطلب الرقم وسأل عما إذا كان الدكتور « فين » هناك ، ثم ورد الباعة وقال لها : « لم يكن هناك منك الظهيرة .. مثل الخادم عما إذا كان قد حضر إلى هنا ..

— يحيل إلى أنني سوف أبدو في وضع غريب لو أنه كان هنا ولم أوه ..

وأحضر الخادم الشراب ، فولى « تاونسند » حبه في الكأسين ، وقدم لما إحداهما ، فهرت وأمسأ وتماثلت : « وماذا يكون العمل لو أنه كان وولتر ؟ »

— لعله لا يحفل بالأمر ..

فهضمت منكوبة : « وولتر ؟ »

— لقد خطر لي دائماً أنه حيول .. وإنك لتعفين أن من الرجال من لا يتقنون على احتيال مثل هذه المواقف ، وإن له من الإحراش ما يمكنه من أن يعرف أنه لن ينجي شيئاً من إثارة فضيحة .. لا أصدق حقيقة واحدة أنه كان وولتر ، وحتى لو أنه كان ، فاعتقدين أنه لن يفعل شيئاً ، وما أرى إلا أنه سيتجاهل الأمر ..

فكفرت لحظة وقالت : « إنه مفلت في هوائي »

— وهذا خير وأفضل ، فلي تلبّي أن توترى عليه .

ولولاه تلك الإهانة الساحرة التي اعتادها ، والتي وجدت دائماً أن ليس في وسعها أن تقاومها .. ابتسمت ببطء كانت تبدأ في عينيته الزرقاوين الصافيتين ، ثم تنتشر وريداً وبندوجات ملحوظة إلى فم الجميل ، حيث تكشف عن أسنانه البيضاء المنسقة .. كانت ابتسامة غائبة نذير قلبها ..

وقالت في فورة من النبرة : « لست أحفل كثيراً ، فقد كانت المغامرة تستحق .. »

— كان اللذب قتي ..

— لماذا جئت ؟ ولقد دهشت إذ رأيك ..

— لم أستطع أن أقولم ..

— يا لك من غال حبيب ؟

ومالت نحو قبيلها وبمناها اللامعتان السوداوان تحقان في عينيته في وجد ، وقد انزعجت شفتاه قبيل في الشبهاء ، فأحاطها بترابعيه .. وأسلمت نفسها إلى حماها وهي تتهدق في نشوة .. فقال :

— إنك لتعلمين أن يومك أن تركني إلى دائماً ..

— إنني جيد سعيدة بك .. وبودي لو أستطيع أن أسعدك كما تستحق ..

— ألم تودى خلافة ؟

فأجابت : « إنني أكره وولتر »

ولم يدريم يعلق على هذا ، فقبلها .. وأحسن بوجهها دائماً وهو يلتصق بوجهه .. وأسلك برسها الذي كان عوطاً بساعة ذعية صغيرة ، فقرأ الوقت .. ثم قال : « أتدوين ما الذي يجب أن أفعله الآن ؟ »

قالت مبتسمة : « ألتصحب ؟ »

وإذ عز رأسه بالإيجاب ، ازدادت تشنأه لحظة ، لكنها أخت برغته في الانصراف ، فأطقت قائلة : « إن الطريقة التي تهمل بها تلك ممية .. هيا فانصرف ! »

ولم يكن يقوى على إلقاء الغزل ، فقال في مداعبة : « كأتى لك تصحليان الخلاص مني »

— إنك لتعلم أنني أكره أن أدعك تنصرف ..

وكان جوابها خافتاً ، عبقاً ، جاداً ، فأطلق ضحكة مغرية ، وقال : « لا تنسني رأسك الجميل الصغير بالفكر في زائرنا الغامض ، فإني واثق من أنه كان الخادم .. ولو حدثت أية متاعب فإني كليل بانتشالك منها ! »

— أو لديك خبرة واسعة ؟

وابتسم في عجب ولطف وقال : « لا ، ولكنني أعترف لنفسى بأنني أوتيت رأساً يعرف كيف يفكر »

— ٣ —

● خرجت إلى الشرفة ترفيه وهو يبرح الباب .. ولوح بيده لها .. كان النظر إليه يبعث في نفسها متعة جاوة .. فبرغم أنه كان في الحادية والأربعين ، فقد أوتى قواماً وشيقاً وخطوة متوثبة كالصبي ! وكانت الشرفة ظليلة ، فنباطات متكاسلة وقد غمر قلبها الحب .. كان البيت يقوم في « الوادي السعيد » على سفح التل ، إذ لم تكن وزوجها يملكان ما يمكنهما من سكني الحى الرائق القائم فوق ذروة التل ، لارتفاع نفقات الإقامة فيه .. ولم يكن يكره بصرها الشارد يطوف بالبحر الأزرق ، وبحركة السفن التي كانت الميناء تمتع بها .. حتى عادت من جديد تفكر في حبيبها .. كان من الغباء حقاً أن يتصرفا كما فعلا في ذلك الأصيل ، ولكن .. أتى لها الحكمة والحجى إذا كان حبيبها ينشداه ؟ .. لقد جاء مرتين أو ثلاثاً في فترة ما بعد الظهر ،

حين لا يفكر أحد في أن يتحرك لفرط القبط ، ومن ثم لم يره أحد — حتى الخدم — في غلوه أو رواحه .. وفيها عدا هذه المرات كان التقاؤها في (هونج كونج) صبراً للغاية .. كانت تكره المدينة الصينية ، ويتولاها الانفعال إذا ما ذهب إلى ذلك المنزل الصغير القفر القائم في طريق فيكتوريا ، حيث اعتادا أن يلتقيا من قبل .. وكان المنزل ملكاً لأحد تجار التحف والعدايات ، فكان الصينيون الذين يجلسون حوله ينظرون إليها بنظرات لا تروح إليها نفسها ، كما كانت تمثت تلك الانتماسة المتسلطة التي كانت ترسم على وجه صاحب المحل المسن وهو يقودها إلى مؤخرة المتجر ، فإلى درجات سلم مظلم .. ثم يصعد بها إلى غرفة مشتعلة ، كان السرير الخشبي الكبير القائم فيها لصق الحائط يبعث التشعيرة في جسدها !

وقد قالت لتشارلي في أول مرة قابلته فيها هناك : « هذا مكان حقير إلى درجة تثير الازمتر .. » أليس كذلك ؟ .. فأجابها : « لقد كان كذلك حتى أتيت أنت إلىه »

ومن الطبيعي أنها نسبت كل شيء في اللحظة التي احتضنها فيها بين ذراعيه !

أواه ! .. ما كان أبغض موقفها ! .. فهي ليست حرة .. بل إنه هو بدوره لم يكن حراً .. ولم تكن زوجته تروق في عينيها ! .. واستقرت أفكارها لحظة على تلك الزوجة « دوروثي تاونسند » .. ما كان أنعم أن تسمى « دوروثي » ! .. كان اسماً يمين عن من حاملته ،

ولقد كانت في الثامنة والثلاثين على الأقل ، بيد أن تشارلي لم يتحدث قط عنها .. لابد أنه لم يكن يخل بها ، وأنها كانت تثير في نفسه البرم والملل .. لكنه كان رجلاً مهذباً .. وابستمت كيتي في وجد وتغرية .. هكذا كان .. ! قد ينحون زوجته ، ولكنه قط لا يسمح لكلمة تشيها أن تغد من بين شفتيه .. ولقد كانت « دوروثي » تعد بين طويلات القائمة .. كانت أطول من كيتي .. لا بالسمنية ولا بالنحيلة .. ذات شعر بني فاتح .. ولم يكن لها من الملاحه سوى ما يرضيه الشباب .. كانت قسماها مقبولة ، لكنها ليست بالتي تستلفت النظر .. وكانت عيناها الزرقاوان باردتين .. كما كانت لها بشرة لا تستطيع أن تنظر إليها مرتين لفرط بياضها ، ووجنتان لاحرة فيهما .. أما ألتها فكانت تليق بمركزها .. كروجة لمساعد مندوب وزارة المستعمرات - أي الحاكم - في هونج كونج !

وابستمت كيتي وهي تتر كفتها في حركة خفيفة .. إن أحداً لا يمكن أن ينكر بطبيعة الحال أن للدوروثي ناونسد صوراً يعث البهجة في النفس .. وكان تشارلي يقول عنها دائماً إنها أم رائعة .. كانت من ذلك الصنف الذي اعتادت أم كيتي أن تصفه به « المرأة المهذبة » .. ومع ذلك فإن كيتي لم تشعر بميل نحوها .. لم تحب سلوكها المصطنع ، إذ كان الأدب الذي تملك به إذا زورها لتناول الشاي أو العشاء ، من النوع الذي تضيق به ، لأنه لا يملك في ريب من قلة ماتوليك من اهتمام ! .. والواقع ، كما خيل لكيتي ، إنها لم تكن تحصل بشيء عدا أولادها

- الذين كان اثنان منهما يدورسان في إنجلترا ، بينما كان الثالث مايزال في السادسة من عمره ، وكانت ترمع اصطحابه إلى إنجلترا في العام التالي - ثم إن وجهها كان قناعاً لا يشع عما في نفسها .. كانت تقسم وتحدث بأدبها المعهود عن كل ما يرقب منها أن تتناول له بالحديث ، لكنها برغم كل حفاوتها كانت تتيقك بمنأى عنها ، فلا تكاد تطمن إلى حظوة لديها .. ومن ثم لم يكن لها في المستعمرة من صديقات حيات غير قلة كن يعجبن بها الإعجاب كله !

وكانت كيتي لا تخفئ تسائل نفسها عما إذا كانت مسرنا ونسند قد اعتبرتها من طبقه لم ترق بعد إلى طبقها ؟ .. وتضرج وجه كيتي .. لم يكن ثمة داع - على أية حال - لأن تدعى ما ليس لها .. صحيح أن والد دوروثي كان حاكماً لإحدى المستعمرات ، وكان هذا يقضي عليه العظمة طيلة مدة بقائه في المنصب ، بحيث كان الجميع ينهضون واقفين لإجلاله له إذا دخل قاعة ما ، والرجال يرففون قبعاتهم تحية له إذا مر بهم في سيارته .. ولكن ، ما أنه مقام يحكم المستعمرات إذا ما أحيوا إلى المعاش ! .. ومن ثم فقد عاش والد مسرنا ونسند بعد إحالته إلى المعاش في دار صغيرة بمجه (إيرلز كورت) .. ولعل والدة كيتي كانت لتجد غضاضة في أن تدبه لزيارته ، لو سألتها ألتها أن تفعل .. سبياً وقد كان زوجها « برنارد جارستن » - والد كيتي - من حملة وسام الحمام بدرجة « كومودور » ، ولم يكن ثمة

ما يحول دون أن يعين يوماً قاضياً .. ثم إن الأسرة كانت تعيش في حي « ساوث كنسجتون » الرافق ، على أية حال !

- ٤ -

● ولقد كان قاضياً على نفس كيتي حين وفدت على هونج كونج عقب زواجها ، أن تجد نفسها مضطرة إلى أن ترضى الواقع الذي تمثل في أن مكانتها الاجتماعية كانت مرتبطة بمنصب زوجها .. صحيح أن كل فرد كان يبدى لها عطفاً كريماً ، وأنها قضت شهرين أو ثلاثة وهما يحضرا الحفلات في كل ليلة تقريباً ، وعندما دعيا إلى العشاء في دار الحكومة ، أترها الحاكم برعايته بوصفها عروساً .. لكنها سرعان ما أدركت أنها - كروجة ليكرولوجي الحكومة - ليست ذات مكانة متمازة .. الأمر الذي أثار حقها ، فقالت لزوجها : « هذا إسفاف في السخف .. لا يكاد يكون بين القوم هنا من يستحق أن يعنى المرء به خمس دقائق لو أننا كنا في وطننا .. وما كانت أوى لتفكر في أن تدعو أياً منهم للعشاء في دارنا .. فأجابها زوجها بقوله : « لا تهتم بذلك ، فهي مسألة لا قيمة لها كما تعريق .. »

- حقاً إنها مسألة تافهة ، ولا تم إلا عن مدى غيبتهم .. ولكن من السخرية حقاً أن نعامل هنا كما لو كنا من الأوشاب ، لاسياً إذا فكرت في مكانة أولئك الذين اعتادوا أن يترددوا على دارنا في الوطن .. فقال مبتسماً : « ليس لرجل العلم وجود ، من وجهة النظر الاجتماعية » .

ولقد أدركت ذلك الآن ، لكنها لم تكن تدركه حين تزوجت منه .. فقالت وهي تفضح لك لا يبدو فيها قائله شيء من الادعاء والغرور : « ما أراي أسر على أية حال لو دعاني وكيل إحدى الشركات هنا إلى تناول العشاء » .

ولعل الزوج أحس بالحسرة الكامنة خلف ما تظاهرت به كيتي من عدم اكتراث ، فقد تناول بعدها فضضتها في خجل وقال : « لشد ما أنا آسف يا عزيزتي كيتي ، ولكن لا تدعى هذا بعكر عليك صفوكه .. - بالطبع .. لن أدعه !

- ٥ -

● لا .. لم يكن من المعقول أن يكون « وولتر » هو الذي حرك مقابض الأبواب بعد ظهر ذلك اليوم .. لابد أنه كان أحد الخدم ، وما كانت ثمة قيمة لذلك ، فإن الخدم الصينيين يعرفون كل شيء عن علاقتنا بتشارلي على كل حال ، ولكنهم يسكرون السنتهم ! وفازدادت خفقات قلبها إسراراً إذ تذكرت كيف كانت الأكررة الخزفية البيضاء تتحرك على مهل .. لا يلبثي لها أن يقدم مرة أخرى على هذه المخاطرة .. كان الذهاب إلى متجر التحف خيراً وأفضل ، كما فاكنا ليسوا أي شخص يراها تدخل ذلك المتجر أي هاجس ، كما أنهم كانا هناك بمأمن تام ، إذ كان صاحب المتجر يعرف تشارلي ومركزه .. ولم يكن من الحق بحيث يؤلب على نفسه مساعد الحاكم .. ثم ما الذي كان يهبطها ، اللهم إلا أن تشارلي كان يحبها !

ونحولت عن الشرفة عائداً إلى غرفة الجلوس ، فأثقت بنفسها على الأريكة ، ومدت يدها لتناول سيجارة ، فلمحت وريده على أحد الكتب .. وبسطها فإذا هي مكتوبة بالقلم الرصاص بخط إحدى صديقاتها :

« عزيزتي كيتي : هاهنا الكتاب الذي كنت تريدن . كنت على وشك إرساله حين قابلت الدكتور حين قال إنه سيحمله إليك بنفسه إذ كان ماراً بالمتزلز - ف. ه. »
ودقت الجرس . فلما وافاها الخادم سألت عن أحضر الكتاب ، ومتى ، فأجاب : « أحضره السيد ياسيدتي - بعد الظهر » .

إذن ، كان « وولتر » هو الذي حرك مقبض البابين .. وانصلت تليفونيا لقورها بتكلم الخادم وسألت عن تشارلي ، ثم أقفست إليه بما علمت .. وسادت فترة صمت قبل أن يجيب .. فسألته : « ماذا أفعل ؟ » .

— إنني الآن في اجتماع هام ، وأخشى أن لا أستطيع الحديث معك الآن .. وتصحني إليك أن تثنئي وتجلسي ..

وأعادت السابعة إلى مكانها . وقد أتركت أنه لم يكن وحيداً ، بما أثارها ضد عمله .. فجلست وأسندت رأسها إلى يديها وأخذت تمن التفكير في الموقف : كان من الطبيعي أن لا يكون « وولتر » قد ظن شيئاً اللهم إلا أنها كانت نائمة ، وفي هذه الحالة كان منطقياً أن توصد باب مخدعها أثناء نومها .. وخاولت أن تذكر هل كانت « تشارلي »

المضي في الإنكار ، فلما لن تتووع عن أن تلقى بالحقيقة في وجهه ، وليلعل ما يحول !

— ٦ —

● لم تكن قد اقتضت شهور ثلاثة على زواج كيتي ، حين تبينت أنها أعطت .. ولكنها كانت غلظة أمها أكثر مما هي غلظتها ..

وكانت في الغرفة صورة لأبها ، فوقعت نظرات كيتي المتعمدة بالضيء عليها .. لم تكن تدري لم احتفظ بها ، فهي لم تكن مشغوفة بأبها .. وكانت في المنزل صورة لأبيها أيضاً ، ولكن هذه كانت فوق المزق في الطابق الأسفل ، وكانت قد انقطعت له حين عين في المجلس الاستشاري الملك ، فكانت تنله وهو بالشمع المستعار والعبادة .. ولكن هنئين لم يقلعا في إضفاء الهالة عليه ، فقد كان ضئيل الجسم ، ذا عينين كليلتين ، وشفة عليا طويلة ، ولم رقيق ، ولعل المصور كان طيباً فسأله أن يبدو بشوشاً ، لكنه لم يفعل إلا أن يبدو صارم الطمة .. وقد كان ذلك هو السبب الذي جعل « مزر جارستين » تختار هذه الصورة من بين « البروقات » العديدة ، ظناً منها أنها لتبدي في هيئة القضاة ، إذ كان ركناً له مثنويين في العادة إلى أسفل ، وعباءة كيتيين ، مما كان يضئ عليه وجوهاً وقورا .. أما صورتها هي ، فكانت تظهرها في الثوب الذي حضرت فيه حفلة الاستقبال في البلاط الملكي حين نصب زوجها مستشاراً للملك .. وكانت تبدو ضخمة في الثوب المخمل ، وقد نسق ذيله الطويل ليزيد

بتكلم حين تحركت الأكر ٢ .. كان من المؤكد أنها لم يتكلم بصوت مرتفع .. ولكن ، كانت القبة هناك .. وفي الواقع كان من الجنون أن يتركها ، تشارلي في « ردة الطابق الأسفل » .. غير أنه لم تكن تمة جدوى من لومه على ذلك ، إذ كان هذا التصرف منه طبيعياً .. ولم يكن هناك ما يوحى بأن « وولتر » قد لاحظها ، فمن المحتمل أنه كان في عجلة فترك الكتاب والرسالة عليه ، وهو في طريقه إلى موعد يرتبط بعمله :: ولكن الغريب في الأمر في هذه الحالة أن يكون قد حاول فتح باب الخدم ، ثم باق الشرفة .. وإن يكن أغلب الظن أنه إذ فعل ، ولم تفتح الباب ، ظناً نائمة لم يشأ إزعاجها .. فعلم إذن كل هذه المواجهات الخفية !

وهزت نفسها لتفكر من هو أجسبا .. ومرة أخرى حاولها ذلك الأثم المستعبد الذي أحسته في مؤادها حين فكرت في « تشارلي » .. كانت مدة اللقاء تستحق المظاهرة ! .. ولقد قال إنه سيقف إلى جوارها لو أن الأمور تطورت إلى أسوأ درجاتها .. إذن ، فليتر « وولتر » ضجة إن شاء ، فإذا يهبها ما دام تشارلي معها ؟ .. بل لعل من الخير لوولتر أن يعرف ، فما أكثرت يوماً به .. وقد كان يشبهها وبغضها — منذ أحببت تشارلي تالوتست — أن تتصلع لعناق زوجها ٢ .. كانت ترجو أن تنقطع الصلات بينها وبينه .. ولم تكن تفتنى أن تبث عليها أية غشاية ، فما كانت ترى له أي سبيل إلى ذلك . ولو حدث أنه اتهمها لكان في وجعها أن تذكر .. وإذا بلغ السيل الزوى ، ولم يعد في وسعها

من رواء مظهرها ، بينما تبث بعض الریش في شعرها ، وأسكت يزهرور في يدها .. وكانت الأم امرأة في الخمسين ، معتدلة القامة ، ذات صدر منبسط ، ووجنتين برزت عظامهما ، وأنف كبير معتدل .. وكان لها شعر أسود كثيف مفرط النعومة ، طالما ارتابت كيتي في أن يد الصانع علمت على نجمله ، ما لم يكن مصبوعاً .. وكانت أبرز ما فيها عيناها بديعتا السواد ، لا شفران قط ، إذ كان يأخذك وأنت تتحدث إليها أن ترى تلك العينين لا تهدأ وسط وجهها الشاحب بل تنقل نظرتهما من جزء منك إلى آخر ، ثم تنقل إلى الأشخاص الآخرين في الغرفة ، ولا تلبث أن ترد إليك ، فتشعر بأنها تنفذك ، وتبر غرورك ، وهي في الوقت ذاته ترقب كل ما يجري حولها .. كما تشعر بأن لاعلاقة لفكرها بالكلمات التي تقولها ! ..

— ٧ —

● كانت مزر جارستين امرأة صعبة المراس ، متسلطة ، طموحاً شجبة .. غبية .. كانت إحدى بنات خمس رؤوف من عام في ليفربول .. وقد التقى بها « برنارد جارستين » حين كان عضواً في الدائرة القضائية الشالية ، وكان إذ ذاك يبدو شاباً ذا مستقبل ، قال عنه أبوها إنه لن يلبث أن يرقى سلم التقدم .. ولكنه لم يرق .. كان مجداً ، عاملاً ، قديراً ، لكنه لم يزل الإرادة التي تمكنه أن يقدم .. فكانت جارستين تزدره ، بيد أنها كانت تترك — في مراوة — أن لاسيل لها إلى التناجح إلا عن طريقه ، فوطدت للزم على أن تنضمه إلى حيث كانت تتردد

أن تصل ، وراحت تضايقه في غير ما رحمة ، إذا اكتشفت أنها إذا أرادت منه أن يفعل شيئاً تستفكه إحساناته ، فليس عليها سوى أن توسع مضايقة ، فلا يلبث إذا ما أرقى أن يستسلم لإرادتها .. وشرعت من ناحيتها تقترب إلى من يكون لم نفع من الناس ، فتسلق الوكلاء القانونيين ليحبوا قضايائهم على زوجها ، وتنترب إلى زوجاتهم .. وتلين جانبها للقضاة ونسائهم ... وتبدى الإكثار للسياسيين الذين يرتقب لهم مستقبل ... إلخ .

وهكذا ، خلال خمس وعشرين سنة ، لم تدع مسز جارسين أحداً لتناول العشاء في دارها ، عن مودة أو محبة خالصة .. كانت تقيم ولأم عشاء كبيرة في قترات متظلمة ، ولكن الشح كان لا يقل عن الطموح في أخلاقها .. كانت تكره إلقاء المال .. وكانت تزهو بأنها تستطيع أن تظهر كثير ما تظهر أية سيدة أخرى ، بنصف النفقات اللازمة ! .. وكانت مآذبا حافلة ، متقنة الإعداد ، ولكن الاقتصاد كان يشيع فيها .. فلما كانت لتصدق أن الناس يفتنون إلى أي نوع من الشراب هم يشربون أثناء انصرافهم إلى الأكل أو الحديث .. وكانت تلف زباجة الشراب المتوسط الجودة في فوطة وهي معتقدة أن الضيوف سيأخذونها على أنها « شابايا » !

وكان زوجها رنارد جارسين « على قدر لا بأس به من المعرفة ، ولكنه لم يؤت تجربة أو خبرة واسعة » فلم يلبث الرجال الذين كانوا متخلفين عنه ، أن سبقوه ! .. ولقد دفعت مسز جارسين إلى أن ترشح

نفسه للبرلمان ، وتجعل الحزب تفقات الحملة الانتخابية ، غير أن تفكيرها عرف طموحها في هذا الميدان أيضاً ، لأنها لم تقو على أن تقنع نفسها بإيقاع ما يمكن لكسب الدائرة .. وكانت التبرعات التي قدمت باسم رنارد جارسين للهيئات التي لا حصر لها ، والتي يرتقب من المرشح أن يتبرع لها ، أقل مما ينبغي بقسوة بسيطة ، ومن ثم فقد هزم .. وتقبلت مسز جارسين الخيبة بجلد ، وإن كانت قد تحت لو أنها أصبحت زوجة عضو برلماني .. على أن ترشيع زوجها قد عرفها بعدد من الأشخاص المبرزين ، فأقبلت على كسب ودعم وضمهم إلى مدعويها في المقادير .. كانت تعرف أن رنارد ما كان ليرزق على النواب ، وإنما أرادته أن يسجل لنفسه على حزبه فضلاً يستطيع أن يدعيه لنفسه ، ليستغله فيها بعد الوصول إلى الوسام الذي كانت تعلم به .. بيد أنها لقيت في هذا الصدد عناداً من زوجها لم يكن لها به عهد منذ سنوات ، فقد كان يخشى أن يقل عدد أصحاب القضايا الذين يشدون مشورته ، إذا ما حاز وسام الحزام وصار مستشاراً في المجلس الملكي الخاص ، وراح يقول لها إن عصفوراً في اليد خير من اثنين على الشجرة ، فكانت تجيبه بأن الحكم والأمثال آخر ما يلجأ إليه ذوو العقل الناضج ! .. ولوسى إليها بأن دخله قد يسطر بعد الوسام إلى النصف - وهو يدرك أن لا شيء يقتضيه قدر الحديث عن نقص الدخل - ولكنها لم تشأ أن تصغي لحجته ، ووصفت بأن هياب متعاس ، وراحت

تغص عيشه :: حتى انصاع لها في النهاية كعادته ، وسعى إلى الوسام حتى ناله !

وصدقت غاؤه ، فإنه لم يتقدم خطوة نحو الزعامة السياسية ، كما أن قضاياه قلت عدداً ، بيد أنه كان يفتي كل استياء يساوره ، وكان إذا أئتمى باللائمة على زوجته ، لأنها في نفسه دون أن يجرد على الجمهور .. ولعله ازداد جنوباً إلى الصمت ، ولما كان صامتاً في بيته بطلعه ، فلان أحداً في الأسرة لم يلحظ أي تغيير عليه ..

وكانت ابتداء لا تنظر إلى إليه إلا كقصور للدخل ! :: كان يبدو لها أن من الطبيعي أن يفتي ويكدح ليوفر لها المأوى ، والكساء ، والترحات في العطلات ، والمال اللازم لمطالبتها .. فلما خيل إليها أن الذئب كان ذئبه في الخفاض دخله ، سخط عدم أكثر اهتمامه له شيء من السخط .. وما خطر لها أن تسألها نفسها عن مشاعر الرجل الضئيل الجسم ، المغلوب على أمره ، الذي كان يغادر داره مبكراً في الصباح ، ولا يعود في المساء إلا قبيل العشاء .. فقد كان أشبه بالغريب عنهما ، ولكنها كانت مطمئنتين إلى أن من واجبه أن يجهما وأن يعنى بهما ، ما دام أبوهما !

- ٨ -

● على أن مسز جارسين أوتيت نوعاً من الشجاعة كان في حد ذاته يدعو إلى الإعجاب :: فهي لم تدع فرصة لأحد من المتصلين بها عن قرب - والذين كانوا يؤلفون دنياها الخاصة - كي يستبين مدى

أماها لخية أمالها .. ومن ثم لم تبدل شيئاً من نهجها في الحياة ، بل استطاعت بشيء من التدبير أن تواصل إقامة المآذب اللصخمة التي كانت تقيمها من قبل ، ونسقت تقابل أصدقائها بنس البشاشة التي راضت نفسها عليها منذ زمن ، وكان لديها رصيد من الرثرة تحمله في المجتمع الذي كانت تظهر فيه إلى أحاديث ! .. وكانت شيقاً ناعماً لدى أولئك الذين لا يسئل عليهم فتح أبواب الحديث ، فكانوا يعتمدون عليها في المبادرة إلى تبدل أي صمت واهج ، باحتكار ملاحظة مناسبة تعيد سير الحديث ..

ولم يعد من المحتمل أن يعين رنارد جارسين بين قضاة المحكمة العليا ، بيد أن الأمل بقي في أن يعين قاضياً في محكمة إحدى المقاطعات ، أو - على أسوأ الاحتمالات - أن يعين في أحد مناصب المستعمرات . وارتاحت الزوجة ، ربما يتحقق شيء من هذا ، إلى أن تراه يعين « مسجلاً » في إحدى مدن مقاطعة « ويز » .. وفي أثناء ذلك حولت آمالها إلى ابنتها ، فقد داخلها الرجاء في أن تستطيع - بتدبير زيجتين طبيين لها - أن تعوض ما أصاب جهودها بشأن زوجها من خيبة .. ولم تكن صغراهما « دوريس » قد أوتيت شيئاً من الملاحظة ، إذ كان ألقها مفرد الطول ، وشكلها ضخماً غير متناسق .. لذلك لم تكن مسز جارسين ترجو لها أكثر من أن تزوج شاباً عادياً يمارس مهنة مناسية .

أما الابنة الكبرى « كيتي » فكانت بحيلة ، وكانت منذ طفولتها

توحى بأنها ستغزو كل ذلك ، إذ كانت لها عيان سوداوان واسمان ، متلفشان أخاذان ، وشعر جمعد ، نقي اللون مشرب بجمرة خفيفة .. وأسنان ناصحة ، وبشرة يديعة .. ولو أحلت ملاحظتها ، كل على حدة ، لما كان لها طابع ممتاز في الحسن ، إذ كانت فكتها عريضة ، كما كان أنفها ضيقاً .. وإن لم يكن في طول أنف « دوريس » .. وإنما كان جمالها يستند إلى شبابها .. وقد أدركت مسز جارسين أنها يجب أن تزوج في باكورة أولئها ، فها هي أن أصبحت في طور الشباب حتى غدت عخلابة .. كانت بشرتها لا تزال أعظم عناصر جمالها ، وأما عيناها ، بأهدابها الطويلة ، فكانتا ذاتي وميض هادئ ، ونظمرات داكنة .. في نفس الوقت - حتى إن قلبك ليخفق إذا ما نظمت إليهما !.. وقد أوتيت بشاشة وروعة في أن ترضي كل إنسان ، فأضحت أمها مسز جارسين عليها كل حنانها .. وكان حناناً جافاً ، محتفظاً ، لا ينفك يحسب ويقدر .. وراحت تحلم برؤى قد نسجها الطموح .. ولم تغف عند حد الأمل في زيجة طيبة لابنتها ، بل طمعت في زواج باهر !

ولقد نشأت كيتي وهي تدرك أنها ستغزو امرأة جميلة ، كما أوجت إليها مطامع أمها التي تمحش مع وعباتها :: وما لبت مسز جارسين أن دفعتها إلى المجتمع ، ولم تلخر وسعاً في السعي لأن تدعى إلى الحفلات الراقصة حيث يمتثل أن تلتقي ابتها بالرجال الذين يليقون بها .. وصادقت كيتي نجاحاً ، فقد كانت لطيفة بقدر

ما هي جميلة ، ومرغان ما اقتضت عدداً من الرجال الذين هاموا بها ، ولكن أحداً منهم لم يكن ليلاتها ، ومن ثم حرصت كيتي - في لطف ومودة - على أن لا تتأدى في علاقتها بأى منهم .. وأصبحت قاعة الاستقبال في دار الأسرة بمثابة مساوئ كينجيتورن تترج في الأصل من أيام الآحاد ، بالشبان الميجين .. بيد أن مسز جارسين لاحظت - في ابتسامها خاضية - أنها لم تكن في حاجة إلى أن تدل أي جهد لتبقيهم يئناً عن كيتي .. فقد كانت كيتي على استعداد لأن تلعب بهم ، وكان يحلو لها أن تضرب الواحد منهم بالآخر ، ولكنها كانت إذاداً معرضاً عليها الزواج - وما أعجب واحداً منهم عن المحاولة - ورفضت في لياقة وحرم !

ومر الفصل الأول لظهورها في المجتمعات ، ولما يتقدم إليها الخليلب المثالي المرجو !.. وتلاه الفصل الثاني .. ولكنها كانت صغيرة وفي وسعها أن تنتظر .. وراحت مسز جارسين تقول لصديقاتها إنها ترى لفظة التي تزوج قبل الحادية والعشرين ! .. بيد أن عاماً ثالثاً تقضى ، وأعقبه رابع .. وعاد الثمان أو ثلاثة من المعجيين القدماء يطيلون يدها ، غير أنهم كانوا لا يزالون معدمين .. وخيلها واحد أو اثنان كانا أصغر منها سناً .. كذلك تقدم إليها أحد الموظفين المدببين السابقين بحكومة الهند ، إلا أنه كان في الثالثة والخمسين من عمره !.. وكانت كيتي لا تزال تتردد على حفلات الرقص ، والمسارح الزاوية ، وميادين السباق ، غير مدخوة وسعاً

في الترفيه عن نفسها والاستمتاع بما في تلك المحافل .. ومع ذلك ، فقد ظلت دون أن يقدم أحد ذو مركز ودخل يهتان على الرضى ، يسألها الزواج ..

وبدأت مسز جارسين تشعر بقلق متزايد ، إذ لاحظت أن كيتي لم تعد تجتذب سوى أبناء الأربعين وما بعدها ، فراحت تذكرها بأنها إن تظل على جمالها عاماً آخر أو عامين ، وأن ثمة أجيالا من الشباب تبرز إلى المجتمع تياماً .. ولم تقتصد مسز جارسين في كلامها أو تخفف من وقعها في وسط الأسرة ، بل مضت تلنر ابتها في لجة لأدعة بأن سوفها إن تلبث أن تكسد !

وكانت كيتي تبرز كشفيها ، وهي تظن نفسها جميلة كمهدها - بل أجمل ، لأنها تعلمت في السنوات الأربع الأخيرة كيف تتنقى ثيابها وتحسن ارتداها - وتحال أن الزمن لا يزال فيحياً أمامها .. ولو أنها شاعت أن تزوج - لجرد الزواج - لكان أمامها أكثر من عشرة من الشبان على استعداد لتلقف القرصة .. ومن المؤكد أن الرجل المشهود والملائم لن يلبث أن يأتي ، طال الأمد أو قصر .. ولكن مسز جارسين كانت ترقب الموقف في نوجس ، ومن ثم خفت من تعنها إزاء الزوج المنتظر ، والسخط يملك نفسها على الابنة الجميلة التي أضاعت القرص .. فولت وجهها شطر طليقة أصعاب المهن الحرة التي كانت في البداية تمتص منها في كبرياء ،

وبدأت تبحث عن عمام شاب أو رجل أعمال يوحى لها مستقبله بالثقة ..

وبلغت كيتي الخامسة والعشرين ولما تكن قد تزوجت ، غفدت صبر مسز جارسين ، ولم تعد تتردد في أن يجاهر كيتي في مناسبات كثيرة بأسوأ ما في ذهنها .. فكانت تسأله إلى متى توقع أن يعولها أبوها ، وقد أنفق فوق طاقته لكي يبيع لها القرصة فلم تنتهزها !.. وما خطر ببال مسز جارسين أن تعنها هي وربما كان السبب في إرهاب الرجال الذين شجعهم يمشي الخفاوة على التردد على دارها ، من أبناء قوى اليسار أو ورقة الألقاب .. وإنما عزت فشل كيتي إلى غيابها !

ثم آن للابنة الصغرى « دوريس » أن تظهر في المجتمعات ، وكانت لا تزال طويلة الأنف ، ولم تكن تحسن الرقص .. ومع ذلك فقد غلبت في الموسم الأول إلى « جفري دنيس » ، وكان الابن الأوحد لجراح ثرى حصل على لقب « سير » خلال الحرب .. ومن ثم كان مقدره لجفري أن يرث القب .. وقد لا يكون الطيب « السير » رفيع المقام إلى الدرجة المشودة ، ولكن قلبه وقمه على أية حال ، والحمد لله : ففضلا عما وراه من ثروة طيبة ..

وهكذا ، وفي ذعر ، اضطرت الأخت الكبرى « كيتي » إلى قبول الزواج من « وولتر فين » ،

وأنه موطنه هو كوخ . حيث كان الغصاة من
 دملاني تدعى عماره . ويظهر أنه شاب ذو ذكاء قد
 وكانت تعلم أن أباه كان يقضي شبابه في أصغر المدن
 سوات في سنه ١٩٠١ . ثم من أجل أنها كانت
 وما رأيت . بل أنه كان يحبني الشايل يابوت
 فاستمر بعد . ورحمة من عتيه الكليلين عليها
 وف . وحسن خبرك أن من روح منه .
 - لا ريب
 من هو
 - لم يلد منه . ثم من ذلك
 - لا ريب
 - من أن يكون له . إنه يصحرفي بعض الشيء .
 والاهم أنه لم يولد من صبره . كان صبراً ، ولكنه لم يكن
 وبعده مثل جسم . بل كان يميل إلى السجود ، وكان أمر البشيرة
 - لا ريب . ولا ريب . ولا ريب . وكانت حينها
 سوداوس نمر . ولأنها لم تكون واسعة . ولا ريب في معرفة
 . كان سدر . على الشيء فتبليان النظر إليه . وكان أنه المستقيم
 الرشيقي . وجيبته الوضاه . وفيه البديع . كفيته بأن يجعله مليح
 الشكل . ولكنه لم يكن كذلك . مما كان يبعث على الدهشة .
 ولقد عجبت كيتي - إذ شرعت تفكر فيه - من أن تكون له هذه

القميات المليحة ، إذا فحست كل منها على حدة ، ثم لا يجذبها مع
 ذلك . وكانت سيادة سم من شيء من السحرة السادة . وقد
 أدرجت كيتي - إذ عرفته أكثر من ذي قبل - أنها لم تكن ترتاح إليه
 لأنه لم يكن على شيء من المرح .
 وما أن أشرف الموسم على تهايته حتى كانا قد تقابلا كثيراً ،
 ولكنه ظل على ما كان عليه ، لا يشف عن شيء . ولم يكن
 ما يتولا في حصرتها حلالاً ، وإنما كان ارتياكاً وجرحاً . وحل
 حديثه بعيداً عن شخصيهما ، مما انتهى بكيتي إلى أن تستنتج أنه
 م يكن لها شيء حب . وإنما كان يقول إنها ، وبسبب الحديث
 معها ، ولأن يلبث إذا ما عاد إلى الصين في نوفمبر أن يكف عن التفكير
 فيها . بل إنها لم تر من المستبعد أنه كان طيلة الوقت على ارتباط
 حليته ، فعلمنا حمرة في أحد مستشفيات هونغ كونغ ، أو أية أحد
 من . دين . خطية بليدة الفهم ، بسيطة ، ذات قنمين مسطوحين
 من عن العمل في دارها . فقد كان هذا هو الطراز الذي يليق به
 من " وجبات "

ثم جاءت خطية دوريس إلى جفري دينين . كانت دوريس
 شائعة شهرة . ومع ذلك فقد وفقت إلى زواج مناسب . أما هي
 فلم تحبب أو تزوج برغم أنها بلغت الخامسة والعشرين . ولعلها
 من ترواح الله . فإن الوحيد الذي تقدم في هذا الموسم يطلب يدها
 من كيتي . من العشرين من عمره لا يزال يطلب العلم في

أكسورد - وما كان لها من روح من بقي يصفرها غمس
 سوات ! لقد أصابت المرض حتى سحبها . في عدم الماضي
 وفقت أولاً لاجل لب . ثم . وقد كانت له روحه الباسقة ثلاثة
 أطفال . فحدث الازدواج ثم تركه . سباً وأن أمها لم تكن أن
 تسف في قصتها . كما أن كيتي دوريس - دوريس التي طالما
 أحملت من قبلها . إن كان كيتي معقوداً على كيتي في اصطبار
 الروح الناعم . دوريس هذه . لم تكن أن تسحر معها .
 وأحببت كيتي عليها دوريس في صبرها تحت ثقل أسافا

- ١١ -

• بيد أنها لم تكن دمت أصيل . وكانت تتمشي في طريقها
 من مشى (هارود) إلى دارها - أن صدقت . وولتر في . في
 طريق (بروميس) . موقف جدبها أحواف الحديث . ثم سألتها
 سفوا عما إذا كان يريه في هذا . إلى زهرة في حديث (يوك) ؟
 ولم تكن لها رغبة مليحة في هذا . إن الدار . سباً وإن الدار لم تكن
 في تلك الآونة ما كان . أن تروح إليه . فراح يمشي . وهما
 يتحدان أطراف الحديث فيما أحدهما من موضوعات عارة . وسألتها
 عن المثل الذي تستقي فيه الصيف . فقالت .

وكانت كيتي تتكلم بحجة ، إذ كانت تعلم أن أباه لا يكاد
 يبعد من عمل ما يفعله . وحتى إذا وجد العمل الذي يرهقه ، فإن
 اخته لم تكن تبذل العمل حتى يجب لها حساب في اختيار مقصد
 وأسرة في العطلات ! وإنما كانت تتذكر الأماكن لمادة لقلة
 عنها !

وسألتها ولتر فجأة : « ألا ترى أن هذين المقعدين بنزولين
 بطرس ؟ » . « نعمت نظرائه ، فرأت مقعدين أحضرين بمنزل
 في البيت تحت إحدى الأشجار ، فقالت : « لجلس عليهما »
 ولكنها لم يكاد يكاد يجلس حتى بدأ ذهبه بشرد بشكل عجيب :
 « عذراً عزيزاً ! » على أنها مصت ثرثر بنذر ما وسمها من
 خلقة . وهي تمشي تصفا عما دعه أن سألها أن تمشي معه في
 « . أنه كان . شك . يتخلف . بها مشغلة بالمرضة ذات
 من المسطوح حتى أن تركها في هونغ كونغ ؟
 « فحده . سدا ونحوها ، فقطع عليها عبارة كانت ماضية
 في ذكره . مما هم عن أنه لم ينصت إليها ، وقد صار وجهه
 في . ص . لا يشير . وأريد أن أقول لك شيئاً .

مأجبات وهي تحلق فيه دون مواراة لفرط دهشتها : « هذه مفاجأة لم أك أتوقعها » .

— أو ما حدثت أبني كنت متفرقا في حلك ؟

— إنك لم تكشف في عما يوحى بذلك !

— أبني شغول ، حبي ، يشق على دائما أن أقول ما أريد .. قوله ، فلا أمك سوى أن أقول ما لا أقصد ..

وتسارعت دقات قلبها قليلا .. ما أكثر ما فوجئت في الزواج

من قبل ، ولكن الحديث كان عادة بهيجا ، أو عاطفيا .. وكانت

بفس الروح .. فلما سألتها أحد الزواج بمثل هذه الطريقة الجملة

المفاجئة ، ذات الطابع الواجم الغريب .. وقالت مسترربة : « هذا

— لقد وقعت في هوالك منذ أول مرة رأيتك فيها ، وكنت أريد

أن أفصحك من قبل ، ولكنني لم أفلح قط في الإقدام ..

فصاحت قائلة : « ما أطقت تفني ماذا ؟ » .

وسرما أن وجدت فرصة للضحك ، فقد بدا أن الجو الغيب

بهما ، في ذلك اليوم الصحو الجميل ، قد استحال فجأة راكدا ،

تقبلا : « وبس هو متجها » ثم قال :

« .. إنك لتتدين ما أعنى .. لم أشتأ أن أقصد الأمل ..

وأما وأنت تاهين للسفر للمصيف ، وأما لتتعد للعودة إلى لصيف

في الحريف .. »

فالت في حيرة : « ما فكرت فيك — من هذه الناحية — من

ولم يقل شيئا ، بل غص من بصره في وجوه .. كان مخلوقا

غريبا إلى الغاية ، بيد أنها بدأت تشعر — بطريقة غامضة — وقد

صارحها بما صارحها به ، أن حبه من نوع لم تصادفه أبدا من

قبل .. وأحست بشيء من اللعز ، ولكنها أحست في الوقت ذاته

بشيء من التخفف ، فقالت :

— يجب أن تمهلني وقتا أفكر ..

وظل صامتا لم ينس بيت شفة ، أو بحر حراكا .. أو تراه كان

مزما أن يستيقظ حيث كانا إلى أن تتخذ في الأمر رأيا ؟ .. إنه ليكون

عنونا للشف بيته ، لو فعل ! .. إذ ينبغي أن تبحث الأمر مع

أما .. ومن ثم كان خليقا به أن يدعوها إلى الانصراف حين وعدته

بالفكر ..

وتركت ، فلما أنها أنه لن يلبث أن يجيب ، وقد أحست بأن

من الصبر عليها أن تتحرك في جلسها ، دون أن تتولى لذلك داعيا ..

ومع أنها لم تنظر نحوه ، فلما كانت تمس بما يبدو عليه منظره ..

قط ما خطر لها أن تزوج من رجل لا يمارزها طولا إلا بالقليل !

رجل إذا جلست بالقرب منه ، تبثت مدى وسامة قسائه ، ومدى

جود تعبيرات وجهه ، ومع ذلك فقد كان من المحب أن لا تنالك

نفسك من الشعور بالوجد المتأجج في قلبه !

وعادت تقول بصوت مهدج : « أبني لم أعرفك بعد ..

م أعرفك قط .. »

ونظر إليها ، فأحست بعينها تحديقان نحوه .. كان في نظرائه

حدا لم تره فيها من قبل .. وفي عينيه شيء من اللذة ، شيء بما يفيض

من عيني كعب مضروب ، مما أثر في نفسها .. وما عثم أن قال :

« أضي قبا يا أكشف عن نواح طية إذا ما ازدت تعرفاني .. »

— أجل .. أبني لأدرك إنك تحبوك .. أأست كذلك ؟

كان أعجب حديث سمعته في مناسبة كهذه .. ولاح لها أن

كلما مهما يفيض لصاحبه بأكثر ما يرتقب منه في معرض الخطوبة ..

إياها لم تكن تشعر نحوه بأنه حب .. ولكنها لم تدرك لماذا ترددت في

أن ترفض عرضه بمجرد أن صارحها به !

وأردف يقول : « أبني مفرط الغباء .. كان خليقا بي أن أقول

لست أرى أحبك أكثر من الوجود كله ، ولكنني أجد عنه شديدا

في أن أقول ذلك .. »

وهذا أيضا كان غريبا بلوره ، إذ أنه مس أوتار قلبها دون

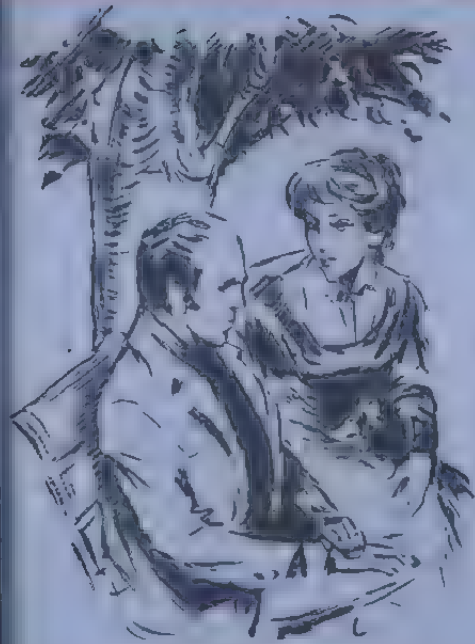
أن تدري لئلا سببا .. لا ، إنه لم يكن قاترا للعاطفة ، ولا باردا ،

لما كانت طبيعة خلقه هي كل عيبه .. وأحست بأنها قد مال

لديه في تلك اللحظة أكثر مما مال من قبل .. وكانت دوريس مقدمة

على الزواج في نوفمبر ، وسوف يكون هو إذ ذاك في طريقه إلى

البحر .. ولابد لها من أن تراقبه لو أنها تزوجت منه .. ولم يكن



فالت في حيرة : « ما فكرت فيك — من هذه — من قبل ،
ولم يقل شيئا ، بل غص من بصره في وجوه

مما يسرها ان تكون وصيفة ثم في وقت العرس ، ومن ثم
 فتدرك بسعداء ان ثقلت من هذا الوقت ١ . ثم طفت بدمعها حاد
 حين تعود دويريس ووجهه بعد عرسها . تلك كل امرئ
 يعرف دويريس وما شاع به ، ومن ثم فرحت به فخرها في
 الكبر والكرامه . وان بدعها في احد ان الاصل
 وامومة . لو ان تزوجت من هوى ، لما كان هذا حين زواج
 لها ولدت سيمون . زواج في امة حاد . سببا وله شتم معي
 نصيب . وكنت حتى لسانها تدع . بعد تزوج كل لدائها
 مداه . بول . ووضيح كاي من اعداء . ولما استأهل
 تزوجهن وان ترهن من اعداء عن اعداء .
 وهما قد وهلت من عرسها حيرة حبيبة .

وَسَمِعْتُ يَهُيَا وَهِيَ تُعَذِّبُ قَلْبَهُ مَعَهُ كَيْتُ تَوَقُّفٍ مِنْ مَعِيهَا .
وَقَالَتْ : « لَوْ أَنِّي تَسَرَّعْتُ فِي مَجُورٍ وَقِفْتُ مَعَهُ قَلْبُ رَوَاحٍ
مَعَهُ . إِنْ تَرِيهِ . » يَتِمُّ الرُّوْحُ : ١٩
وَشَبَّهَ مَعَهُ فِي مَنَاحٍ ، وَبَرَى دَمٌ فِي وَجْهِهِ لَشَدِيدِ الشَّعْوَةِ ،
وَقَالَ : « آتَى .. عُرُوا .. مَنَاحٍ مَا يُمْكِنُ .. وَسَنَذْهَبُ إِلَى إِيْطَالِيَا
لِنُشَاءِ نَهْرٍ عَجَل .. لَمْ يَنْصَبْ هُنَا شَهْرِي أَغْبَطُوسَ وَسَمِعْتُ :
وَكَانَ هَذَا كَيْبَلًا وَأَنْ يَنْصَبَ أَقْنَاءُ اَلْجَيْفِ فِي الرِّيفِ مَعَ أَبِي
وَأُمِّي .. وَاصْفَرَّتْ فِي دَهَبٍ بِسُرْعَةِ الرِّقِّ سَاءَ لِحَوْبَةِ إِدْبَارِ
فِي حَبِيئَةِ « مَوْرِيْمِ بَوَسْت » ، وَمَا يُمْكِنُكَ عَنِ اَلْاِصْفَارِ اَلْعُرْوَةِ

[illegible]

وكان يعبرها أن تقين مدى التهاب عواطفه ..
وليدة حياته ، أو لعلها نبتة المران الطويل ..
إلى أبهما تزاها - وكان يبرها بعض الشيء أن تشعر وهي بين قراعيه
وقد هدأت شهرته ، إن هذا الذي كان يحفل من الله بلونه ،
والذي كان يخشى أن يبلو عظيمًا ، كان ينقلب فيحلو أن يعبد إلى
لهجة الأطفال في الكلام .. ولقد آلمته مرة في غوة رد مسحك
وقالت إنه يتغوه بأخف حديث .. فأحسّت بلواغيه تحمدان حولها ..
وظل ماسكًا صامتًا برهة ، ثم أفلتها من أحضانها دون أن يجس بنت
شفقة وانصرف إلى حجرته .. ولم تكن قد أدركت أن تخرج شعوره ..
فقالته بعد يوم أو يومين : « لست أعيق أيها الأبله بأي هراء تعرف
به .. فضحك في استعجاب ..

ولم تلبث أن اكتشفت أنه كان عاجزاً كل العجز عن أن ينسى

۱- در این طریق، وزن نمایی در معادله قرار
 می‌گیرد. اگرچه، وزن نمایی و ضرایب آن در معادله
 باید به دفعه اول در این روش تعیین شود. در
 روش دوم، ضرایب معادله، که در معادله اول
 مشخص شده است، از آن پس برای سایر آزمون‌ها و محاسبات
 تکرار می‌شود.

[illegible]

نفسه : كان دائماً يظن في كل كلمة تصدر عنه أو حركة تدبره ..
 وإذ انتهى جمع الحاضرين في إحدى الحفلات إلى كان يدعو إليها ،
 عجز دويلر عن إغراءه يوم . بل كان يحس قلب إبراهيم أنه
 مسروق وقريب ، غير أن إسماعيل كانت ممتدة ومهنة ، أشبه
 بالإنجاب ساحر بحيث نوحى ما صدر به يصر جمع أولئك من
 ينساقون في جو المرح والانشراح حفنة من الحنق . وكان لا يئوي
 على حبل نفسه على الاشتراك في الألعاب الجماعية التي كانت تبتني
 بما أوتيت من حته روح شديدة مسرة ومرحة . وقد رفض
 رفضاً تاماً لأنه راحتهما إلى الصبي أن يرد في إحدى الحفلات ثياباً
 متكررة كقبة المسافرين . وكان مما عكس مرور زوجته أنه بدا
 صعباً من الحقة كلها

وكانت « كبتى » مريحة ، تود لو أتبع لها أن تتكلم طيلة النهار ، وأن تضحك في حرية وانطلاق .. ولكن صمته كان يحرقها ويثير الاضطراب في نفسها . وكان مسلكه في عدم الرد على ما تهدى من ملاحظات غريبة يبتقيها .. ومن الصحيح أن أمثال تلك الملاحظات لم تكن تستدعى رداً ، ولكن الرد كان كفيلاً بأن يرضيها .. فلو أنها قالت وهي ترى السماء تمطر : « لقد تفتحت ميازيب السماء » ، لطل صامتاً .. بينما تمنى لو أنه أجاب : « أجل اليك كذلك حقاً » .. ولكم ودت في بعض الأحيان أن تبرز ليلنق .. ولكنها كانت تكتفي

على التكم .. كان يعضه أن يتحدث عن نفسه ، إذ كان ذلك بضاعت
من حياته وأربابها .. فما كان يدري كيف يكشف من جلبة نفسه ..

وكان مشغولاً بالقراءة ، ولكن الكتب التي كان يقرأها كانت
تبدو لكئي ثقيلة غلظة ، فإنه إذا لم يكف على موضوع علمي ، كان
يقرأ الكتب التي تدور حول بلاد الصين التي يعيش فيها ، أو المؤلفات
تاريخية .. قط لم يكن يتخفف من العمل والقراءة الجدية ، حتى لقد
خبل إليها أنه عاجز عن التخفف .. وكانت العيتان الوحيدتان اللتان
يحبهما هو النفس ، و « البريدج » ..

وكانت تعجب في نفسها مما جعله يقع في هواها ، فما كانت
تري بين النساء من هي أبعد منها ملامعة لهذا الرجل الدؤوب ، الجامد
لحسن ، الرصين .. ومع ذلك ، فقد كان — بكل تأكيد — ملماً في
غرامها ، حتى إنه لم يكن يتورع عن أن يفعل أي شيء يرضيها ..
كان كاشع الطرى بين يديها ؟ .. وكانت كلما فكرت في الجانب
الوحيد الذي أظلمها عليه من نفسه ، أحست بشيء من الأزدراء
نحوه :: وكانت تسأل نفسها عما إذا كانت طبيعته الساحرة للناقدة
— وما يصحبها من تحمله في ذلة كثيراً من الأشخاص والأشياء التي
تعجب بها — مجرد ستار يخفي وراءه ضعفاً تاماً ؟ .. ذلك أنها في
الوقت الذي كانت تراه فيه ماهرأ — وكذلك كان يحبه كل امرئ —
لم تكن هي تجده لديه استعداداً لأن يكون مقبولاً ، اللهم إلا في حالات

بأن تكرو عبارتها : « أقول إن ميازيب السماء قد فتحت » .. وإذا ذلك
كان يكتفي بأن يقول مبتهما : « لقد سمعتك ! »



• والواقع أنه كان مجرداً من كل فنة .. وكان هذا هو السر في
أنه لم يكن بارزاً لامعاً ، الأمر الذي اكتشفته قبل أن يعض على وصولها
إلى هونج كونج أمد طويل .. ولقد ظلت على غير حذرية واضحة
يعمله .. وكان حسياً أن تترك — وقد أدركت فعلاً — أن انسابها ،
كزوجية ، إلى الطبيب البكتريولوجي الحكومة ، ليس بالشرف الرفيع
.. وكان يبدو عليه أنه عزوف عن أن يتناول هذه الناحية من حياته
بالحديث معها .. ولما كانت هي ميالة — ولا سيما في البداية — إلى
الاهتمام بكل شيء ، فقد سألته عن عمله .. ولكنه ودعا عنه بإشارة
مقتضية : وفي مناسبة أخرى قال : « إنه عمل على وقتي للغاية .. ثم إن
الأجر الذي يدفعه عنه أقل بكثير مما يستحق .. »

وكان شديد التحفظ ، حتى أن كل ما عرفته عن ماضيه ،
ومولده ، وقرينته ، وحياته قبل أن يلقاها ، لم يقس لها إلا هن طريق
انتزاعه من فنه بالأسئلة المباشرة التي كانت توجهها إليه ..
ومن الرب أن السؤال كان الشيء الوحيد الذي يثير ضيقه واستياءه ..
وكانت إذا أغرقت — بدافع من فضولها الطبيعي — يسيل من الأسئلة
تبعاً ، ازدادت إجاباته اقتضاباً مع كل سؤال .. وأفهمها ذكائها أنه
لا يرضن بالإجابة لأن لديه ما يحب أن يخفيه عنها ، وإنما مجرد أنه قطر

ورأت كئي رجلاً طويلاً ، مفرط الأناقة ، يقبل نحوهم ..
فالت مسز تاونسند : « هذا زوجي .. »

وقال لها الرجل : « ستكون في حظوة الجلوس إلى جانبك .. »

وأحس مسز ها ، تباع . وتلثي من صدرها كس شعور
.. ورغبت في عيشه ، تسخين ومضة سريعة من الشهية
و « ساحرة » لم يحب عليها معاً ، فودت لو استطاعت أن تصحك !

وقال الرجل : « لن أستطيع أن أصيب شيئاً من المشاء ، مع
ما أعلمه من أصناف دوروثي الشبية .. »

فأنته : « ولماذا ؟ »

— كان يحب أن يخبروني من قبل .. كان يجلو بهم أن ينلروني ..

— هم .. وم ؟

— لم يقض أحد بكلمة واحدة ، فكيف كان لي أن أعلم أنني

ساقابل جلالاً باهراً خلاياً ؟

— آه .. بماذا ترائي أجيب من هذه الجملة ؟

— بلا شيء .. دعي الكلام لي ، وسوف أردد هذا القول مراراً

وتكراراً !

ولم تؤخذ كئي بمجاملاته ، وإنما نمت لو أنها عرفت ما قالته

له زوجته عنها .. لا بد أنه سألتها عنها !

وتذكر تاونسند فجأة ، وهو يطل عليها بعينه الضاحكين ،

نادرة جداً ، حين يجلس إلى الإثنين أو الثلاثة الذين كان يجلس إليهم
— من بين الناس طراً — وهو في حالة مرح وبسط ..

والخلاصة أنه كان يثير الضحك — كل الضحك — في نفسه
حتى لقد جعلها تستبين به ولا تقم له وزناً !



• — — — — —
والواقع أنه كان مجرداً من كل فنة .. وكان هذا هو السر في
أنه لم يكن بارزاً لامعاً ، الأمر الذي اكتشفته قبل أن يعض على وصولها
إلى هونج كونج أمد طويل .. ولقد ظلت على غير حذرية واضحة
يعمله .. وكان حسياً أن تترك — وقد أدركت فعلاً — أن انسابها ،
كزوجية ، إلى الطبيب البكتريولوجي الحكومة ، ليس بالشرف الرفيع
.. وكان يبدو عليه أنه عزوف عن أن يتناول هذه الناحية من حياته
بالحديث معها .. ولما كانت هي ميالة — ولا سيما في البداية — إلى
الاهتمام بكل شيء ، فقد سألته عن عمله .. ولكنه ودعا عنه بإشارة
مقتضية : وفي مناسبة أخرى قال : « إنه عمل على وقتي للغاية .. ثم إن
الأجر الذي يدفعه عنه أقل بكثير مما يستحق .. »

وكان شديد التحفظ ، حتى أن كل ما عرفته عن ماضيه ،
ومولده ، وقرينته ، وحياته قبل أن يلقاها ، لم يقس لها إلا هن طريق
انتزاعه من فنه بالأسئلة المباشرة التي كانت توجهها إليه ..
ومن الرب أن السؤال كان الشيء الوحيد الذي يثير ضيقه واستياءه ..
وكانت إذا أغرقت — بدافع من فضولها الطبيعي — يسيل من الأسئلة
تبعاً ، ازدادت إجاباته اقتضاباً مع كل سؤال .. وأفهمها ذكائها أنه
لا يرضن بالإجابة لأن لديه ما يحب أن يخفيه عنها ، وإنما مجرد أنه قطر

التي كبر في دعوته حينئذ كان نصف حسانه في دعوته ..
 ما عرفت انك قد سمعت مني .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 يصدق على وور .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 ليس .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 بدأ بها .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 حرفة .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 دخلته في دعوته .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 كعبه من .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 انك سمعت مني .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 قبل ان تتركه .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 و رثا ..

و أصبح انك قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 عشية في منى .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 قصوى .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 شيء .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 تقدم على الخطوة الثانية .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 تشارك المتوب .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 وجميع الميادى التي احتفتها في حياتها كانت تغرها وتوكلها .. و لقد
 جاءت الخطوة الثانية عنرا .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..

و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 الخطوة لم يخط في شيء عنه قبلها .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 تغير خيال .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 من .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 إذ ترى ما بها من المرأة التي .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 ولدت لها شارل عفت تلك الخطوة .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 هيئت قاتلة .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..

.. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 من حبا و حرما .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 صدرة شاب .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 أب .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 والعشر .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 كره .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 نسجها .. و قد سمعت مني .. و قد سمعت مني ..
 لتفتن نظرت جديدة حافلة بالمعاني .. و أصبحت بشرتها .. التي
 كانت دائما ممت لخرها وموضع عايتها .. تير الألبار يستاعها ..
 بحيث يشبه بها الخوخ القزود أو الزهرة .. وليست هي التي تشبه بيما ..

.. لقد ارتدت قبلو كاتبة لثلاثة عشرة .. و تألق في لوح قنتها الباهرة ..
 حتى لقد كان من المستحيل أن لا تظن العين إلى ما أسياها من تحول ..
 فأحدثت صدقاتها يسألها في ودهن يتحين بها جانباً .. مما إذا كانت
 توكل أن تجيب قطلا ؟ .. وأسبغت المجنبتات اللاتي كن يقطن
 لهن ليس سوى امرأة رشيقة ذات ألف طويل .. يغرر بأنهن
 ضلن بهذا الحكم .. وبالأحصار ضد حارات .. كما وصفها تشارل
 حين رثا المرأة الأولى .. ذات جمال ياهر خلابة ..

.. واستطاع أن يتفيا علاقتهما بمسارة .. كان مركزه ومطلانه
 يحميانه كما كان يقول لها .. فليس يهمه هو من الأمر شيء .. وإنما كان
 عليها أن تنجبا أنه مضاعفة من تحملها هي .. ولم يكونا يلتقيان كثيراً
 على حدة .. حتى ولا نصف المرات التي كان تشارل يتوق إليها ..
 إذ كان يؤثر أن يفكر فيها أولاً .. وكانت هذه المقابلات القصيلة تحدث
 أحياناً في منجر العاديات والتنف .. أو في دارها .. بين آن وآخر ..
 بعد العشاء .. عندما لا يكون مخدوع .. حل أنها إلى جانب ذلك كانت
 تراه كثيراً في الأماكن العامة .. فكان يروق لها أن تشهد الطريقة
 والرحمة .. التي كان يتحملها بها إليها .. في وفق وتلف .. شاه مع
 كل إنسان في العادة .. وهل كان في وسع أحد أن يتصور إذ يسمعه
 يترجمها بطريقة المرح الساهرة .. أنه كان يحضنها قبل ذلك بوقت
 قريب .. في وحدته ؟

و صارت تتيده .. كان دائماً في حلهامه العالين وغدق ماله

وهو يلعب والولو .. وفي ثياب القنس كان يبدو مجرد غلام بالغ ..
 والواقع أنه كان فخوراً بشكله .. وكان يتجشم عناه في سبيل الاحتفاظ
 به .. فكان لا يأكل الخبز أو الطماطم أو الفريد على الإطلاق .. في
 ثوبت الذي يهتم به غاية الاهتمام بالندويات الرياضية .. وكانت تمحب
 بعنايته فيه .. إذ كان يطل أطفاله في كل أسبوع مرة .. ثم إنه
 كان رياضياً وأما .. فاز في العام السابق بطولة القنس المحلية .. كما
 كان .. بالناكيد .. أربع وأربع وأربع .. كان الرقص معه حلاًماً
 عالياً .. وأخيراً .. ما كان أحد ليطن أنه قد بلغ الأربعين .. وقد أنباه
 مرة بأنها هي نفسها لا تصدق ذلك .. وأردفت : .. اعتقد أنها عذمة ..
 وأنتك لم تحاور الخامسة والعشرين فضحك وقد طرب لذلك ..
 وقال : .. أوه يا عزيزي إنك لبيت في الخامسة عشرة .. لتي رجل في
 لوسط لفسر ولي ألبث بعد عامين أو ثلاثة أن أعقد سنأ متر هلا ..
 — بل مستطيل تدبر الزلومي حتى لو بلغت المائة !

و كانت تحب حاجبيه الأسمدين الكفيفين .. و تتسائل هل هما اللذان
 يفضيان عن عينة الرقاوين تلك القطرة التي يغيب إليك أنها تستشف
 ما في أعماقك ؟
 ثم إنه كان حادفاً في كل شيء .. بحيث لم تكن تصدق أن ثمة
 شيئاً لا يستطيع أن يؤديه .. كان يجيد لفرف حل والباله .. في أوقات
 اللهو طبعاً .. وكان يني أغاني حزلية بصوت غني الثبرات .. وروح
 خفيفة مرحة .. هلا إلى جانب أنه كان يارحاً في عمله .. وكم كانت

نشاطه سروره كلها أعجزها مثلاً بأن الحاكم قد ضل بهتته على الطريقة التي أدى بها مهمة عريضة ؟ .. كان يسهلك وعيانه تومضان بالحس الذي يكتنهها ، وهو يقول : ومع أنني أكره امتناع تقصى ، إلا أنه لا يوجد في التفتة من كان يستطيع أن يؤدي هذه المهمة غيراً مما

لعلت !

لواء ! .. لقد ما صارت تمنى لو أنها كانت زوجة ، وليست زوجة .. وولتر !

- ١٧ -

● لم يكن من المؤكد أن وولتر قد ألم بالحقيقة في حصر ذلك اليوم الذي فوحى فيه العاشقان بحركة مضايض الأرواب .. وإنما لم يكن قد ألم بها ، فقلعه كان من الخير ترك المسألة جانباً ، أما إذا كان قد فعل ، فلا بأس ، قد يكون هذا أفضل بالنسبة لم جيماً .. فتقد كانت كيتي في البداية قانعة - إن لم تكن راضية - بأن لا ترى تشارلي إلا غلصة ، بيد أن الزمن أذكى وجدحها ، فأخذ صبرها يزداد تنادياً - منذ أمد - لإزالة الغمضات التي كانت تحول دون أن يكونا معاً على الدوام .. وكثيراً ما كان يقول إنه يلين مركزه الذي يضطره إلى التراجع هنا للتفكير ، ويلين الروابط التي تقبده ، والروابط التي تعيدها . ويعبر سعدنيها عن ذلك مسبقاً :

وتقد قدوت وجهة نظره ، وليس من إنسان يرغب في القسوة ، كما أن الإقدام على تغيير مجرى حياتك يقتضيك بالطبع تفكيراً

طويلاً ولكن .. كم يصبح كل شيء ميلاً لو أن الحرية فرضت عليها فرضاً ! .. ولم يكن يبدو أن أحداً منها سيتألم كثيراً لهذا .. ضد كانت كيتي تترك تماماً مدى علاقة تشارلي وزوجته ، وكيف كانت هذه قاترة العواطف ، حتى لقد انقضت سنوات لم يتم بينهما خلافاً حب لو علاقة غرام ! .. والواقع أنه لم يكن يستقيها على رباط مما سوى حكم العادة .. والأولاد طبعاً ! .. ومن ثم كان التحرر بالنسبة لتشارلي أمراً منه بالنسبة لها ، وهي التي كان زوجها وولتر ملغاً في هواها .. بيد أنه كان من ناحية أخرى مسترخياً في عمله ، لا يكاد يشغل بسواهم إلا بالمشي طبعاً .. ولعله سوف يصلح في البداية ، ولكن لن يلبث أن يتعب من الصلابة ، وليس ثمة ما يحول بينه وبين أن يتروح ثانية من سواها .. ولقد قال لها تشارلي إنه لا يكاد يفهم كيف قبلت أن تلتقي بنفسها إلى « حايوة » وتراجع من « وولتر فين » !

وحسب ، وقد أبلمت هواها ، مما اعتراها قبيل ذلك بقليل من زهر حين قدرت أن وولتر قد « قبطها » ! .. كان من المقترح حقاً أن ترى أكثره اليأس تنحرك في تودة ، ولكنها كانت - بعد كل هذا - يتركان أسوأ ما يمكن أن يفعله « وولتر » .. وكانا على أمية للملاقاة ، فإن تشارلي لن يكون أقل منها ارتياحاً حين يفرض عليها ما كانتا يستقيتهما أكثر من أي شيء في دنياهما !

تقد كان وولتر رجلاً شهماً مهلباً ، ومن الإنصاف أن نتعرف

له ميلاً .. وكان يحبها ، ومن ثم سوف يفعل ما ينبغي أن يفعل ، فيدها نطقه ، إذ أنها ارتكبت خطأً وتراجعت ، وكان من أسعد الأمور أنها تبتاه قل أن يندبها أسأل الإجمال فيه :

وأحدث تحدي في نفسها ما ستوله له ، وكيف تعامله .. ستكون مترفة ، باسمة ، حازمة .. فلبست بها حاجة إلى أن يتشاحرا .. ولوف يسرها - سط اللطائف - أن تراه دائماً .. بل إنها رجعت غلصة صادقة أن تظل للمعين اللذين قضياها معاً ، ذكرى غالية في نفسه ! .. وقالت لنفسها وهي تفكر : ما أظن دوروي تلوستند تأبه بطلاق من تشارلي .. فزن لنبها الأصغر راحل إلى إنجلترا ، ومن الخبر لما أن ترحل معه هي الأخرى ، فبسر لديها ما تفعله إطلاقاً في هونغ كونغ ، وإنما سيبدو في وسعها أن تنهى كل المعطلات مع أولادها .. ثم إن أباه وأميها يقيان في إنجلترا ..

إذ قد كان الأمر ميلاً ثمانية ، ومن الممكن تدبير كل شيء دون ما فضيحة أو ضجة ، فلا لبث أن يصبح في وسعها وتشارلي أن يتزوجا ! .. ونفست كيتي الصعداء .. لوف يكونان في لوح العادة .. وكانت هذه ثمانية تستحق أن يخرجه من أهلها بعض المتاعب .. ولخذلت الرؤى تتنازع عليها متلاحقة ، متناخلة بعضها في بعض : فكرت في الحياة التي سيغيثها معاً .. في المرة التي سيحيطان بها ، وفي فحولات الصغيرة التي سيغرمان بها معاً .. في ليت الذي سوف يقيان فيه .. في المركز الذي سيرق إليه ، وفي

الموتة التي ستليها من أجله .. لوف يفخر بها كلّي التفخر .. أما هي .. سوف تعيده !

بيد أن مساً من التشنج كان يسرى في جميع هذه الرؤى من لحلام اليقظة .. كانت أحلاماً بهيبة ، كأنها كل شيء حولها كان يمشي أعقب الأحلام .. ولكن ، في قرول تلك الأنغام كان ثمة دوى خاللت منفر ، كتيب .. فإن وولتر لن يلبث أن يعود إلى البيت ، إذ عاجلاً أو آجلاً ! .. وتسرعت خفقات قلبها وهي تصور لقاءه .. كان من الغريب أن انصرف بعد ظهر ذاك اليوم دون أن يقول لها كلمة ما ، وراحت تردد لنفسها أنها بطيئة الخال لم تكن خائفة منه ، إذ ماذا يستطيع أن يفعل ، حل أسوأ الاقتراحات ؟ .. غير أنها حيزت عن أن تظلم من هواجسها .. وراحت تكرر من جديد ما اعترمت أن تقول له : ما جدوى إثارة ضجة ؟ .. إنها جند أسفة ، ويعلم الله أنها ما أرادت أن تصيب له ألماً ما .. ولكنها لم تكن تحب من أمرها شيئاً ، إذ لم تقو حل أن تحبه .. وما كان ثمة خير يرجى من التكلف والمداواة ، بل إن من الأفضل دائماً الاعتراض بالحقيقة .. ولها لرجو أن لا يشق ، فتقد لشركاً معاً في الخطأ إذ تزوجا ، وليس أنصل من الإترار بقلبك .. ولوف تظل تذكره دائماً بالخير !

وخشيتها لدعة من الحروف المياض ، رغم أنها ما كانت تعهدت إلا نفسها ! .. فإذا للمرة بتقصص من إلهامها بينها .. وأحت بالحق والمغضب يشتنان في أعانها عليه ، من قرط خرفها منه ! إذا شاء أن

وردت لنفسها بصوت عال وهي ترتعش غضباً : « لقد
سمنت : سمنت .. سمنت .. »
ثم تنأى إليها صوت السيارة تقف لدى باب حديقة الدار ..
وسمته يصعد السلم !

- ١٨ -

• وولج الغرفة ، فإذا قلبها يفتح في عنف ، ويداعها ترتجفان
- ومن حسن الصدقة أنها كانت مستلقية على الأريكة ، وقد أسكت
بكتاب مفتوح كما لو كانت تقرأ - ووقف وولتر على العتبة لحظة ،
ثم التفت أنظارهما .. وغاض قلبها ، وأحست فجأة بقشعريرة تسمى
في أوصالها فارتعشت .. وساورها ذلك الشعور الذي تعبر عنه
بقولك : « كان امرؤ يمشي على قبري ! »

كان وجهه في شحوب الموتى .. فبقي لم تره كذلك من قبيل
إلا مرة واحدة ، يوم كانا ييلسان في المترو ، فسألها أن تقبل الزواج
منه .. والآن لاحت لها عيناها السوداوان ، الجامدان ، للغامضتان ،
كما لو كانا اكتسبتا اتساعاً غير طبيعي .. كان يعرف كل شيء !
وقالت في تكلف : « لقد عدت مبكراً .. »

ولتر تجف شفتاه حتى كادت لا تبين كلماته وهو يجيبها :
« أظنني جئت في موعدي المعتاد فزيرى .. »

وتولاهما للزعر ، حتى خشيت أن تفقد الوحي .. وبلا صوته
غريباً في أذنيها .. سباً حين ارتفع عند الكلمة الأخيرة في جهد أراد

يشير ضجة ، فليكن له ما أراد ، والذنب ذنبه .. ولا يقيني له أن
يدعش إذا استجلب على نفسه أكثر مما كان يرجى .. لسوف تقول
له : إنها ما حفلت به قط ، وإنه لم يمر بها منذ زواجهما يوم لم تنم
فيه على زواجها منه ! .. كان خيلاً بليد الحس ، ولكم بهت الملل إلى
نفسها ! .. لكم أضجرها ! .. كان يعتبر نفسه أفضل بكثير من سواءه
وما أدمى هذا الضحك ! .. إنه لم يوت قط أي قط من المرح ،
وتنوق الضكامة : ولقد كانت تكره ترمته ، وبروده ، ورزاقته ..
وما أسهل أن يتخذ المرء حمة الرزاقنة إذا كان لا يهتم أو يئس بأي
شيء ، أو أي شخص ، هذا نفسه ! .. كان وولتر يشير تنزرها ،
حتى أنها كانت تكره أن تدعه يقبلها : فهم كان غروه إذن ، وجم
كان يزدهي وبنيته ! .. كان جاملاً في الرقص ، جامد الروح في
الحفلات ، لا يلبس ولا يفتي ، ولا يمارس « البولر » ، ولا يتنوق
على سواء في « التنس » ، أذكأن يملق « البريدج » .. ربما ، ولكن
منذا الذي يعمل بالبريدج ؟

وهكذا راحت « كيتي » تذكى جلوة ثورتها .. فليجرؤ على
أن يلومها ! .. لقد كان كل ما حدث نتيجة خطئه هو ، وإنما لتشر
بارتياح لكونه عرف الحقيقة أخيراً ، فقد كانت تكرهه وتبني
لو أنها لا تراه ثانية قط ! .. أجل .. كانت مضطربة لأن كل شيء قد
انتهى .. لم لا يدعها وشأنها ؟ .. لقد ضايقها حتى أرفقت الزواج
منه ، ولكنها الآن بلغت أقصى درجات الملل والضجر ..

لها جواً موحشاً .. إذ قال : « لم تصل الباغرة (امبريس) اليوم ..
وأخشى أن تكون قد عاقبتها عاصفة .. »

- هل كانت مرتقة اليوم ؟
- أجل ..

وتطلعت إليه إذ ذاك ، قرأت عينيها مثبتتين على طبقه .. وأبدى
ملاحظة أخرى ، تشبه الأولى في نفاستها ، إذ كانت تدور حول
مباراة دورية للتنس توشك أن تبدأ ، فنكلم عنها وأطال الحديث ..
وكان صوته عادة مقبولا ، غنياً بالنبرات ، ولكنه اقتصر في هذه
المررة على نبرة واحدة ، فبدأ غير طبيعي إلى درجة غريبة ، جعلت
كيتي تشعر كأنه يتكلم من بعد محيق ! .. وكانت عيناه طيلة الوقت
تتجهان إلى طبقه ، أو المائدة ، أو صورة على الجدار .. كان
يتحاشى أن يلتقي بصره بصرها .. وتبينت أنه لا يقوى على أن ينظر
إليها ! .. حتى إذا ما قرعاً من العشاء ، سألتها : « هل تصعد إلى
الطابق العلوي ؟ »

فأجابته : « إذا كان هذا يروق لك .. »

وتنهضت ، ففتح الباب وأسلك به كي تمر ، وهو يقضي بصره ،
وإذا بلغا قاعة الجلوس تناول الصحيفة المصورة من جديد ، وسأله :

« أهذا عدد جديد من (سكيث) ؟ .. ما أظن رأيت من قبل .. »
قالت : « لست أدري .. لما فطنت إلى وجوده .. »

كانت المثيلة ملقاة على المضدة منذ أسبوعين ، وكانت كيتي
(- العاصفة - كتاب)

أن يغالب به ما كان يخافه ، ولكنها أدركت أنه اغتصبه من حلقة
اغتصاباً ! .. وسألت نفسها عما إذا كان قد رأى كل جارحة في
جسدها وهي ترتجف .. ولم تغالب الصرخة التي كادت تند عنها
إلا بجهد !

وخض بصره قائلاً : « سأذهب لأستبدل ثيابي للعشاء .. ثم
فارق الحجرة وهي مضطربة الحواس ، حتى لقد ظلت دقيقتين
أو ثلاثاً لا تقوى على الحركة .. ولكنها لم تلبث أن رفعت جسدها
عن الأريكة في عتاه ، وكأنها برقت حديثاً من مرض أورها ضعفاً ،
ونفضت على قدميها ، وهي لا تدري إن كانت ساقاها تتويان على
حلقها .. وراحت تستند إلى المفاد والمضد ميممة شطر الشرفة ،
ثم اعتمدت الحائط يديها ، ومضت إلى غرفتها ، فارتدت ثوباً
عما يرتدى في مناسبة تناول الشاي - في ساعات الأصيل - حتى إذا
عادت إلى غرفة ويثبات أفنت واقفاً إلى جوار المائدة ، يتأمل الصور
في مجلة « سكيث » .. واستجمعت كل قواها لتدفع نفسها إلى داخل
الغرفة ، بينما ابتدرها هو قائلاً : « هل تهبط ؟ .. أحسب أن العشاء
معد ؟ »

- هل تركتك تنتظر طويلاً ؟
وضايقها أن لم تقو على السيطرة على رجفة شفتها ! .. ترى متى

يتكلم فيبدد هذا الانفعال ؟ .. وجلسا .. وسادها الصمت لحظة ، ثم
أبدى ملاحظة تطع بها جبل الوجود ، ولكن تغافة الملاحظة حملت

تعرف أنه قد بلغها صفحة صفحة من قس . ومع ذلك فقد
أمنت بها وحسن تشاغل بالظن إليها . وسمعت من أحد
الأكرامكة بسكة ركبها ، مع أنه كان من عذاتها ، إلى أمكنة وجدين
في المساء ، إلى بيضاء ، فيقولان : أو لغة ، أو لغة . ولكنه الجيفة
انضطجع في مسجد زوثير . في وضوح مريح . وقد استغرقنا كل
اشغاله في النظر ، حتى كان يمر بنا . لكنه لم يلقنا بصحة .
وحاولت من من راحلها أن تقرأ ، فلم تكن الجيفة في الثالثة أمام
عيناها ، ولما كانت مجهزة . لم أحتس برأسها تأملها
في قسوة وهي تسأل عنها : متى تردها ؟

وحساسة في صحت . وتحت كسفي عن اصطلاح المرأة
وتركت برواية تسقط في حجره لتسقط من النساء ، وقد نولها
خوف من أن تصير عياناً في حركة أو أنه صوت . أنه هو مجلس
هنا في ذلك التوضيح المريح ، وأن يحسن في حسنة منبه
الحامدين الواسعين . وهذا لما حده سرباً رهيماً ، أنه وحسن
يتأهب للالتفتش !

وأجست عندما ينس فتحة . فحسنت فصلي يتأهب في شدة .
وأجست بالعماء نفيس من وجهها . وقد جيل إيساب أن الحقة قد
حالت ! ولكنه دل في صوت هادئ ، أحرف . وعنده سحشها .
التي بعض عمل . لذلك سأكون في حجرة مكنت . لم يكن

لديت ما . وأنت أنت حكويين قد ثبت إلى مصححك عند
نوع .
- إلى ممة ممة ممة
- حسا عني ماء
- عجمه
- ورجح الحجرة

- ٦٩ -

■ انصرفت كيتي نيلويماً بنوس . في أول حرة سحت لما
في صباح . في . و قد هـ متنازل . مع . ماذا ليلك ؟
- زود . أن . انك

- إلى حد مشعل يا عريزي . ولما دخل حم الأعمول
- ولكنه أمر عظيم الأهمية . هل أستطيع أن أوابسك في
مكتك ؟

أه . لا . ما كنت لأفعل ذلك لو كنت في موصحك .
- دن . فعل إلى هنا

ليس في وسعي مقابلة مكتك . ما رأيك في أن تلقى بعد
ظهر يوم ؟ ثم لا تتر من الخير أن لا تأتي إلى دارك ؟
- من يجب أن أتك ؟

و . ص . برعه . حشيت معها . يكون الاتصال قد انقطع
فهمت أن هذا . أو لا . عسلان ؟

- أحل . كنت أقدر . من حدث شيء ؟
لا أستطيع أن أخبرك عن ذلك .

وسد . صحت . هو . أحسن . من .
وحسناً . من . الذي . من .
الوحدة . لا . أحسن . من .
وسؤوت . من . من .

فصامت في ساء . من . من .
فأنت . و . من . من .
(هوج لوح) . أن .

ولذلك . من . من .
سأذهب إلى حجرة .

٥ ٥ ٥

■ وهبت من . من .
طريق . و . من .
سحت . من .
عروسة . من .
رباني عراها . من .
شخص . من .
سرين . من .



... في خارج برعه كند حشد نحر
... حشد نحر

بالخول .. وقال الرجل في الإنجليزية مهشمة : « لم يأت مستر تاوئسند بعد .. هل تصعدين ؟ »

فسارت إلى مؤخرة المتجر ، ثم صعدت السلم الواهي المغم .. وتبعها الصبني ففتح لها الباب الذي أفضى إلى حجرة نوم مكتومة الهواء ، تشيع فيها رائحة الأفيون الحادة .. وهالك جلست على صندوق من خشب الصندل .. وإن هي إلا لحظلة حتى سمعت وقع قدمين ثقيلتين كانت درجات السلم تن تحتها .. وأقبل تاوئسند ، فأغلق الباب خلفه .. وكانت على وجهه بحاية قاتمة تلاشت إذ رآها ، فابتسم بطريقته المألوفة بلسانه وحسب بين درعاه سوداء فلما تم سأك : « والآن ماذا يضايقك ؟ »

لابلتمت قاتلة : « إن رقيبك كافية لأن تسرى عني » . وجلس على السرير ، وأشعل سيجارة ، ثم قال : « إنك تبدين شاحبة بعض الشيء في هذا النهار » .

فأجابت : « لا أعجب .. فما أراى أعجمت جفنًا طيلة الليل » . ورمقتها وهو لا يزال يتسم ، بيد أن ابتسامته بدت مصطنعة ، غير طبيعية .. وعيل إليها أن غلاما من القلق بدا في عينيه .. وأردفت : « إنه يعرف ؟ »

ورأت لحظة صمت قبل أن يجيب قاتلا : « وماذا قال ؟ » . — لم يقل شيئاً ..

تطلع إليها في حدة وتساءل : « ماذا ؟ .. وماذا يجعلك تطلين أنه يعرف ؟ »

— كل شيء : نظرت .. لمجته في الكلام أثناء العشاء ..

— هل كان يبت على الضيق ؟

— لا .. بالعكس .. كان مؤدباً بدرجة تبعث على الريب ، ولأول مرة منذ زواجنا لم يقبلني وهو يجيئني قبل النوم !

وغضت بصرها .. لم تكن واثقة من أن تشارلي فهم ما وراء ذلك ، فقد كانت « ولتر » يحرص على أن يحتضنها ويلصق شفثيه بشفثيها فلا يفلتها .. وجسمه يلين كأنه ينصر بالوجد الذي تثيره القيلة .. وسألتا تاوئسند : « ولم توهمين أن لديه شيئاً لم يقله ؟ »

لست أدري

ومادت فترة صمت ، جلست كيتي خلالها جامدة على الصندوق المصنوع من خشب الصندل ، وهي تطلع إلى تاوئسند قلق .. كان وجهه قد استردا كتابه ، وفطب ما بين حاجبيه ، واسترخت أعصاب ركبتيه .. « ما ليت تسع فجأة » ، وتومصت عينيه باندهج خبيث ، ثم استعرد : « ما أرى أنه سيقول شيئاً .. »

ولم تجب ، إذ لم تدور ماذا كان يعنى .. بينما أضاف قاتلا : « وعلى كل حال فإنه لن يكون أول رجل يغض عيني في حال كهذه .. ما الذي يقبله من إثارة الشحنة ؟ .. لو أنه أراد أن يثير ضجة لكان قد أصر على ولوج غرفتك يوم كناماً ! »

وأومقت عيناه ، وانفجرت شفثاه عن ابتسامة عريضة وهو يقول : « لا بد أننا كاستندو لحظتنا نموذجين للنباة ! »

— ليكن رأيت وجهه ليلة الأمس ..

— لعله كان مهموماً .. كانت صدمة بطبيعة الحال .. وإنه لموقف مهيمن لأى رجل .. لكن « ولتر » لا يوحى في بانه من الرجال الذين يعمدون إلى غسل القنطرة أمام الملائكة !

فأجابت وهي مستغرقة في التفكير : « ما أظنه يفعل .. إنه شديد الحساسية .. لقد تبثت ذلك » .

— هنا غير وأفضل بالفلسفة لنا .. ألا ترين أن من حسن التدبير أن نغضى نفسك في موقف غيرك ، وأن تسأل نفسك عما تفعلين لو كنت في مكانه ؟ .. ليس ثمة سوى طريقة واحدة يستطيع بها أى رجل أن يصون كرامته إذا ما وحد نفسه في مثل هذا الوضع ، وهي أن يصطحب الجهل بكل شيء ! .. وأراهنك بأى شيء أن هذا عين ما صوف يفعله ..

وكان تاوئسند كلما مضى في الكلام تزايد ابتهاجه ، فلمعت عيناه الزرقاوان ، واسترد مرحه ولطفه ، فأشاع جوار من الطمانينة المشجعة .. وراح يقول : « يعلم الله أنى لا أحب أن أغض من شأنه ، ولكنك إذا أعيت الناحية الزميمة لوجدت أن الطبيب « البكتريولوجي » ليس بلدى مكانة تذكر .. بينما الظروف كلها توحى بأننى سأغدو حاكماً إذا ما عاد « سيمونز » إلى الوطن ، ومن مصلحة « ولتر » أن يكون

على وثام معي .. فلأن عليه أن يفكر في مصدر عيشه ، كما نفعل جميعاً .. أفضلين أن وزارة المستعمرات تقدر رجلاً بثير فضيحة ؟ .. صديقين إنه يستطيع أن يكسب كل شيء إذا ما أمسك لسانه .. وأن يضر كل شيء إذا أثار ضجة ! »

وتعلمت « كيتي » .. كانت تعرف مدى خجل « ولتر » ، وتكاد تؤمن بأن انخوف من الفضيحة ، والذعر من إثارة انتباه الناس ، يسيطران عليه .. ولكنها لم تكن تعتقد أنه يحفل بالفكر في النفع المادى الذى يعود عليه .. وقد يكون من المحتمل أنها لم تعرفه حتى المعرفة .. ولكن تشارلي لم يعرفه إطلاقاً !

وسألت : « هل خطر ببالك أنه مجنون مجي ؟ »

ولم يجب ، بل ومقها بنظرة مبقسة من عينيها الماكرتين .. وكانت تعرف هذه النظرة الساحرة وتحبها .. فقالت : « حسناً ، ماذا لديك ؟ »

أعلم أنك توشك أن تنطق بشيء خطير » .

— أريد أن أقول إن النساء كثيرات ما يوحين إلى أنفسهن بأن الرجال يبهمون بين أكثر مما هم في الواقع !

وضحككت للمرة الأولى .. كانت ثقته توحى إليها بالطمأنينة :: وقالت : « ما أقبح ما تقول ! »

— بل أصارحك إنك لم تكوني تحفلين بزواجك كثير أفى الفترة الأخيرة :: فلعله لم يعد ملهماً بك بالقدر الذى كان عليه .

إنه ولابد كان عل علم .. لم يكن ثمة شك في ذلك .. لابد أنه كان ماعطلاً هلياً .. لم لم يقضض بشيء ؟ .. أكان ذلك لأنه — رغم غضبه — كان يميل إلى درجة تجعله يخاف أن تبهزه ؟ .. وجعلها هذه الفكرة أكثر شعوراً من قبل بشيء من الازدراء نحوه ؟ .. ولكنه ازدراء خال من سوء النية ، فهو رغم كل شيء زوجها الذي يوفر لها المأوى والسكن .. وإتيا لعل استعداد لأن تتلطف معه طالما حرص على هدم التدخل في شؤونها ، وتركها تفعل ما تشاء .. ومن ناحية أخرى ، لعل صمته راجع إلى إفراطه في الخجل وحسب ؟ .. لقد كان تشارلي مصيباً إذ قال أن ليس من مخلوق يكره الفضيحة قلدر وولتر .. إنه قط لم يلق في مناسبة خطاباً استطاع أن يتفاداه .. ولقد أنبأها مرة أنه استدعى يوماً للشهادة في إحدى القضايا ، فظل أسبوعاً قبل القضية ، لا يكاد ينام ؟ كان شجلاً نوعاً من المرضى ..

ومرة شيء أكثر .. إن الرجال مغرورون في أنفسهم ، ومن المحتمل أن يقتنع وولتر بشجاعتهم ما حدث طالما أن أحداً لم يلد بشيء ؟ .. وسألت كيتي نفسها : ذلك عندما كان تشارلي قد فهم الصواب حين أشار إلى أن وولتر كان مضطراً إلى أن يقدر مصدر عيشه ؟ .. لقد كان تشارلي أبرز شخصية في المستعمرة ، ولن يلبث أن يصبح في القريب حاكماً ، وإذذاك يفوق عظيم النفع لولتر .. كأنه يستطيع — من ناحية أخرى — أن يجعل نفسه مصلو تعب لولتر إذا شاء هذا أن يركب رأسه .. وخفق قلباً جذلاً إذ فكرت في قوة عاشقها وقدرته

على التدبير .. كانت تحس بين قراعي القويين بأنها عزلاء لا حول لها ولا قوة .. ما أعجب الرجال ؟ .. ما كان ليخطر ببالها أبداً أن وولتر يهوى إلى مثل هذا الموان .. ومع ذلك ، فن يدري ؟ .. لعل مظهره الوقور لم يكن سوى قناع يفتق طبيعة وضعية ، صغيرة ، عزية .. وكانت كلها فكرت في ذلك ، إذ دأبت ميلاً إلى الإيمان بصدق تشارلي .. وحولت نظرها مرة أخرى إلى زوجها في غير مارتق أو تسامح ..

وكانت المرأتان الجالستان إلى جانبيه قد تحولتا في تلك الأثناء إلى جاريهما وأخذتا تبادلان الحديث .. بينما بقي هو وحيداً ، يحدق في الفضاء أمامه ، وقد نسي المأذبة ، وقاضت حيناً يحزن قاتل ، هز قلب كيتي ؟

- ٢٢ -

● كانت كيتي مستلقية بعد غداء اليوم التالي مغنية ، حين أيقظتها طرفة عل بابها ، فصاحت في انفعال : « من هناك ؟ » .. ولم تكن قد اعتادت أن يزورها أحد في مثل تلك الساعة .. وسمعت صوت زوجها يقول : « أنا .. » فأسرعت تجلس وصاحت : « ادخل .. » فأسلفا وهو يفتق الباب خلفه : « هل أيقظتك ؟ »

فأجابت باللهجة الطبيعية التي انتهجتها معه في اليومين الأخيرين . « أجل ، إن شئت الواقع . »

— هلا آتيت إلى الحجرة المغبورة ، إذ أريد أن أتحادث إليك قليلاً .

انفثرت فيها الكوليرا ؟ .. كان مستر أربونوت يتحدث عنها ليلة أمس .

— هناك وباء ، أعقد أنه أسوأ مظاهر منذ سنوات .. وكان يعمل في المنطقة طبيب من رجال البعثات البشيرية ، ولكنه مات بالكوليرا منذ ثلاثة أيام .. وفيها عدا راهبات الدير الفرنسي ، وموظف الجمرع بالطبع ، فإن جميع سكان المنطقة هجروها ؟

وكانت نظراته لا تزال مثبتة عليها ، ولم يك في وصفها أن تنكس بصرها .. وحاولت أن تقرأ ماسيطر على ملامحه من تعبيرات ، ولكن أعصابها كانت مضطربة ، فلم تتالك أن تجد نفسها مسوقة إلى الترام لون غريب من الخلد .. كيف يرمقها بهذا الحزم ، فلا يكاد يطرف له جفن ؟ .. ومضى يقول : «

— وبذل الراهبات الترنسيات قصارى جهدهن في مكافحة الوباء ، وقد أحلن الملجأ إلى مستشفى .. ولكن الناس يهرون صرعى كالذباب .. وقد هرخت أن أذهب وأتولى مقاومة الوباء ..

— أنت ؟

وأجملت مأخوذة .. وكان أول ما خامرها أنها إذا مارحلت غدت حرة ، لا يعوقها شيء عن أن ترى تشارلي ؟ .. ولكن الفكرة هزت كيانتها ، فتمرت بوجهها بتضجر .. لماذا يرقبها هكذا ؟ .. وأشاحت في حيرة ، وتساءلت مثلثة : « أو هذا أمر لا مفر منه ؟ »

— ليس في المنطقة طبيب أجنبي واحد ..

واشتدت ذقات قلبها في صدرها فجأة ، وقالت : « سأرتدى ثوباً والحق بك . »

وتركتها ، فلمست قدميها العاريتين في نعلين ، ولفت جسدها في غلالة كيمونو .. ثم أطلت في المرآة ، فإذا هي شديدة الشحوب ، فوضعت بعض الطلاء الأحمر على وجهها .. ووقفت لدى الباب لحظة لتجتمع أعصابها للمقابلة .. ثم لحقت به بوجه تجلث عليه الجراة المجررة من الحياة ..

وباحوته : « كيف استطعت أن تتأخر المصل في هذه الساعة ؟ .. ما اعتدت أن أراك كثيراً في هذا الوقت من النهار . »

— هلا جلست ؟

ولم يطرر جواب .. كان ينكم سبعة رصية مهينة ، فسر ما آل تستجيب ، إذ كانت وكينها قد شرهتا ترخيفان .. ولأذت بالصمت ، عحرت عن المسمى أو فحشها ساحرة .. وحس هو بدوره .. ثم شمس سيجرة .. وراحت عراة شعاعاً في أرجاء الحجرة في غير استقرار .. بدا أنه يعاني مشقة في فتح باب الحديث .. وفجأة تطلع إليها عملياً في وجهها ، فإذا نظراته — لفرط ما كانت تنفادها — تبعث الذعر في نفسها ، حتى لم تتالك نفسها من إطلاق أنه مكتومة .. وسألها :

— هل سمعت يوماً عن « دى — نان — فو » ؟ .. لقد تردد اسمها كثيراً في الصحف أخيراً ..

وحلقت فيه في دهشة ، ثم قالت في تردد : « أهى المنطقة التي

.. ولكنك لمت طبيباً ، وإنما أنت « بكتريولوجى » ..

— ثم فُين أننى حصلت على إجازة الطب وأننى قبل أن انخضع
في التحاليل تدربت فترة طويلة في المستشفيات على ممارسة الطب عامة ..
ثم إن كنت تفضّل : « بكتريولوجياً » أم « بالنسبة لى » ، « سيصبح لى
فرصة رائعة للقيام بالأبحاث »

وكما يذكر فى « حافى » ، وأهلها حين نظرت إليه أن رأته فى
عييه وميضاً من سحره ولاسهامه .. عجزت معه عن أن تفهم ما كان
يقضى ، وقالت : « لكن ذلك سيكون أمراً بالغ الخطورة ؟ »

— إن أقصى درجة

وابتسم .. ابتسامة ساحرة .. وأسندت هى جيئها إلى راحتيها ..
أهو انتحار ؟ .. ربما .. « لا .. إنها ما كانت تظن أنه
سيبقى حياتها على هذه الصورة .. لكنها لا تعلم أن تقدمه يقدم على ذلك
.. إنها لقوة : لم يكن ذهنها أنها لم تحه ؟ .. ولم تقو على احتمال التفكير
فى أنه سيقبل نفسه من أجلها ، فانسابت الدموع على خديها مدراوا ..
وسألت : « لم تكن ؟ » .. فأجابته بلمحة باردة : « لست مجرباً
على الذهاب » ..

— هذا صحيح : هنى ذهابي فخص لراذنى :

— « إن أرجوك أن لا تذهب يا بولتر : سيكون الأمر فظيماً لو أن
شيئاً حدث لك : هـ أنك لقت حتفك ؟ »

ومع أن وجهه ظل جامداً ، إلا أن شبح ابتسامة عاد يطفو على

طراته .. ولم يجب .. فسادت تساه بعد صمت : « أين حج هذا
سك ؟ »

— « هـى — تان — فو هـ » .. إنه مجرد فرع من النهر الغربى .. ومن
ثم يجب أن نرحل على النهر إلى نجاها مصيه ، ثم نتم رحلتنا على المحفات ..
— من قصد بـ « تان ؟ »

— أنت .. وأنا ؟

ونظرت إليه فى عجلة وقد خبل إليها أنها أخطأت السمع : فذا :
الابتسامة قد اسفلت من عييه إلى شفتيه : « وإذا عيناها السودوان
مشتتا عينا .. مسألته : « تتوقع أن أرحل أنا الأخرى ؟ »

— طسك ستر عيى فى دمت ..

وبدأت أنفاسها تهبط متلاحقة .. وسرت فى كتابها وعده .. ثم
قلت : « ولكن من المؤكد أن ليس هناك حال لامرأة .. لقد أرسل
المبعوث الدينى زوجته وأولاده إلى هـا منذ أسابيع ، كما جاء بمبعوث
الإدارة العامة وزوجته ، إذ قابلتها فى حفلة شائ .. وقد تذكرت الآن
أنها قالت إنها غادرا المكان بسبب الكوليرا »

— هناك خمس راهبات فرنسيات باقيات فى المنطقة الموبوءة ..

وتملكها الذعر ، وقالت : « لست أدري ما تقصد .. من الجنون
أن أذهب ، فأنت تعرف مدى ما عليه حتى من إرهاب ، وقد قال
للدكتور هايوارد أن على أن أعادو هونج كونج لشدة حرها .. إى
ن أقوى على احتمال الحر هناك .. والكوليرا ! سوف أجن فزعاً ..

— لن أذهب يا بولتر .. من اقنوة لشعة لن تغضى بالذهاب ..
— إذن ، فلى أذهب أنا الآخر .. ما نادر بل صعب طلى ..

— ٢٣ —

● حفت فيه مشلومة ، فإياها لم تكن تتوقع ما قبل : حتى
لقد صعب عيها فى بداية أن تملك نفسها .. فهفت وهى تشق :

« ماد تخنى بريك ؟ »

وبدا يربف فى ردها وأصحا .. حتى لنفسها ! .. ورأت نظرة
أرداء تفت من وجهه النصارم وهو يحبسها : « أحنى أنت عالى
فى تشديد عيائى ! »

ولم تنز تماماً ما يبنى أن تقول .. ترددت بين أن تقل على
تأكيد براعتها فى ثقة وكبرياء ، أو تنفجر متحبة عليه باللائمة فى
حق .. ولظهر أنه قرأ أفكارها ، فقد قال : « إن لدى الدليل
الكا فى ! »

واخرطت فى الكاء .. أسات بدموع من عيناها دون ما عساه
واصبح ، قم لتقول أن نصفها ، بل بدا الكاء كأن يتبع لها فترة
كى تملك نفسها ، إذ كان ذهنها حلواً من أية فكرة تسعها .. بينما
راح هو يرقها فى غير ما اكتراث ، حتى أن هدوده أفرعها ..
واردد صيره ندداً ، قال : « أنت تصمى لك لى نعى شيئاً من
اليكه .. »

لست بذلك نرحل من هـا بظنره لفسادته .. لا على وجهه ..
ما موت لو تم ذلك !

ولم يصب .. وتذهب بـ « بى » بـ « بى » .. ولم تكن على
كبح صرخه أو شدة لى .. كذا وحده هذا لى مشجوب
فتم .. وسمعت فى هـ غيرة صمت .. أذهب .. أو لن نكمل أنه بـ
لما أن تقو .. وسألت لى لإحقة مدحها من هـا طائر المزعج ..
هـا عده صحت .. لم تكن ترى أنه حذر لك لى ..
هـا لك ريث .. وكنت عدل لاسمعه .. « أذهب .. بى ..
المرض .. والكوليرا .. هـا هـا هـا هـا هـا ..
لنى شجاعة .. ولا يبرون أن لست بـ « بى » فلو نسى آخره على ذلك ..
سأبقى هـا على أنها أوفت لأذهب إلى لى ..

— طيب أنت سر عيى فى مردنى .. أحن .. مهمة خطرة !
كان يسخر منى فى عمر ما مدرة .. وكنت من الاستطراب
بغيت لم تفر ما إذا كان بى ما قال .. أم أن بى لى مجرد حافى
فقلت : « ما طلى أحداً يومى إذا أن رفضت الذهاب إلى منطقة حذرة
كهذه .. لا نعمل لى فيها .. ولا يجوز المصاع فى .. »

— بل تستطيعين أن تكونى عطيبة نفع .. يا ترى بى ونعلى
على توفير الراحة لى ..

فأرداد شجوها ، وقالت : « لست أفهم ما تقول .. »

— ما طلت أن مهمة يحتاج إلى أكثر من ذلك متوسط !

وأن دوروثى تاونستد لى استمداد تام لأن تطلقه ، ومن ثم فستزوج مجردة مخرونا من وابطننا ..

— هل ذكر لك هذا في عبارات واضحة مفصلة ، أو إنه مجرد الأثر الذى أوحى به إليك تسردنه ؟

وأنت تسردنه من غير تردد ، غير المثلث كنى ، لها لم يكن شيء ثم أتت لى فى الحادية ما أبل هذا من عبارات واضحة وبسيطة ، وحدها فى هذه على مرأى ونكرار ..

— هل لك أن تتركى أنه كنى ؟

— بل حتى لم يرد ، بل حتى لم يرد .. ومن ثم من أمثال الإنكار ..

المادة الأخيرة .. كنى فى قرابة العام ، وإلى الغيرة بدت ..

— بل لك عرفت ذلك أخيراً .. لقد شغلت غاية السام اضطرابنا إلى التكم والحيلة وما إلى ذلك .. كان خطأ أن تزوجت منك ، فما كان يبنى لى .. كنت حقا .. إذ أنى

— بل من أماس ، وأنا أضيق كل الضيق بما يروى لك من أشياء .. وكما أنا قريرة لانتهاه كل هذا الزيف !

وكان يراقبها دون أن تخلع في وجهه جراحة تم عن شعوره .. كان يصغى في وعى دون أن يفسد من وجهه .. بشى بأن لما قاله

أثراً على نفسه .. واستطردت ..

وكان صوته بارداً ، قاسياً ، أثار في نفسها شيئاً من الأنفة ، فشرعت تسترد وباطة جاشها ، وقالت :

— بل لك عرفت ذلك أخيراً .. لقد شغلت غاية السام اضطرابنا إلى التكم والحيلة وما إلى ذلك .. كان خطأ أن تزوجت منك ، فما كان يبنى لى .. كنت حقا .. إذ أنى

— بل من أماس ، وأنا أضيق كل الضيق بما يروى لك من أشياء .. وكما أنا قريرة لانتهاه كل هذا الزيف !

وكان يراقبها دون أن تخلع في وجهه جراحة تم عن شعوره .. كان يصغى في وعى دون أن يفسد من وجهه .. بشى بأن لما قاله

أثراً على نفسه .. واستطردت ..

— بل لك عرفت ذلك أخيراً .. لقد شغلت غاية السام اضطرابنا إلى التكم والحيلة وما إلى ذلك .. كان خطأ أن تزوجت منك ، فما كان يبنى لى .. كنت حقا .. إذ أنى

— بل من أماس ، وأنا أضيق كل الضيق بما يروى لك من أشياء .. وكما أنا قريرة لانتهاه كل هذا الزيف !

وكان يراقبها دون أن تخلع في وجهه جراحة تم عن شعوره .. كان يصغى في وعى دون أن يفسد من وجهه .. بشى بأن لما قاله

أثراً على نفسه .. واستطردت ..

— بل لك عرفت ذلك أخيراً .. لقد شغلت غاية السام اضطرابنا إلى التكم والحيلة وما إلى ذلك .. كان خطأ أن تزوجت منك ، فما كان يبنى لى .. كنت حقا .. إذ أنى

— بل من أماس ، وأنا أضيق كل الضيق بما يروى لك من أشياء .. وكما أنا قريرة لانتهاه كل هذا الزيف !

٨٩ أن تخيبي ، ولم أر ما يدعوك إلى أن تخيبي ، بل وما تصورت أنى من الشخصيات التي تحب .. وكنته قريراً بأن تسمحى لى بأن أحبك ،

وكنت أظير جلالاً إذا ما خجل لى من أن إلى آخر أنك واضحة عني ، أو إذا ما لاحظت في حينك بريق حنان صادق .. وحاولت أن

لا أصابك بمجي .. كنت أدرك أن ذلك يكلفني غالباً ، ومع ذلك كنت دائماً أراجع من أول إشارة تشى لى بأنك تصيقتين بعاطق ..

وكنت ألتقى ما بعده معظم الأزواج حقاً من حقوقهم ، على أنه جيل منك !

قط لم تسمح كئيب مثل هذه الأقوال توجه إليها من قبل ، وهى التي ألفت طلة عمرها أن لا تسمع سوى عبارات المداينة والملى !

فأبقي في قلبها حتى سخطت كنعس ما كان فيه من خوف ، وغالت أنه يوشك من يغتفها .. وأحست بالأوعية النعوية في صديها تخطع

في عطف .. كان للفرور الجريح يعمل المرأة أكثر تحملاً للانتقام من أية لؤة حرمت من أشياءها ! .. وبرز فيها الأسفل إلى الأمام

— مع أنه عادة مربع بعض الشيء — فلما شكلها قيحاً .. وأظلمت عينها بالشر ، ولكنها ظلت مبطرة على أعصابها ، وقالت :

— إذا لم يؤت الرجل ما يلزم لأن يحمل المرأة على حبه ، فالذنب في ذلك ذنبه ، لا ذنبا !

— هذه حقيقة واضحة كل الوضوح ..

وضاغت لمجة الساخرة من غيظها .. وأحست بأن في معها

— أنعرف لم تزوجت منك ؟

— لأنك أردت أن تزوجى قبل أنحك دوريس .

وكان هذا حقاً ، ولكنها أحست بشيء من الدهشة المثيرة إذ تبينت أنه على علم به .. ومن العجيب حقاً أن هذا أثار في نفسها شيئاً

من الإشفاق ، في هذه اللحظة التي امتزج فيها الخوف بالنفص !

وابتسم هو في ذهن قائلاً : لم تخالجنى أية أو هام عن شعورك نحوى .. فقد كنت أعرف أنك حقا ، وعناء ، غاوية الرأس ..

ولكني كنت أحبك .. كنت أعرف أن أهداقت ومشك العليسا مبتذلة .. سوية .. ولكني كنت أحبك .. كنت أعرف أنك إنسانة

من الدرجة الثانية .. ولكني كنت أحبك ! .. ومن المضحك أن استعرض في فكرى الآن كيف حاولت جاهداً أن أستطيع ما كان

يطلب لك من أمور ، وكيف كنت حربصاً على أن أخنى عنك أننى لم أكن جاهلاً ، ولا دنيئاً ، ولا عيباً لإثارة القضايح ، ولا غيباً ..

كنت أعرف مدى ذورك من الدكاء ، فبللت كل ما في وسعى لأجعلك تظننني على شاكلة من عرفت من الرجال الأغبياء .. كنت

أعرف أنك لم تزوجى منى إلا لترضى غرورك ، ومع ذلك فقد كان حبي عظيماً إلى درجة جعلني لا أكثر .. إن معظم الناس

— على ما أرى — يشعرون بنفاضة في نفوسهم إذا ما أجبروا شخصاً ما ووجدوا أن حبيهم لا يقابل بمثل .. فلا يثرون أن يشعروا بغيظ ومرارة مطردين .. لكني لم أكن من هذا الصنف ، فأتوقعت يوماً

ولكن وجهها تضرع في عين اللحظة التي قالت فيها ذلك ،
إذ أحست باستحياء وعزى .. ولم يجبه ، ولكنها قرأت في عينيه
أزدها قاسياً .. وحرم على شفثه طيف ابتسامة ، وقال :
— لعلي ، كنتك الشخصيات التي يمدننا عنها التاريخ ، أشعر
بأننى أرفع من أن أنشاجر ..

وهزت كيتي كتفها وقد صجر ذهنها عن أن يسفها برد ..
وظل هو لحظة يتقاذفها بين نظراته الجامدة ، ثم قال :

— أظننى قلت كل ما أودت أن أقول .. إذا كنت ترفضين
الذهاب إلى — هـ — ثان — لو — ، فسألنى طليبي ..

— لم لا توافق على أن ندعى أطلب الطلاق منك ؟

فرجع بصره عنها أخيراً ، واضطجع في مقعده ، وأشعل سيجارة
دخنها حتى نهايتها دون أن ينبس ببنت شفة .. حتى إذا أتى ما تبقى
منها ، أرسل ابتسامة بسيطة ، وعاد ينظر إليها قائلاً : « لو أن مسر
ناولسند أكدت لي أنها منطلق زوجها ، ولو أنه أعطاني وعداً كتابياً
بأن يتزوج منك في خلال أسبوع من صدور قرار الطلاق اللبائ ،
فإننى أوافق .. »

وكان في الطريقة التي تحدث بها ما أشعرها باغوان ، لكن
كرامتها دفعتها إلى قبول ما عرض في ترفع ، قائلة : « هذا كرم
عظيم منك يا وولتر .. »

أن توغل في إبلامه إذا هي احتفظت بهدوئها .. فقالت : « كنت
راقية التعليم ، لا أنا عظيمة الذكاء والمهارة .. إنما أنا شابة عادية
في كل شيء .. أحب ما اعتاد الناس الذين قضيت عروى بينهم أن
يجبهه .. أحب الرقص و « التنس » والمسرح ، وأحب الرجال
للذين يمارسون الألعاب .. وفي الحقيقة إننى كنت دائماً ضجيرة
منك ، أصبى بما تحيل إليه من أشياء .. فعلى لم تكن تروق لي في شيء
ولا كنت راجية فيها .. لقد جررتني معك إلى معارض البندقيبة
ومتاحفها التي لا نهاية لها ، في حين كنت أشعر بجهد من المتعة
لو أتنى — بدلاً من ذلك — لعت « الجولف » في « ساندويتش »
— أعلم ذلك ..

— إننى أسفة إذا لم أكن كما ترفضين ورجوت منى .. ومن
سوء حظنا أننى كنت دائماً أجندك تثير نفورى من الناحية الجسدية.
وليس في ذلك ما تستطع أن تلومنى عليه !
— لست ألومك ..

وكان الاندماج في الموقف أيسر على كيتي لو أنه ثار أو أرغى ،
إذ كان في وسعها عندئذ أن تقابل العنف بعنف .. لكن سيطرته على
نفسه كانت قاسية عليها ، فإذا بها تمته إذ ذاك كما لم تمته قط ..
فيل .. مما دفنها إلى أن تقول له : « ما أحبك رجلاً على الإطلاق ..
لماذا لم تنتقم الحجره حين عرفت أننى كنت فيها مع تشارلى ..؟
كان في وسعك أن تحاول أن تضربه على الأقل .. أو كنت خائفاً ؟ »

ولدهشتها ، انفتح فجأة مقعدها ، قاهر وجهها غبطة وصاحت :
« ما الذى يضحكك ؟ .. لست أرى ما يضحك .. »

— معلومة .. يجبل إلى أن لي شعوراً غريباً في تقدير موطن
الفكاهة ..

فمحدثته في عبوس ، وهى تود لو ترميه بكلمة قاسية تخرج
شعوره ، لولا أن ذهنها لم يسفها .. وأتى هو على ساعته نظرة ،
ثم قال : « يحسن بك أن تبادرى إذا شئت أن تتصلى بتاوسند في
مكتبه ، فإن موعد انصرافه قد أوف .. أما إذا قررت أن تأتى منى
إلى — هـ — ثان — فو — فيكون من الضروري أن تبدأ الرحلة بعد
غداً .. »

— أو تريد أن أنبئه اليوم ؟

— يقولون إن ليس أنسب من الحاضر وقتاً ..

وشرعت ذقات قلبها لتتسارع .. لم يكن ما أحست به قللاً ،
وإنما كان .. لم تكن تدري تماماً أى شيء كان ! .. وودت
لو أنها أمهلت فترة أطول ، فقد كانت ترجو أن تمهد لدى تشارلى
لحديث .. يبد أنها كانت توليه كامل الثقة ، إذ كان يجبهه بقلوب
ما تحبه ، وكان من الغير أن تسمح بأن تعبر بذهنها أى خاطر عن
أنه قد لا يرحب بالضرورة التي فرغت عليها ..

والثقت إلى وولتر قائلة في جسد : « ما أظنك تعرف ما هو
الحب .. ليست لديك آنفه فكرة عن مدى ما يكتنه كل من تشارلى

، إياى من حب للآخر .. وهذا هو الشيء الوحيد المهم في الأمر ..
وإزاهه ثبور كل تضحية قد يتطلبها حبنا ..

فاظنت إليها في الختام بسيطة دون أن ينبس ببنت شفة .. وتبعها
عيناه إذ صارت في خطى منتظمة ، مغادرة الحجره ..

— ٢٤ —

● وأرسلت كيتي إلى تشارلى ورقة كتبت عليها : « أرحو
أن تسمح لي بمناقشة لأمر هام عاجل .. وسأله خادم صيني أن
ينظر ريثما أحضر لها الجواب بأن مسر تاوسند يستقبلها خلال
عشر دقائق .. وكانت مرتبكة الأعصاب للدرجة لا أحد لها ..
وعندئذ تفتد أخيراً إلى غرفته ، تقدم تشارلى فصافحها ، على أنه
لم يبت أن أسقط تليفه الرسمي بمجرد أن أغلق الخادم الباب وتركها
في حيرة .. وعددها قل .. « أعتقد يا عزيزتى أنك ينبغي أن لا تأتى
إلى هنا أثناء ساعات العمل .. فإن لدى مشاغل جمه ، كما أننا لن
نرضى بأن نتيح للناس فرصة كي يتقاولوا علينا .. »

فرمته بنظرة طويلة من عينيها الجميلين ، وحاولت أن تقيم ..
لكن شفثها يجدها ، فلم تستطع .. وقالت أسيروا : « ما كنت لأتق
ولا الضرورة .. »

فأبشم وأمسك يداها قائلاً : « ما دمت هنا ، فنعلى واجلسي ..
كانت غرفته ضيقة ، ذات سقف عال ، خالية من الرياش ،

فكان كئيل ما احتوت من أناث يتألف من مكتب كبير ، ومقعد دوار يجلس فيه تاونسند ، ومقعد جلدي وثير للزائرين .. وأحست كيتي برهة وهي تجلس في هذا المقعد ، بينما يجلس هو إلى جانبه .. ولم يكن قد وأنه يلمس « نظارة » من قبل ، لا ولا درت أنه يمسك .. فلما لاحظ أن نظارتها استقرت عليها ، غطىها قنابلاً .. « حملها إلا في القراءة » ..

« تاتت الدموع إلى عينيها في سهولة ، دون أن تترى لذلك سبباً .. فشرعت تنحب .. بهيم تنحب أن تمعد أن تمعد ، وإنما كانت تأسر وما رغبة غريزية في أن تستير عطفه .. فحملن فيها ، وقسماء : « هل حدث شيء ؟ .. أواه يا عزيزي ، لا ليكي ! ! »

فأخرجت منديلها ، وحاولت أن تكتع عبراتها .. ودق هو الجرس ، فلما أقبل الخادم خلف لقائه لدى الباب وقال له : « إذا ساءك أحد عتي قتل له لثقي في الخارج » ..

« حسناً يا صيدى .. »

وأغلق الخادم الباب ، فجلس تشارلي على فراخ المقعد وأحاط كيتي « بكيتي » بلراعه قائلاً : « الآن يا كيتي العزيرة .. نبتني بمالكك .. »

ضالت : « إن وولتر يريد الطلاق ! ! »

وأحست بلراعه ترائي حول كيتي ، وبجسه يحمده ..

نملين ! !

.. ولماذا ربك ؟ أحسني أنك سخطيرين إلى ذلك .. ويعلم الله أنني لا أريد ضجة ، ولكننا لا نستطيع أن نرقد على حبيبنا ونلقى المجرم صاعرين !

« وما حاجتنا إلى الدفاع ؟ »

« بأنه من سؤال ! .. ثم إن الأمر لا يتعلق بك وحدك ، بل يعني أباي الآخر .. على أنني بالطبع لا أطيق بلوحة إلى أن تخاف .. سيكون بوسعنا أن نهزم زوجت بطريفة ما .. وليس يرعيني سوى سحت عن خير طريقة لذلك »

وبدا كأنها وافته فكرة .. إذ تحول نحوها بإبتسامة الساحرة .. وقد تحولت طبعه - التي كبت منذ لحظة حادة وحادة - إلى تظلم : « أقتن .. أحسني أنك تعرضت لصدمة قاسية أيها الصغيرة المسكية ما أسوأ هذا ! ! .. وعد يده فحاول بدنها وهو يستطرد : « هذا مارق نزلنا إليه ، ولكننا سحرجه مع .. إنها ليست .. وأسكت عن الكلام ، فبحسب بال كيتي أنه كان يوشك أن يقول إنها ليست المرأة الأولى التي جرح فيها من مثل هذا الموقف .. على أنه أدف يقول : « أهم شيء هو أن أحفظ شأننا .. وإنك تعرفين أنني لن أنخل عليك أبداً ! ! »

« لست فرقة .. ولست أحفل بما قد تفعل وطل منسماً ، بيد أن انفسه بدت كأنها كانت منعصة إلى حد ما ، وقال : « إذا تطور الأمر إلى أسوأ حدوده ، سأحضر ٧١ - أمة سنة - كناس ،

ولاحظت الأفعال التي شرب صوته .. فحسنت حينها وقالت : « لا حيلة لي في هذا يا تشارلي ، فبي لا أكاد أقوى على أن أملك نفسي لزامه .. »

« ما أراك تقوين حقاً .. كان الأمر مجرد حدث مهيء .. ولست أقل منك استحقاقاً للوم .. والذي ينبغي أن نفعله الآن هو أن نندبر طريفاً نخرج من المارق .. ما أراك راعية في سطلاق ، سألتك في ذلك شأن ! ! »

وكنمت شهقة كادت تملت منها .. ونظمت إليه في تساؤل ، فإذا هو لا يفكر فيها .. إذ هو : « بي أن تسأل .. أية أدلة يملكها ! ؟ فليست أدري كيف يستطع أن يثبت حقاً أن كان أحجرة ممأ .. كما في كل شيء حذرني إلى أقصى ما يستطع أي امرؤ آخر .. وإلى لماكد من أن المحرور صاحب متحر العاديات لا يجوز من الوشاية ما .. وحتى إذا كان قد رآه منك ، فليس ثمة ما يحسول دون أن نشارك معاً في البحث عن اسحتف نظريته ! ! »

وبدا كأنه يحدث نفسه أكثر مما كان يحدثه .. واستطرد يقول : « إن توجيه الاتهامات من السهولة بمكان ، ولكن من العسير جداً إثباتها .. إن أي محام يؤكد لك هذا .. ومن ثم مخفنا تمثل في أن نكر كل شيء ، فإذا هدد رفع الأمر إلى القضاء ، قبلنا له أفضل ما بدا لك ، وخصنا المعركة ! ! »

« لكي لا أستطيع أن أفهم أمام القضاء يا تشارلي .. »

في منصب تحت إمرته ، فليس من الحكمة في شيء أن يتناصب كبار موظفي المستعمرة العدا .. فقالت في إختلاس : « ليس من الخير أن تلجئ نفسك يا تشارلي .. فلو أن وولتر عقد الزم على أن يرفع قضية ، لما كان لأى شيء تلك أنت أو سواك قوله أنه تأثر عليه . »
وعاد وجهه يكتسى بهامة وجسواً ، وتساءل : « أكانت فكرته أن يزوج في طرفاً في القضية ؟ »

— كانت تلك فكرته في بادئ الأمر ، ولكنني أنلعت في النهاية في أن أحله على أن يرتضى أن أكون أنا طالبة الطلاق .
فعاد يتخلى عن توتره مرة أخرى .. ورأت آثار الارتفاع في عينيه ، وهو يقول : « أه .. ليس هذا بالأمر الفظيع .. بلوح لي أن هذا خير مخرج .. وهو .. على كل حال ، أقل ما يستطيع أن يفعله أى شخص آخر .. إنه عمل يتم من التمثل .. »
— ولكنه يتسلك بشرط ..

فرمقتها بنظرة مسائلة ، وقد لاح عليه أنه يفكر .. وقال :
« لست واسع الثراء بطبيعة الحال ، ولكنني سأبذل كل ما في طريقي .. »

ولاذت كبتى بالصمت .. كان تشارلي يتحدث عن أمور ما كانت أبداً لتتوقع أن يتحدث عنها .. وقد جعلت هذه الأمور من العبير عليها أن تتكلم .. كانت تتوقع أن تقضى له بهذا الشرط في

الحاكم .. ولوف يلمنى ويقوى السخط على ، ولكنه طيب ، ورجل دينوى حقاً .. وستدرك الأمر بطريقة ما ، إذ ليس من صالحه في شيء أن يفرح بقضية ما .. »

فتساءلت كبتى : « وما الذى يستطيع أن يفعله ؟ »
— يستطيع أن يضغط على وولتر ، فإذا لم يؤثر عليه من ناحية تتعلق بعلومه ، فإنه سيواجه من ناحية إدراكه الواجب ..
وأحست كبتى بقشيرة باردة ، إذ لاح أنها كانت عاجزة عن أن تبه تشارلي إلى مدى سوء الموقف وخطورته .. وذهب استخفافه ببقية جلدها ، فأحست بالندم لأنها جاءت لمقابلته في مكتبه ، إذ كان الجور المحيط بها يشيع في نفسها رهبة .. ولو أنها كانت في أحضانه وذراعها حول عنقه ، لسبل عليها أن تقول ما كانت تود قوله !

وقالت : « إنك لا تعرف وولتر على حقيقته .. »
— ولكنني أعرف أن لكل رجل غمماً ..
وكانت تحب تشارلي بكل قلبها ، ولكن وده أشعرها بالصغار ، إذ كان من الغباء لرجل في براته أن يقول ذلك .. فعادت تقول :
« ما أراك قد تبيت مدى غضب وولتر .. إنك لم تر وجهه ولا النظرة التي كانت تثبت من عينيه .. »
وظل لحظة لا يعب ، وإن بقي ينظر إليها وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة .. وعرفت ما كان يفكر فيه .. كان وولتر ، كيكتر بولوجي ،

وجلس إلى حوارها ، وذراعها حول خصرها ، وقال : « حاولي أن لا تمكري صوفك يا حبيبتى ، إذ يجب أن تحتفظ برابطة جأشنا .. »
— فلنكن نحين .

فقال بجان : « بالتأكيد أحبك .. وليس بوسعك الآن أن ترتأي في ذلك ! »

— إذا لم تطلب هي الطلاق منك فل .. انز .. هناك طرفاً في القضية ..

وترث فترة ليست بالقصيرة بتدبر الجواب ، هنا تكلم انعت صوتها خشناً : « إن هذا ولا شك مستغلي .. عمل .. لكني أحس أن لا يبعد عليك أنت بعضاً من خبر من وراء ذلك .. »
ولم ألتزم الأمر .. سمعت بعض حروف فاستمرح دورى في نكل شيء .. وسوف زلت رجة مضربة .. ولكننا متصر في .. ثم حطرت له فكرة هاروف : « لست واثقاً من أن كنان الأمر عنها من حين فلو أنها ذهبت إلى لست لاسعد .. في .. أن عمله على أن يملك لسانه ! »

— أتعنى بهذا أنك لا تريد أن تطلب الطلاق منك ؟
— ربما .. فهناك أولادى الذين يجب أن أفكر فيهم .. أليس كذلك ؟ .. ثم انتهى بطبيعة الحال لا أبني أن أشقيها .. لقد عشنا دائماً معاً في واثم .. ولقد كانت زوجة طيبة لي كما تعرفين ..
— فلم أنبأني إذن بأنها لا تمك في شيء ؟

عبارة موجزة ، وهي بين أحضانه ، وقد أخذت وجهها المتفرج حياء ، في صدره ..

وأردفت تقول : « إنه يرائي على أن أكون طالبة الطلاق ، بشرط أن تؤكد له زواجك أنها ستطلب الطلاق منك .. »
— وهل ثمة شيء آخر ؟

وعانت كبتى جهداً حتى انبث صوتها وهي تستنرد : « و .. إنه ليشق على يا تشارلي أن أقول .. إنه شرط بغض .. إنه بشرط أن تعد بأن تتزوج منى خلال أسبوع من صدور قرار الطلاق النهائي ! »

— ٣٥ —

● لاذ تشارلي بالصمت لحظة ، ثم عاد يتناول يدعا ويضغطها في وفق قائلا : « إنك لتعرفين يا حبيبتى أننا يجب أن نبقى دوروى بعيداً عن هذه المسألة مهما حدث .. »

فحلمت فيه وقالت : « ولكني لا أفهم كيف يبنى لنا ذلك ؟ »

— ليس لنا أن نقصر تفكيرنا على أنفسنا في هذه الدنيا ، فأنت تعرفين أن كل الأمور الأخرى سواء ، وليس أحب لدى في هذه الدنيا من أن أتزوج منك .. ولكنه أمر غير ذى موضوع ، فإنه أعرف دوروى .. لن يفر بها شيء .. على أن تطلب الطلاق منى !
واشند بكبتى الجسور ، فتمرت تهكى من جديد .. قبض

— لم أقل ذلك أبداً ، وإنما قلت إنى لم أكن معها على غرام .. ولم تم معاً في فراش واحد ، منذ سنوات ، اللهم إلا بين آونة وأخرى .. في عيد الميلاد — مثلاً — أو اليوم الذى كان يسبق سفرها إلى وطنها ، أو يوم عودتها .. فهى ليست بالمرأة التى تكثرت لئلا هذا الأمر .. على أننا كنا دائماً صديقين خيمين .. ولا خير فى أن أحبك بأننى أعتمد عليها أكثر مما أعتمد على أى شخص آخر أوتى عقلاً ..

— ألا ترى إذن أنه كان من الخير أن تدعى وشائى ؟

وعجبت لنفسها إذ استطاعت أن تتكلم بمثل هذا الهدوء ، ورغم أن الذعر كان يحبس أنفاسها .. لما هو فأجاب قائلاً : ه لقد كنت أروع امرأة رأيته منذ سنوات ، فلم أتمكن أن جئت بك حباً .. فهل تلويمينى على ذلك ؟

— لقد قلت لك أن تتخل عني أبداً ..

— هو ذلك وبنى .. فلن أتخل عليك .. لقد تورطنا في مآزى بغضب ، وسأبدل كل ما في طاقة الإنسان أن يفعل لأنتشك منه ! — سنبذل كل ما في طاقة الإنسان اللهم إلا العمل الطبيعى الواضح الوحيد ..

فنبض عائد إلى مقدمه ، وشرح يقول : ه يجب أن تكونى معقولة يا عزيزى .. ومن الخير أن تواجه الموقف بصراحة : إننى لا أحب أن أجرح إحسانك ، غير أن من الواجب أن أتيشك بالحقيقة .. إننى شديد الحرص على مستقبلى ، فليس ثمة ما يمنع من

وقالت : ه إننى واثقة من أنك لن تجد هناك فى محمل أية مشاعب أمانيا ..

— لن نحرز أى تقدم بتبادل الأقوال المتدعة ..

وتأوهت فى قنوط : — كان من العجيب أن تكون متفانية فى حبه بالدرجة التى كانت عليها ، ثم تشمر نحوه بتلك المראה .. لم يكن من اليسر أن يفقه مدى قيمته بالنسبة لها .. وهفت فى أنين : ه أواه يا تشارلى .. ألا تدري كم أحبك ؟

— ولكنى أحبك يا عزيزى .. غير أننا لا نعيش فى جزيرة مهجورة ، وعلينا أن نعيد من الظروف المفروضة علينا إلى أقصى ما نستطيع .. يجب أن تكونى عاقلة ..

كيف أستطيع أن أكون عاقلة ؟ .. لقد كان حبنا كل شيء لى ، وكنت أنت كل حياتى .. وليس مما يبعث على السرور أن أتيين أن الأمر لم يكن بالنسبة لك سوى فترة لحو عابرة !

— لم تكن فترة عابرة فى الواقع .. ولكنك تعلمين أنك — إذ تطالبينى بأن أعمل زوجتى التى أرتبط بها أشد ارتباط على أن تطلقى ، وأن أهدم مستقبل بالزواج منك — إنما تطالبين فوق ما فى طوق !

— إن ما أنا مستعدة لعمله من أجلك لا يقل عن هذا ..

— ولكن ظروفنا تختلف ::

— الاختلاف الوحيد هو أنك لا تحبى ..

أن أكون حاكماً فى يوم من الأيام ، وإنه لنصب شديد الإغراء — منصب الحاكم لإحدى المستعمرات — وما لم تخمد هذه الضمعة ، لن تكون أمامى فرصة ما .. صحيح أن الأمر قد لا يودى إلى أن أترك الخليفة ، بيد أنه سيظل وصمة سوداء ضدى .. ثم إننى إذا اضطررت إلى أن أترك الخليفة ، فلا بد من أن أتحول إلى الاشتغال بالتحارة فى الصين حيث هرقت الناس .. وفى الحالين ، يتوقف حظى على مدى ملازمة دوروى لى !

— أفكان من الضرورى والحالة هذه أن تنبئى بأنه لم تكن ترغب فى شيء من الدنيا سوى ؟

فتراحت عضلات ركنى فيه فى ضحجر وقال : ه أواه يا عزيزى .. من الصعب أن تتسكى بحرفة ما يقول أى رجل وهو فى نشوة حبك .. !

— أو لم تكن تعنى ما قلت ؟

— كنت أعنيه فى اللحظة التى قلته فيها ..

— وماذا يكون من أمرى إذا طلقنى وولتر ؟

— إذا لم يكن لدينا ما نسند إليه ، فلن يتبقى لنا أن ندفع الأمر عنا بالطبع .. ولن تكون ثمة ضجة .. كما أن عقول الناس قد اتسعت اليوم ، فهم أكثر تساعاً ..

ولأول مرة فكرت كبتى فى أمها ، فارتجفت .. وعادت تصنع إلى نائسند من جديد ، وقد شاب ألها نوع من الأنفة والاستكثار ،



ولم تهد ثلوى على الكلام . فتراحت ركنى دون أن تتألك غضبا

- لست أقول هذا ، ولكني ما كنت لأفكر بالتأكد في أن أطارك الحوى لو لم تظهر لي بجلاله أنك مستعدة لأن تقبل الحوى .. !!
يا الخزي ..! كانت تدرك أن الحقيقة هي ما ذكر .. وبدأ الضجر والضييق على وجهه ، وواحت يده تتحرك في تلمس ، وهو يلتقي بين حين وآخر نظرة سأم .. ثم قال بعد برهة : أليس لدى زوجك استعداد لأن يقتر لك ؟
- لم أسأله ..

فضم قبضته في حركة غريزية .. ورأته يكتم صيحة السخط التي فزرت إلى شفثيه .. ثم قال : لم لا تذهبين إليه ، فتشدين رحمة ؟
إنه لقمين بأن يصنع عنك إذا كان مسلماً في حبك بالشكل الذي تصورين !
- ما أقل ما تعرفه عنه !

- ٢٦ -

• مسحت الدموع عن عينيها ، وحاولت أن تتأكد نفسها وهي تقول : لو أنك هجرتني يا تشارلي سوف أموت أ .. لقد أصبحت موقوفة إلى أن تحاول استئثار شفثته ، وأحس أنه كان خليفاً بها أن تفعل ذلك من البداية ، فقلع كرمه .. وشعوره بالإنصاف .. ورجولته .. تقيظ منحه إذا هو عرف المصير الوهيب الذي يلوح لها ، فلا يعود يفكر إلا في الخطر المحي بها ..

٢١ -

الواقع أنها معاندة سلة منه أن تذهب إلى هناك .
شيء لا أستطيع أن أسمعه أو أسخف بشفثته . وسوف يحصل على وسمن من أحبه إن ما عاد فصاحت بصوت مغمم بأذى : يا تشارلي ما مرفق ؟
أعتقد أنه إذا كان يريدك أن تذهبي ، فسوف يرى - براءه لطروف عاتكة - مستعداً لك كي ترفضي !

لكن معنى ذلك الموت الموت المؤكد المتحتم !
أوه ، ربي الخجيم هذا المراء ؟ إنها مساهمة .
ما كان ليأخذك لو كان بمقدورك . وسيفض الأمر جهر ينفذك فوق ما يهدهد . وأنه مع أن ليس هناك عظم جهر . عاتك سعاد الجهر . لقد كنت قد حين تفتت الكه براءة . هم نهر شعر .
جسدي . تكل ما في الأمر لا تأتي شيئا لم يكن مظهر .
وأجاري مواك والخضر سعة وما يها ، وحرضي عن أياك .
الما . ي نشر من معلأ

وشرح يسرد ثقته واعتداده . ويخفي في الكلام . فاستجاب حاتم مسكاً . بل لقد بدأ يحللي من اكتابه ويسرد وجهه المتعبه بكمه . وبعد عن شيء من المرح ، هو توك . به عنه . على أنه حال أليس كذلك ؟ إنه يعني الحسرت . وهذه فرصة مساهمة له . لو ندرت بواقع .

- إن الرجل يستطيع أن يتدلى في حب امرأة دون أن يكون واعياً في أن يقضي بقية حياته معها !
فرمته بنظرة خاطفة ، ثم استبد بها اليأس ، فانهمرت الدموع غزيرة على خديها . وهتفت : أواه ! .. ما أقسالك ؟ كيف يئس لك أن توصد قلبك إلى هذه الدرجة ؟
وبدأت تنسج في انفعال ، فرمق الباب في قلق وقال : حاولي أن تتحدلي يا عزيزتي ..
فقالت بين شفثاتها : إنك لا تدوي إلى أي مدى أحبك ..
ليس يرمسي أن أعيش بكونك .. اليس لديك ذرة من الشفقة على ؟

ولم تعد تقوى حل الكلام ، فاحت تكبي دون أن تتأكد نفسها ببناء قال هو : لست أحب أن أكون قاسياً ، وإن المياه لتشهد على أسي لا أبقى أن أجرح مشاعرك ، ولكنني مضطر إلى أن أصارحك بالحقيقة ..

إن فيها دمار حياتي كلها .. لم لم تدعني وشأني ؟ أي ضرر أوقعته بك ؟
- لك أن تلقى على كل اللوم بالطبع إذا كان في هذا ما يسرى عنه ..
فتولى كفتي فجأة غضب مقد وصاحت : كأنني كنت أتتالك عليك .. كأنني لم أدعك حتى أصبحت واستجبت لتوصلاتي !

أواه ! لست ما كنت . وفي وجد مشوب إلى أن تشعر بأذى عيه الحبيبتين نحو ما جاء !
وسدلت عنه .
- آه .
وبده معرفة من حيث من .
فيس من .
- إذا جسد .
- ماذا تعني ؟
- ربه .
وربد مني .
مبي .
لأن .

فدفع معقده من الخلف ، وحمل بها به .
فقال : قد أكون مراء .
لما تقولين وأما من دلي .
ذلك المكان .
- به بغيري .
قصه لصلاتي !
فعدت فجأة وتوسد قبلاً إذ هفت .
لأنه مسلك محدد .

معاذتك تكرر في حزنه وإن عارها الخرج : « وأنا يا بشاري »
 .. إن خير وسيله لهم أي رجل ، أن تصلي صلاتك في مواعيد
 وأنت قد كنت .. من وجهة نظره .. مخلوق طائفة حمده .. وهو
 يريد أن يبعث عن موطن عسر .. لئلا يترك أحده دائماً لا يود
 أن يظنك ، فهو بها يدور في نفس من ذلك الصنف من الرجال الذين
 ينجحون إلى هذا المسلك .. ولكنه فعل ما حان أنه مسمى الكرم ، وهذا
 بك تريد عرفه . برقص .. سببني أن أؤمك .. ولكنني
 في الواقع أرى .. أجدحاً جبراً .. أنه كان حقيقياً أن تولى الأمر
 بعن الاختيار

.. ولكن .. لا ترى أن هذا يصح ؟ لا .. بل أنه يأخذني
 إلى هناك لأنه يعرف أن في ذلك هلاكاً
 « والله يا عزيزي .. لا بأس بهذا .. بل في بعض حالاته في
 الخرج ، وأوافق أن الطرف عن مناسبتة حسب المسرجة ..
 .. كنت نصير على أن لا يفهم موقع

أواه ! ما كان أقمي الألم الذي تنقل فيها .. فغاف ..
 وحدث أو تصرح لقرط وجبها .. ولكنها عاتبك نفسها حين
 قاتلة .. ما أرك ترسني إلى موت عتق ! .. إذا لم يكن لديك شيء
 من الحب أو الشفقة .. فيمكن لديك مجرد شعور .. بسبب عذبي ..
 .. تصماني إذ تصورين الأمر على هذه الصورة .. رب روحك
 .. بقدر ما أرى .. سدى عاية التكرم .. إنه رغب في أن يعرفك

إذا ما أصبحت له الفرحة .. إنه يريد أن يأني .. وقد سحبت له
 هذه عريضة كي يصلحك إلى مكان تكويين فيه تنجي عن الضرر
 لصنع شور .. ولست أرفع .. أي .. أن .. فوه .. مكان يصح
 لدرقه ، وما عرفت مدينة صبيبة يمكن أن توصف بهذا .. ولكن
 لا داعي للمعالة في تصور عيوبها .. والحق أن هذا خير ما للعقلين ،
 رغم سوله .. وإلى لأعتقد أن صدم من يموتون من الناس مجرد الخوف
 من الموت .. لا يقل عن عدد الذين يموتون بمسوى هذا الوفاء !

.. ولكن مذكورة .. ولقد كنت أفقد رشدي حين فاعني
 وولدت .. الأمر

إني أقدر أن الأمر كان صدمة مدحقة في البداية .. ولكنك
 لن تدني أن تطيشي إذ ما فكرت فيه بدوه .. ستكون تجربة لم تقس
 لكل امرأة أن حياها ..

.. كنت صلت ..
 وراحت تهرق في ما .. ولم ينس هو بنت شفة ، بل عاد
 وجهه بخنسي معبر صخر لئلا لم تأخذه منه إلا أميراً .. وكانت
 قد كفت عن البكاء .. وجمت عيناها ، وعاودها شيء من الهدوء ..
 بعداً صوتها منتر .. رغم احضاره ، وهي تتساءل : « أو ترين
 إذن أن أذهب ؟ »

لا عدل للاختيار .. ليس كذلك ؟
 هل ترى ذلك ؟

.. من الإصطف أن حركت يدها ، في راحة فسيبة طلاق
 وكسها ، فلن تكون في مركز يسمح بأن أروح منك !
 وبدلاً من كاعاً اتقى دهر قل أن نجيب ، إذ نهضت في بقاء
 مستوية على قدميها وقالت : « ما أظن زوجي فكر حقاً في أن يرفع
 الأمر للقضاء .. »

قلنا : إذن فلماذا يرك أو عني حتى كنت نخرجيني عن
 وعي ؟

فظفرت إليه في غنور وقالت : « كان يعلم أنك ستجني عني :
 ووقفت صامدة .. وأنا يحدث لك حين .. من بعد أحبه وبغرا
 صفحة لا ينفص منها .. بداية الأمر شيئاً ، حتى تفتح لك كلمة
 أو عبارة ما طريق الفهم ، فإذا شعور بالإدراك غير الواضح بشرق
 على ذلك المصير فجاء .. بمثل هذا الإيهام استطاعت كيتي أن
 تدركه من سير تعذيب .. وولتر .. فكأنما رأيت منظر أشعثاً مظلماً ،
 على في حدة من التي لم تكن حتى .. لحظة التالية بين طيات الليل .. وإذا
 بها ترتعب لما رأته .. قالت : « إنه لم يشترط ويهدد إلا لأنه
 عرف أنك ستراجع أمام الشرير يا تشارلي .. ومن العجيب أنه
 استطاع أن يعرفك بمثل هذه الدقة .. وقد شاء .. كما توحى طبيعته -
 أن يدعني أكتشف بنفسى خيبة هذا الوهم المضلل القاسي ! »

ونكس تشارلي بصره إلى صفحة « النشاة » التي أمامه ، وقد
 عس قليلاً ، وأرخى أعصابه فيه .. ولكنه لم يجر جواباً .. بينما

استأذنت كيتي حديثاً قاتلة : « كان يعرف أنك مغرور بالباطل ،
 وأنت لا تذكر حيلك ، لا في نصبت .. وقد أورد لي أن أرى ذلك
 يعني ! .. كان يعلم أنك سحري كالأرباب إذ ينزرب الحطيس ..
 وبه ف .. من حديثي .. فكبر في أنك كنت خبي .. لأنه كان
 يدرك أنك عاجز عن حب أحد غير نفسك ! .. كان يعلم أنك تقدم
 على التضحية في دون ما ندع كي تفقد جلدك .. »

.. إذا كان يرضيك حقاً أن تقول في مثل هذه الأشياء ، فليست
 أرى لنفسى حقاً في الشكوى والتذمر .. إنه النساء دائماً ظالمات ،
 وهي على العمود فاذرات على أن يصغر أي رجل لوصف إعطاف
 لئلا يعني ! .. ولكن نمة ما سفي أن يقال من الجانب الآخر ..

ولم تكترث لمناقشته ، بل استمرت قاتلة : « ولقد أصبحت
 لأن أعرف ما كان يعرفه وولتر .. أعرف أنك عديم الإحساس
 والقلب .. أعرف أنك أمان .. أمان أكثر مما ينحس نفسك أن
 بصور ! .. وأعرف أنك لم تؤث من الشجاعة حتى ما أوتيه الأرنيب ..
 أعرف أنك كاذب ، عاتل ، أعرف أنك خسيس ، زرع إلى أنص
 مدني .. وأؤلم في الأمر .. - وأريد وجهها فجأة لقرط الألم وهي
 تحبس قاتلة .. « يؤلم في الأمر أي أحبك رغم ذلك من كل قلبي »
 كيتي

مارسلت ضحكة مريرة ، إذ لفظ اسمها بلهجة الدافنة .. في
 تنهيب القلب .. للهجة التي كانت تواتيه في سهولة طبيعية ، وإن

وولتر يصطحبها إلى أبي - كان مواعداً له - فهي أمكن لأبها
لم تعد تحسن عما يصيبها - لم يعد لها من ثيابها شيء - ولم يكن
أقنى شيء منسج من ألبسة لخدمته وهي عذراء - عمة وعشيرة !

٣٩ -

● وعلى مهر الحجرة إلى حديث بها البر من في مذهب
وولتر عن المرأة - سدأه كل شيء في أوقات تنوب لضعفه أن
يحق حواً للحديث بدهم - كسها - كسها - كسها - امرأة عسرة
صادقة في الرحمة عن أشياء دافعة - حيل لكنني أنه لا يتحدث
عها إلا من قبل لأدب - أو من قبل شيء - هادئة إلى فليس
بينهما - وكنت قد ألتفت شارلي - حتى وضعه من بعد الصبر -
أن وولتر قد سهر به - رطلاني - كسها - كسها - كسها -
المدية الموحدة - ينسج منسجاً من ما كان عليه من عدا - كسها -
وأنيمة - وكنت محقة بد حديث - قبل مثل هذا التفكير
ينسج تماماً مع ما أوتي وولتر من طابع مناره - بعد أن يعرف
تماماً ما سوف يحدث - ومن ثم أدلى برصيفه - ينسج - لا مودة
للسفر قبل عودها - وعدة أوقات في عينيه احتضاراً أشعلها وشمل
عشيقها على السرير - ولعله قال لنفسه إنه لو كان في وضع
تاونسند لما عاقه شيء في الدنيا عن الإقدام على أية نصيحة لإرضاء
أنفه وزوالها - وكانت هي تدرك أنه لو كان مكان الآخر لأقدم
فعلاً على جميع التضحيات في سبيلها - بيد أنها وقد تمتعت بعينها ،

نفسها كيف يضطرها إلى إجراء على هذه الدرجة من
يترك ولابد أنه يبحث أقصى التزعم في نفسها ؟
لقد صنت في بادئ الأمر بحث به - وطلعت حتى شرعا في
رحلتها - بل حتى عذرا البر ووسطها في محبتها غير الزيف -
تعتقد أنه لن يلبث أن يظن صحبته القصيرة الموهودة - ويخبرها أن
لا حاجة إلى أن تذهب معه - فهي لا تترقب قط فبا يدور في
رأسه - وليس من الممكن أن يكون حقا راعياً في موتها - فقد كان
مدعياً في هواها - وهي قد عرفت الآن معنى الحب - فأحدثت تذكر
ألف بادرة وبادرة كنت تم عن هيامها بها - وعن أنها مع
سروره وأسه - كلا - من المستحيل أنه لم يعد يحبها - فهل يكف
الإنسان عن حب شخص ما لأنه قسا في معاملته ؟ - إنها لم تذهب كما
عدها تشارلي - ومع ذلك فلو أن تشارلي أشار لها مجرد إشارة - ورغم
كل شيء - ورغم أنها أصبحت تعرفه على حقيقته - لتبذت كل
ما تقدمه له الدنيا وطارت إلى دراعه ! - فإنها لتحب حتى بعد أن
صحبها ولم يكثر لها - حتى بعد أن أبدى لها الجحود والقصور
الحقبة !

وخيل إليها في البداية أن ليس عليها سوى أن تصمد للزمن
فلا يلبث وولتر أن يصفح عنها - إن عاجلاً أو آجلاً - فقد كانت
مرحلة راحة في سلطانها عليه - بحيث كانا من العبر عليها أن تصدق
أن هذا السلطان قد تعدد - فإن المياه الدافقة لا يمكن أن تطفئ الحب

- ٣٠ -

● وفجأة - بدأ حاملو محفاتي يتكدسون بعد طول صمت - والثفت
أحدهم يقول لها كلمات لم تستطع أن تفهمها - وهو يشير ليحسب
انقباضها - وأرسلت بصرها إلى حيث أشار - فإذا بها ترى - على قمة
أحد التلال - نصبا على شكل فطيرة - أو بوابة منحوبة - وكانت
قد عرفت لكثرة ما حمرت به منذ غادر النهر من أمثال هذا النصب - أنه
مبنى تذكارى لتخليد ذكرى عالم مجنون - أو أوملة وفية ناصعة
السيرة - بيد أن هذا النصب - الذي بدأ معنا إذ جاوزته خمس المقيب -
كان أبهى وأجل من كل ما شاهدت من قبل - ومع ذلك - فلم تدرك
لم أثار في نفسها نوعاً من عدم الطمأنينة - إذ أوحى إليها بمعنى أحسن
به وإن لم تعرف كيف تعبر عنه بالكلمات - معنى لم تدرك أن نذيراً
بالعصية أو كان مقعماً بالخبرة - وكانوا يجرؤون لحظتها يجرش
من نبات الغاب (البرص) تميل عيادته على الدوب بشكل قريب
وكأنها ترشك أن تمنعها من المضي إلى الأمام - وكانت أوراق الشجيرات
ترجف قليلاً رغم أن الهواء كان رافداً في ذلك الوقت - مما أوحى
إليها بأن شخصاً ما قد احتبأ بين البدان ليرقبها وهي تمر - !

واتجهوا إلى أسفل التل - فاختفت حقول الأرز - واندفع المزالون
يتقدمون بخطى واسعة والحقة تتأيل على أكتافهم - وكان التل مغلفاً
ببقع خضراء شديدة التباين - ومزينة قليلاً عن مستوى الأرض -
فلبثت كرمال الشاطئ حين ينحسر عنها ماء المد - وأدركت ما وراء

وإذا كان قد أحبها - وشعر أن لا مناص من حبها - فهو ولابد
ضعيف لإزهاها - بيد أنها لم تعد الآن والفة من ذلك - فكما أتبع
لها أن تأمله في غير عاه وهو جالس في المساء بقراً على المقعد
الحشوي غير المريح في الفندق - وضوء مصباح الغاز المتوجع (الكلوب)
يسقط على وجهه - وهي مستلقية بعيداً عن الضوء - على الحصى
الذي أعد ليقام عليه فراشها - كانت قسامة الحادة - المستقيمة -
المنظمة - تلبس وجهه صارماً - حتى ليعز عليك أن تصدق أنه يستطيع
أن يخطيك - إذا حانت مناسبة - تلك الانبثامة العذبة التي كانت
تصدر عنه - وكان في وسعه أن يمضي في القراءة هادئاً - ساكناً -
وكأنها لم يعد ألف ميل منه - كانت تراه بقلب الصفحات - وقصر
عينه تتمحركان بانتظام وهما تابعاان السطور - فتشعر أنه لا يفكر
فيها - وعندما كانت المائدة تبسط - ويحمل إليها طعام العشاء -
كان يضع كتابه جانباً - ويرمقها بنظرة - وهو لا يعلم أن الضوء
المناسط على وجهه يكسب ملامحه مظهر أخاصاً - فكأن حصل
إذ ترى في نظراته اخترازا ملموساً - أحل - كانت تعقل - أمن
الممكن أن يكون حبه قد تبخر تماماً ؟ - أمن المحتمل أن يكون قد
رسم حقاً خطة لموتها ؟ - هراء - وإلا لكان ذلك تصرف رجسلي
مجنون - وكانت تشر بشعريرة غريبة تسرى في كيانها إذ ينظر
لها أن وولتر قد لا يكون كامل العقل !

«أفلم تلاحظوا كيف تزداد ثياب العشاء اجبة؟ .. لقد ماتت حادي
الخاص في الأسبوع الماضي، وحسبه حرم أمه، ومن ثم فإنها لم تعد
أرتدي ثياب المساء في المساء ..»

وقد كفى ، سارده ففتح قعته ، وكانت حجرها
ملاصة لبنتي كره جسمي منها وكنت بسبب الرياض ،
وحدثت في سعة حلق الأرض ، تمنح حديثها وتخرج مدبها ،
على صوتها ، صب إلى حواء

- ۲۲ -

• كاست عرقه المائدة صغيرة ، فقل الشطر لا كبر ميسا مائدة
صحيفة وعل الخد ان ، كاست فم رسوم من لوراء مخمورة ،
وآيات مكتوبة بتدوين الحروف على مسطرة مصقولة .

وقال واحد منهن : إن رجال المماليك اللبية يملكون عادة مؤاندة ضحكة ، إن أنهم يورثون في كل عام بعض حديد ، كما يراعون إن يثرون هو ندمه - عبد الروح - أن يمدوا أيديهم كاهنة بالصوف

وكان يلقى من السقف مصباح كبير يصاه بالثورول، استطاعت
كتيبي عن صوتيه أن تزداد ذمماً شخصيته وديسخر كات صلته
قد عجزت بها وأوحى إليها أنه فارغ من الشاب، ولكنها ثبتت الآن
أنه كان لا يزال يديه وبين من الأرمعين شوط بعيد... وكان وجهه
سمرقاً، تغلوه حبة باردة، صديرة، وقد بدا متورداً، حياءً من

المسوية ومع ذلك فقد تباين في بعض المجتمعات من المدن ككان
يرتفع كماله من مائة إلى ثلاثمائة عتقة في الواح - الح - في
بعض المجتمعات التي قد حلت كان في الواح من ثمانية عتقة في
بعضها قد بلغ من الواح هذا النوع من الواح - ح - في بعض
الصور قد بلغ من الواح - ح - في بعض الأحيان من الواح
أنه لا يبرهون أن الواح من إحدى الواح الضخامات - ح -
الواحد هذه الواح - ح - التي قد صولت في الواح - ح - في
منها - ح - لا معة بعد الواح - ح - في الواح - ح -

[illegible]

وردتین بخش ، و هفتاد و پنج سال بعد از آن یعنی در
ساله طبعیه . و آیت ای هر شیء ۲۰ فاعله و در بعضی
مستصرف و در بعضی نفع و بدل و ... و اما هر دو آخری آن یا بود
و هر شایسته ... قدرش از من آن هر ... که می تواند

الجمادات ، وكان بشعاً ، كوحه القرد ، ولكن قبحه لم يكن حراماً
من البحر . كان وجهاً ترتفع العين إلى مذهبته ، وكانت فسيانه وأبعه
وفه ، لا تكاد تذكر عن قببات قصص . إنما كانت له عيان ورقون
ضيقتان شديدتان التأتئي . أما حجاج فكانا جففي ، قصيرين ،
أشقرى الشعر . كان يلبس كسبى مصحلاً . وكان لا يملك عملاً
كأنه بالشراب ، حتى يدا جلياً - ولما يته العشاء - أنه بعيد عن الرشد
والإتزان . . يبدأه وإن نحن لم نتح عن أدبه . بل بدأمرحاً ، كجدي
سرق قربة السنذ من راع نائم !

وراح ينكم عن وحنج كونج ، حيث أوفى أصطفاه كثير من أرا د
أ يعرف أبياهم وكان قد ذهب إليها مد عام لشهدة سباق ،
فحدث عن الحوادث وأصحابها ، ثم تسأل فاعلة : هذه المسألة ..
مادة عن تاو سنج ؟ هل سيصحب حاكماً ؟

وأحسن كنيى روحها ينصرح ، ولكن روحها لم ينظر إليها ..
وأجيب : هل أعجب لذلك ؟

- إله من نوع الذي لا يكف عن السعي وراء المصعب .
فضاله وولته ١٠ هل تعرفه ؟ ٢٠

.. أعرفه معرفة وثيقة - فقد غادر تال الوطني معارات مرة .
وسمعا دقات الطول تسع من النصفه لأخرى لهر . وهرقة
الصواريخ النارية .. كانت المدينة ترقد في فزع على غير معدة مهم ،
وقد اندفع الموت صاعاً . وفي غير ما يشفق ، يبعث في شوارعها

وہاں پہنچ کر دیکھا کہ وہاں ایک بڑا سا گھر تھا جس کے سامنے ایک بڑا سا دروازہ تھا۔ وہاں پہنچ کر دیکھا کہ وہاں ایک بڑا سا گھر تھا جس کے سامنے ایک بڑا سا دروازہ تھا۔

17

[illegible][illegible]

البداية بقصة أبيهم لا تعاد الدار .. كان الحرف غائفاً ، وكانت تقضى أكثر وقتها مستلقية في مقعد طويل إلى جوار المائدة المفتوحة ، تحاول أن تشغل بالقرأة .. وقد حرد الضوء القوي في الظهيرة ذلك القصر السحري من القموض الذي كان يكتفه ، فلم يعد يندى لعينها أكثر من معبد عند سور المدينة ، مغبر ، قديم .. بيد أنه لم يلح لها قط مبنى عادياً ، مذ لا ح لها مرة في ذلك المطر الخيال الحلم .. وكثيراً ما كانت تجد نفسها - عند الفجر أو الضيق أو في المساء - قادرة على أن تستعيد بعض ذلك الخيال الذي تكشف لها أول مرة .. والواقع أن ما لاح لها كالرجح لم يكن سوى سور المدينة ، السبيل الأسمر ، الذي كانت عيناها تستفران عليه باستمرار ، والذي كانت أدبية تستلقي خلفه مهبطاً في قصة وجة .. قصة الوفاء الفاتك !

وكانت كيتي تعرف ، في إلهام ، أن ثمة أم .. حقيقة تحدث وراء ذلك السور المتراى .. ولم تكن المعلومات تقضي إليها من ووتر ، الذي كان كلما سأله - إذ قلنا كان يتكلم ما لم تسأله - أن يستعاف وهكاهة بعبان في مطرها فتضهره .. وإنما كانت تستمد معلوماتها من وادينجتن والوصيفة .. ومنها علمت أن الناس يموتون بمعدل مائة نفس كل يوم ! .. وقبلنا كان يقنو لأي فرد ممن كان الوفاء يقض عليهم أن يقنو .. حتى لقد أرحح القوم أوفائهم من المعاهد المنحدرة وأقاموها في الطرقات ، وراحوا يقنمون إليها القرائين ويذنون لها النصائح ، ولكنها مع ذلك لم توقف الكوليرا الجامعة !

كان الناس يموتون بسرعة يكاد يتعذر معها دفنهم .. وكانت أسرهم تأكلها تكمنح في بعض المنازل فلا يبق من يشيع جنازتها .. وكان قائد الحود وجلا قوى الشكبة ، بحيث إذا كانت المدينة لم تعرض لنهوض الجريح ، فلما كان ذلك بفضل إدارته ، إذ فرض على جنوده دفن من لم يكن يوجد من يدفنه ، وروى برصاص مسلحه ضابطاً أبدي تدمر أو هو يدخل بيتاً موبوءاً !

وكان الذعر يمتلك كيتي في بعض الأوقات حتى لقد كان قلبها يغوص في أعماقها ، وكل جارية من حواريها ترتحف .. كان من السهل أن يقال إن الخطر يتضاءل إذا التزمت احتياطات وقاية مقولة ، ولكن الخوف هو الذي كان ينشب فيها محالها .. وكمن يخطط وعناء حالت غاظرها للفرار ؟ كانت تصور إلى أن تغادر المظفة ، تغادرها وحسب - إلى غير ما وجهة معينة .. كانت على استعداد لأن ترحل كما هي ، وأن تقضى وحيدة ، دون ما شيء سوى الباب التي كانت على جسدها ، سابعة إلى مكان أمين ، وتبلى فكرت في أن تاشد وادينجتن الرحمة ، وأن تقضى إليه بكل شيء ، وتوسل إليه أن يساعدها على العودة إلى هوج كويج .. ولو أنها جثت أمام زوجها وصارحته بأنها كانت حرة .. فلما أنها كانت تمد ليد من الشعور الإنساني ما ينير إشفاقه عليها ، رغم أنه أصبح يكرهها ..

بيد أن هذا كله كان مجرد هذيان ، إذ .. إلى أين تذهب إذا قدر لها الرحيل ؟! إنها لا تستطيع أن تلحق إلى أمها ، فإن أمها لن تلتفت

هوق ألوح حرة من سباح متعدد لألوان .. وإن هي إلا لحظة حين نمت للنظر مجموعة من الأسقف الخضراء والصفراء ، رزمت من حواف الصواب وراحت تمتد وتتحل بسرعة ، يمسها شعاع أصفر شمس ، هنا وهناك .. وكانت تظهر ضخمة ، لا تقبض أن تسقي في طراراً ، ولا تكاد تغفل إلى مياه حمها .. إن كان ثمة دمدم .. كانت غربة ، منسخة .. ولكنها كانت وافة إلى درجة لا يحد بتصوره

الأحد
لا ، لم تكن هذه قصة ، ولا معداً ،
للأمة ، لا يسمح لشر أن يبعد من أمه .. وكان القصر أمماً رحيماً ،
هذلاً ، لا يشبه في شيء إلتاح بلد الشتر .. بل كان من تسخ الأعلام
والجمرت الموع تمز وجه كيتي وهي خدق في ذلك المنظر
وقد نصقت يدها .. بن على صدرها ، وفمرت فها وهي لا تكاد
ملك أن تنفس .. قط لم تشر قلبها خفياً إلى هذه السريحة ، وقد
انطرح عه كل ما كان يشبه .. وحيل !
علاف كاصداق المتوقف استنى عند فدها ، بدأ أصبحت هي بحر
ها كان الخيال ، فأقل ، سه نمة محف

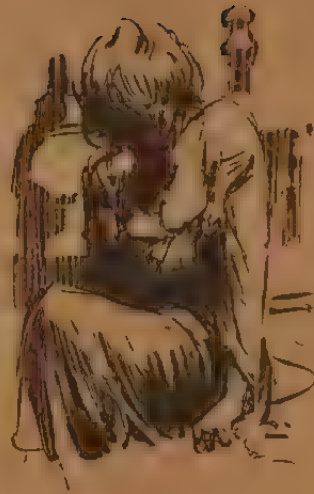
● وصدر ووتر يمدد الدار في صباح ساكر ، فلا يعرفه إلا في
موعد انعاده لبعضى عصف ساعة فقط ، ثم يخرج ذبه حتى موع
العش .. فالتفت كيتي نفسها وحيدة معطر الوقت ، وقد ظلت في

أن تظهر لها أنها قد وطنت نفسها على اعتبار أنها تخلصت منها مادامت تذكرونها .. ثم إنها ، فوق ذلك ، لم تكن راقية في الذهاب إلى أمها وإنما كانت تنوق إلى الذهاب إلى تشارلى .. لكنه هو لم يكن راقياً فيها . كانت تعرف ما سوف يقول لو أنها ظهرت أمامه فجأة .. وكانت تمثل الضجر القمين بأن يكسو وجهه لحظتها ، والقسوة الجاحدة التي سوف تلوح وراء عينيه اللانيتين .. سيكون من العسير عليه أن يعثر على كلمات رقيقة الوقع .. وكانت هى تتخيل ذلك ، نصم احتيا في ظل مقعد ، وتشر بأنها ما كانت لتضن بشئ في سبيل أن تذكها كما أذكها .. وأحياناً كان الحقد يتملكها إلى درجة تجعلها تمنى لو أنها حلت وولت على أن يطلقها ، راضية بما يفتق بها من خراب في سبيل أن تراه هو الآخر مهلداً من جراء الفضيحة .. فقد كانت بعض أقواله لما تتخرج نجحلاً ونجراً كلما تذكرتها !

- ٣٥ -

• وفى أول مرة خلت فيها إلى وادنبجت ، تعمقت أن تتطرق بالحديث إلى ذكر تشارلى ، إذ كان الأول قد تحدث عنه في ليلة وصولها .. لكنها حرصت على أن تظهر أنه لم يكن أكثر من واحد من معارف زوجها .. فقال وادنبجت : « ما اكرثت قط له ، فقد شعرت دائماً أنه ثقل الظل » ! ! .

فالتفت كيتى في اللفظ لمحة استطاعت اصطفاها : « لا بد أنك



وكان المذبح يمتلك كيتى في بعض الأوقات حتى قد كان قلبها يفرغ في أعماقها . وكل حارحة من حراحها ترتفع

وإن لكل يقين من أنى سأخطبه يوماً - فل موى - بإصاحب السعادة ، وأحضر للوقوف إذ ما دخل الغرفة التي أكون فيها ! ! .

- معظم الناس يظنونهم أهلاً للرق .. فمن المعروف عنه عامة أنه على قدر كبير من الكفاءة ؟ !

- الكفاءة ؟ ! : أى هراء هذا ؟ ! إنه شديد الماء .. إنه يرحى إليك بأنه يؤدي عمله بمهارة وذكاء ، ولكن الأمر ليس كذلك .. كل ما هالك أنه نشيط دؤوب على العمل ، كاتى كاتب من أب أوربي وأم آسيوية ..

- وكيف اكتسب الشهرة بأنه ناه ؟

- في الدنيا كثير من البلهاء ، وإذا نحل شخص على المركز عن الرصميات ، ورتب على ظهور الناس في تطف ، وقد لم إليه على استعداد لأن يفعل كل ما يمكن فعله من أجلهم ، فإنهم ولا شك ينساقون إلى اعتباره مائياً .. ثم .. هناك زوجته .. لقد أوتيت غفلاً سليماً ناضجاً ، وإن نصيحتهما لجديرة بأن تتبع على الدوام .. وطالما أتبع لتشارلى تاوسند أن يسند إليها ، فهو دائماً غامس من أن يرتكب أية حاققة ، وهذا أول الأمور الضرورية للإنسان كى يرق الماصب الحكومية .. فأولو الشأن في الحكومة لا يريدون الأذكاء .. لأن الأذكاء يكونون أصحاب آراء ، والآراء تخلق المناصب .. إنما يريدون رجالاً على قدر من السحر وحسن التصرف ، ويمكن الاطمئنان إلى أنهم

صعب الإرضاء .. فإني أخاله أكثر الرجال في هونج كونج شهرة وقرى لدى الناس .

- أعرف ، فهذه حرفة .. لقد ابتدع حقاً لاكتساب الشهرة والتفرب من الناس ، إذ وهب القدرة على أن يجعل كل من يلتقي به يحس بأنه الشخص الوحيد في الدنيا الذى يبني لقيامه ! .. إنه دائماً على استعداد لأن يؤدي أية خدمة لا تخشع عاه .. وحتى إذا لم يفعل ما يحسنه بأن هجره إنما يرجع إلى أن ما تبين في مناه ..

- هذه ميزة رائعة بلا شك ..

الميزة المحاذية ولا شيء سواها .. يد أنها لا تلبث في النهاية أن تمتد الفس .. على ما اعتقد . ولعل من يوافق الراحة أن يعامل المرء وجلاً لم يؤت القدرة على بث الانشراح في النفس ، ولكنه أوتى مزيداً من الإخلاص .. لقد عرفت تشارلى تاوسند سنين طويلة ، وقد فاجأته مرة أو اثنتين والثناء منحصر عن وجهه .. انتهى - كما تعلمين - لم أكن يوماً ذا شأن .. مجرد موظف صغير في الجمارك - ولكننى أعلم أنه لا يغفل في قرارة قلبه بإنسان في الدنيا .. عدا نفسه !

وكانت كيتى مضطحة في مقعدها رتقه بعينين باسيتين ، وهى تدبر شأن الزواج حول إصبعها .. بينما استطرد الرجل قائلاً : « إنه ولا شك سيمضى قسماً ، فهو يعرف جميع السبل للرق في الحكومة ..

465

وسأله وولتر ذات مساء - وقد عاد مكرراً عن مواعيد المخاض -
 أتأبى أن تتناول المشايه معها ، ووجه إيد ذلك حادث غريب ، فقد
 تخيلت أن نأكل الخبز ، والسمك . . . فقدم الخادم إل كيني
 سلامة من خبز الطرخه ، سمك واسحق إذ وآله تأخذ منها
 نصيباً .

— يا مولا! طوبى لعمري من لم يتركك فقد ضل

— آجیل ، اِنّا تلوکھا کل لے

وقالت مولتر : « إن زوجتي تحبها »

ولقد الطبق إلى وادبجتن ، ولكنه هز رأسه قائلاً : أشكر كما
جزيل الشكر .، ولكنني لا أشكر في الانتصار بعد .

والبسم ووتر في الكتاب وتناول قسطاً من الخضر : ولم يبق
و سجن شيئاً بعد ذلك ، بل أحله إلى وجوم غريب ، وترعان
ما قدر مما يرب اليه .

وكانما قد اعتادوا بالتمهل أن يأكلوا القلادة كل مساء ، إذ حدث
بعد وصولها يومين أن قطعها الطاهي ، بما عرفه عن الصبيين من
غفلة الكراث ، فنزلت كبتى بضاً منها دون تذكير ، وإذا ووتر
تيل نحوها بسرعة قائلا : « ما ينبغي أن تأكلوا هذه .. إن الخادم
سأفون إذ قطعها ! »

فَكَانَ وَمَا يُعْطَقُ لِرُوحِهِ : ٤٠ وَارْأَيْتُمْ

ومع أنه كان يكره أن يوسع المصرة بالطين ، ويقسم بأن
المحجرين في اللغة يمسحونهم سوى عن . إلا أنه
نكث اليمين بطلاقة . وكان قبل تحرير
عن طريق أن
حكومات من ربح
به
بني
عن
كثير في ذلك
عليه سوى
أما بعد أن
مقروماً على بصرها
خاطفة
وهكذا كان يمسح يتكلم
تحت

أما بعد عن الكوليرا
وكان يصل إلى درجة الفكر عادة حين يصرفه من نفسها
ولكنه كان يتحمل الشرب في زواة .. كان يتحممه ولكنه لا يتجمل
بحد ح.

— إنها دائماً محفوفة بالخطر .. إنه جنون في الظروف الحاضرة ..
مستقبلين نفسك !
قلت : ه طئت هذه بعتك ! ه .

قلت : وحطت هذه مفتك ! .

وراء ما كل في هتوة ، وقد .. روح معامرة لم تسد
أناها ، وحملت ثمن وولتر منطرة ساعرة .. فقبل إليها أنه ارداد
شحوأ إلى حد ما .. ولكنه تاول نصيب .. لسلطة حين قعدت إليه !
وإذ ألقى التلأهي أنها لا برعها ، أخذ يعد لها قفراً منها في كل
يوم ، فكما .. في كل يوم بىصاً .. بشاوانها مرحين الموت ! ..
وكان لركوب هذا الخطر روعة خاصة . كانت كيتي في ذعرها من
الوباء تقدم على هذا الخطر وهي تشع بأها لا تنار لنفسها من وولتر
بطريقة خبيثة فحسب ، وإعما تسخر أيضاً من مخاوفها القائمة ..

51

● وفي اليوم التالي لتلك الليلة ، أقبل وأدبحتن على الدار في الأميل .. وبعد أن جلس قليلاً سألت كيتي عما إذا كان روف لها أن يخرج معه في نزهة ، ولم تكن قد غادرت المنى منذ وصولها ، فسرّها . فأتى دعونه .. وإذ ذاك قال : - أن لا أتحدى هـا مواطن كثيرة للنزهة . ولكننا منسحب إلى قمة التل .. e .

— آه ، حبت يقوم الصب المخبوذب .. لقد واينه من الشرفة
وفتح لها أحد الخدم الباب الخارجى النليل ، فانتفلا إلى الطريق
الصيقة الغرة .. وسارا بضه باردات ، ثم أرسلت كيتى صرخة

موتاعه ، وامسكت بفراع واديجتي في رعب قائلة : اطر ! .
- ماذا روعك ؟

كان ثمة رجل مستقيماً على ظهره تحت سور الدار ، وقد بصط
سافيه مغرحتين ، ومد فراغيه خلف رأسه . وكان يرتدى أحمالاً
زرقاء ففرد ، وتعلو رأسه ثلة الشعر المنقوش التي تميز القسولين في
الصين .. وقالت كينى لاهنة : « يبدو كما لو كان ميتاً ! » .

— بل هو ميت .. هيا .. يحسن أن تسبحي بوجهك إلى الحاس
الآخر .. سأمر بقله عندما نعود ..

ولكن كبتى راحت تر تخف فى عيب شل حرا كها .. وقالت :
 ولم أر شخصاً مثلاً من قبل .

— يحسن أن نرعى فتائق هذا المطر إذن .. فلسوف تزيده
كثيراً قبل أن تلوحى هذا المكان النسيم !

وأنتك بيدها فتأبعتها .. وسارا برهة صامتين ، ثم نادى
هـ هـ مات بالكم لير ٥٧١ هـ .

وصعد النمل حتى بلغا الصب ، فإذا به غني بالنبش .. وكان
 ينظر الحيات ، الساحر ، يقوم كدليل يميز الرماح يحيط به .. وحيا
 عند فاعلته مواجيهن السيل الصبح .. كان النمل يزخر بالعم
 خضراء الصغرة المرتفعة عن سطح الأرض .. إنها قود الموق ،
 تشتت في صفوف منتظمة ، بل تناثرت في فوضى تشعرك بأنها

وتساءلت بالفرنسية في إشراق : « أهذه زوجة الطبيب ؟ »
ثم أضافت : إن الأم الرئيسة متحضر سريعاً ..
ولم يك في وسع الأخت سان جوزيف أن تتكلم الإنجليزية ،
كما أن فرنسية كيتي كانت قد صدت ، ولكن وادينجتون وصل بينهما
في قصر من السبعين سنة ، الطمأنينة ، التي لم يسرها صدقة ..
وأثارت ضحكات الراحبة ، التي اطمأنت في السباح وغير تكف ،
دهشة كيتي ، فقد كانت تعتقد أن أهل الدين غالباً عابسون ، ومن
ثم لمس قلبها المرح المصياقي الذي بدا على الراحبة ..

- ٤١ -

● وفتح الباب بطريقة خيل معها لكيتي أنها عذبة . وكأنها
تأرجع الباب على مفصلات .. وولجت الأم الرئيسة الحجرية الصغيرة ،
فوقفت برهة لدى المدخل تحوم على شفتي انقباض وقورة وهي ترف
الأخت الضاحكة ، ووجه وادينجتون المصحل . شعبه يوجه مهرح
.. ثم تقدمت ، وبسطت راحتها لكيتي ..
وقالت في لغة إنجليزية مشوبة بلكنة - وإن كانت سليمة النطق -

وهي تتحرك في شبه انحادة طفيفة : « مزي فين ؟ .. لأنه لسرور عظيم
أن أتعرف على زوجة طبيبنا الطيب الشجاع .. »
وأجست كيتي يعني الرئيسة تشماتها بنظرة طويلة ، دهشة ،
ثم عن إعجاب .. وكانت نظرة صريحة ، ولكن في غير خروج عن
اللباقة ، توحى إليك بأنك أمام امرأة مهيبة أن تكون فكرة عن

الآخرين ، وليست بك ساحة إلى أن تراوغها .. وفي حفاوة وحلال
أشارت إلى زارتها كي يجلسا ، وجلست بدورها .. ووقفت الأخت
سان جوزيف إلى الخلف قليلاً من الرئيسة وهي لا تزال تبسم ، وإن
لاذت بالصمت .. بينما قالت الأم الرئيسة :

- إنني أعرف أنكم معشر الإنجليز تحبون الشاي ، ولذا طلبت
إعداده .. ولكنني أرجو المظفرة إذا كان سيقدم على الطريقة الصينية
.. وإنني لأعرفه أن ستر وادينجتون يؤثر الويسكي ، لكنني أخشى
أن لا أستطيع تقديم هذا الشراب إليه ..

وابتسمت وقد شابها عينيها الجادتين لحة من سكر ، فهنت
وادينجتون : « أهواه .. وفقاً يأملها .. إنك تتحدثين كما لو كنت سكيراً
ملعباً ! »

- أعتني أن تستطيع القول يوماً بأنك لاتعاطي خراً يا ستر
وادينجتون .

- أستطيع دائماً أن أقول إنني لا أشرب قط إلا في حدود
الاعتدال .

فضحكت الأم الرئيسة وترجمت إلى الفرنسية للأخت سان جوزيف
رده اللين ، فطلعت هذه إليه بعينين مشغفتين ، مليئتين بالود ،
وقالت : « يجب أن تؤثر ستر وادينجتون ببعض التسامح ، لأنه خف
إلى حديثنا مرتين أو ثلاثاً ، حين كان مالنا ينضب ولا ندرى كيف
ندبر القوت لأبنائنا . »

يتألق على صدرها .. وكانت في أوسط العمر - ربما في الأربعين أو
الخمسين - وإن كان من المعتد تحديد سنّها بالضبط ، إذ لم تكن
تتحلّ وجهها الناعم انتاح سوى نقضات قليلة .. على أنك تجد
نفسك موقفاً إلى الشعور بأنها قد خلفت مرحلة الشباب بزم ، بحكم
الوقار والرصانة الياديين عليها ، فضلاً عن ضموور يديها الجميلتين
الخويتين .

وكان وجهها طويلاً ، وفهما واسعاً ، به أستان ضخمة غير
متناسقة .. أما أنفها فكان رقيقاً يلم عن حساسية ، وإن لم يكن صغير
الحجم .. بيد أن الشيء الذي كان يطبع وجهها بذلك الطابع الرصين
المهيب ، كان يتمثل في عينيها ، والحاجبين الرقيقين اللذين كما
يعلونهما .. كانت العيان واسعتين جداً ، فاحتى السواد ، ومع أيهما
لم تكونا صارمتين ، إلا أن هدوءهما الثابت كان يكسهما قوة قاهرة
منسجمة

وكان أول ما شملك إذ نظر إلى الأم الرئيسة ، « يا ولاد ! كـ
جميلة في صباها ، ولكنك سرعان ما نضيت أن جمالها إنما كان منسجماً من
شخصيتها وأحلاقتها ، ومن ثم فإنه كان ينمو على مر السنين ! »
وكان صوتها عميقاً ، حائفاً ، متراً . وسواء أكانت تتكلم بالفرنسية
أو بالإنجليزية ، فإنها كانت تتحدث في نودة .. على أن أكثر ما كان
يأخذك منها ، روح مهيمنة ، تلتفت من تسلطها تقوى عارمة ..
فأنت تحس أنها فطرت على أن تكون امرأة ، وعلى أن تطاع ، ولكنها

(١١) - الناحية - كـ

وأقلت الغناء الصينية التي كانت قد فتحت الباب للزائرين
جذبه صفحة من قديم من قديم .. وفيها صورة
معض مختار من حياة مصر ، في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
ويجب أن نذكر من أن هذا هو وجهها كما
يظهرها هذا الصبح ..
وحدودها .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
من الدهان الذي في مصر .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
كويج قد انتعش .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
في هوج كويج من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
وذي .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
حاً .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
والسلام والسكينة السالدين .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
في كل ما يحيط تلك البقعة .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
بهم الدعوى الاضطراب .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
ذاته شيئاً يرجال المصائب .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
بالجود المرضى والمختصرين .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها صورة من حياة مصر في سنة ١٨٠٠ .. وفيها
رعاية الراحات نورا !

ولجست كيتي بهيبة لم تدر ما فاتها ، وهي تأمل السيدة الوقور
التي كانت توجه إليها تلك الأسئلة الودية .. كانت مسربة باللباس
الذي لم تشبه شائبة من أي لون اللهم إلا ذلك القلب القاني الناعم

١٦٣
صورتك يوم
اعتبار : « سيمرني أرى » مسرور « البير بن شام » وكم
مؤسفني أن تراه في الوقت الحاضر وقد شاعت فيه الفوضى .. فإن
لدينا عملاً كثيراً ، وليست لدينا الكفاية من الأخوات الرايات .
وقد أصر الكولونيل « يو » على أن نضع مصعنا تحت إمرة الجنود
التركي ، فاضطروا إلى أن تحول المظلي إلى غير ألباننا :

ووقفت لدى الباب مفسحة لكتبتى كى تمر ، ثم سارت تتعهما
الأخت ما حوزيف واداسحق . يوسوف خلال لى ذهب الصياء
طرية افواه . وولودوف ما ولوا قاعة كثيرة غارية من ارباش ،
جلس فيها عدد من العزات الصديقات مبهكات فى الظنير . ووقفت
إذ دخل الزائرون ، فعرضت الأم الرثيئة بعض عملهن على كتبتى ،
وهى تقول : يا بواحد تدريبى ، عم الوفاء . لأن ذلك يشعر بلى
عن الخطر .

وانتقلوا إلى غرفة ثانية انصرفت فيها وبت أصفرساً من السابقات ،
 بل أعمال الحياة البسيطة .. ثم إلى غرفة ثالثة لم يكن فيها سوى أطفال
 صغار ، تحت رعاية صينية من اعتنق المسيحية ، أطفال في الثانية أو
 الثالثة من عمرهم ، بعيونهم الصينية السوداء ، وشعرهم الفاتح ..
 وكبروا يلعبون في ضجيج ، فلما دخلت الأم الرئيسة تجمعوا حولها ،
 فسكوا بيديها وراحوا يتوارون في ثنايا دبل ثوبها الفضاض ..
 وأشرفت على الوجه القور ابتسامة فاتنة ، وراحت تداعبهم وتطلق

کتاب نقلی بعد از وضع کتابت کتب لا تأثیر آن در
آیا کتب همه بهر دستار کتب اثرات آنست که خواهد بود ولیکن
شعور از این جهت که در این کتابها حایل کتابت
حق اعمده است و در این کتابها در این کتابها
انسانها را که در این کتابها در این کتابها
و در این کتابها در این کتابها

[illegible]

82

[illegible]

فردت الامم من راسه
(مشو)

قد رقت لآليمة وجه لأحب من حبيب . واصف
مظهر : إشفاق .. بينا ناول و ديجيت . وفي عيه بقعة مكررة .
كعكة أخرى - وكنتي لانه شيئاً مخرج - لم قال : سوف
العاشق العاقر الذي يرتقي : ألفت بك مدني حيث علي : أمه : v .
فحولت أم ارتبته إلى كتي وقتت : على سار به فناء

يُكَلِّمَات فِيهَا لُغَةً ، اسْتَطَاعَتْ كَثِيرٌ — وَغَمَّ جَهْلُهَا بِاللُّغَةِ الصِّينِيَّةِ —
أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ مُدْلِلٌ .:

والتجفت سميت قليلا ، إذ بدا لها الأطفال - في زيم الخالص ،
وبشرتهم الصفراء ، وأوفهم القرطحة - أبعد ما يكونون عن
الآدميين .. كان مطهرهم يبعث على النور والتغرز .. ومع ذلك فقد
وقفت الأم الرئبة بينهم وكأنها البر والخير متجسدان ، وعندما همت
بمغادرة الغرفة ، أبا أن يتركها ، وتعلموا بها .. فاصطرت ، وهي
تيسم ، إلى اسماء الفتاة المرتقة لتخلص نفسها منهم .. لكنهم بدلوا
مطمئنين ، فاكثروا ليجدون في هذه السيدة العظيمة ما يتعلمون بها ،
في أي الأحوال ..

وقالت وهم يسرون في دعة أخرى ، تخاطب صفيها : « تعرفين بالطلع أنهم أبناءنا ؟ » أي أريهم لم يوثقوا ، وإنما أريدوا التخلص منهم .. ونحن نذيق بعض المال لقاء كل طفل يجلب إلينا ، وإلا لما تجتمع الآباء عاه إحصارهم ، ولقصوا عليهم .. ثم التفت إلى الأخت الراحلة تسألها : « هل حضر أحد منهم اليوم ؟ »

∴ $\frac{1}{2} \times 100 = 50$

— إنهم الآن — والكوليرا تفتك بهم — أكثر لطفة للتخلص من عبء النبات ، إذ يرون فيه مخلوقات لا نفع لها .

وشاهدت كيتي غرف النوم ، ثم مر الجمع باب كتب عليه
الطلاب ، قاعة المرضى .. وسمعت كيتي أنات وصرخات عالية

وأصوات متأللة كأنها لم تكن تصدر عن آدميين .. قالت الأم الرئيسة في انبساطها المأدبة : « لن أريك قاعة المرضى ، فهي ليست بالنظر الذي يبرجو أى امرئ أن يراها » .. ثم عقيت وكأما خطرت بياها فكرة : « ترى هل الدكتور فين هنا ؟ » .

ونظرت في استهغام إلى الأخت ، فإذا بهذه فتحة الباب وتسلل خلاله ، بأبوابها المرحية :: وانكشت كبتى مخجلة إذ سمح الباب المتخروح بأن تسمع الضجة التي كانت تبعث في الغرفة بوضوح أدنى للرعب والجزع .. وعادت الأخت سان جوزيف تقول : لا .. لا .. كان هنا ، ولن يعود إلا في أواخر النهار ..

— وما حال (رقم ۶) ؟

— بالغلّام المسكين ١ .. لقد مات ١

فرسمت الأم الرثيئة علامة الصليب على صلوها ، وتحركت
ثفتاعا في صلاة قصيرة صامتة ..

ومروا بساحة ، فوقع بصر كتي على شيعين طوليين استلقيا على الأرض جنباً إلى جنب ، وقد غطيا بقطعة من فاش قطي أزرق . فالتفت الرئيسة إلى وادينجن قائلة : « لدينا نقص في الأسرة ، مما يضطرنا إلى أن نضع كل مريض في سرير ، وإلى أن نأخذ بإخراج من يموت فوراً لنضع مكاناً لواء .. ثم التفت إلى كتي مبتسمة وقالت : « الآن ، سترك كنيسةنا .. فنحن نغفر بها .. » ولقد أرسل

[illegible][illegible]

وَأَتَيْنَاهُ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ فَغَضِبَ عَلَيْنَا لَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَوَّلَ غَيْرَ الْآخِرِ فَأَرْسَلْنَا بَيْنَهُمَا الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ فَتَبَيَّنَّا أَنَّهُمَا النَّارُ وَالْجَهَنَّمُ فَنَدَخْنَا فِيهَا مِنْ دُمُوحٍ مُسْوَدٍّ يَصْعَدُ كَدُّ الدُّخَانِ ثُمَّ أَنْشَأْنَا فِيهَا الْفِجَارَ أَوْ النَّارِ الْعَظِيمَ

والأم الرئيسة إلى حجرة صغيرة جداً في الطرف الآخر
دعة .. وعمل إحدى المناضلة كانت تحمى حزمة .. تتولى
... من قماش ، رفعت الأخت فكشفت عن أربعة أطفال
... وكان لوئهم شديد الاحرار ، وقد احووا يحركون
... وعطافه ، وقد انبسط وجوههم
... العريية المطرق ابتسامات رينة .. كانوا لا يكادون يبدون
... هم حيوانات عجيبة .. اصول مجهولة .. ومع ذلك
كان لشظفهم أثر يحرك أوتار القلوب .. ونامتهم الأم الرئيسة في

٤٣

وخلق علفت صورة بالالوان الزيا ،
أمة مريم العذراء ومريم الجدة ،
من شك في أنها معجزة ؟

ثم استطردت الأم الرئيسة وهي ترسم علامة الصليب على صدرها

انقذته متهمة ، وقالت : « يبدون في صحة طيبة .. انهم يعيشون
أحياناً وهم على شفا الموت .. ونحن نعلمهم بمجرد وصولهم طمأناً . »
وقالت الأخت سان جوزيف : « يسير بهم زوج السيدة ..
ليخيل إلى أنه لا يضمن بالساعات في مداغة الأطفال .. ويكشفهم
- حين يكون - أن يحملهم ويربهم على ذراعيه ، كي يطفئوا
ضججهم في طرف !! »

ثم وجدت كتيبي ووادينجتين نفسيهما لدى الباب .. وشكرت
 كتيبي الأم الرئيسة - في احترام - على ما تجسست من عناء ، طاعت
 الرأفة في إجلال بدا جليا أنه كان ينطوي على كبرياء وبشاشة ،
 وقالت :

— لقد كان ذلك صورا عظيما، فأتى لاندركس ما يهذه
زوجك من كرم وعون لنا .. إنه هبة من السماء .. وكنا متباعدة
نبحث معه .. رد لاند أن وجودك تلدك من حب .. وما لك من
من وجه جميل ، مبعث راحة عظيمة له إذا ما عاد إلى البيت .. نسيه
أن تبقى به ، ولا تدعيه يبعد نفسه في العمل كثيرا .. ينبغي أن ترضيه
من أجلنا جميعا ..

وتصرّح وجه كبتى ، ولم تلم ما يفتنى أن تقول .. وبسبب لها
الأم الرئيسة يدما ، فأحس كبتى بينا كانت تمسك بها ، بيلك
العينين المادتين ، المتاملتين ، تستقران عليها بنظرات كأنما كانت
تعاود ما بينهما ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تنم عن فهم عبق ..

وأُعلنت الأخت سان جوزيف الباب خلفهما . فتمتعت كتي
إلى حفنها ، وعادا خلال الطرقات الضيقة الملتوية . . وأبدى وادينجتون
ملاحظة عابرة ، فلم يحبه كتي . . وانفتحت إليها ، فإذا الصحف مسدلة
نحيت لم يستطع أن يراها ، ومن ثم صار ضامتا . . حتى إذا بلغا النهر ،
هبطت من الحصة ، ولدهشته رأى عيناها تفيضان بالدمع . : فسالها وقد
تنكص وجهه في اسقاء : : ماذا جرى ؟ ؟ .

فقلت وهى تحاول أن تبشيم : « لاشى .. مجرد بلاهة ! » .

- ٤٤ -

● ولما دخلت كيتي إلى نفسها مرة أخرى ، في قاعة الخلوص المتواضعة بدار المبشر المتوفى ، استلقت على المقعد الطويل المواجه للنافذة ، وأرسلت نظر أنها الساردة إلى المجد القائم على الضفة الأخرى للنهر ، وقد عاد مع مهبط السماء يبدو جميلا ، ساجدا في الهواء .. وشرعت تحاول أن تنسج المشاعر التي كانت تخلف في فؤادها .. إنها ما كانت تعتقد فقط أن ياربها هذه اللدبر تؤثر في نفسها إلى هذا الحد ، فقد ذهبت بدافع من الفضول ، إذ لم يكن لديها ما تشغل به ، وكانت قد قضت أياما كثيرة تأمل المدينة القابعة في أحضان سورها عبر النهر ، فودت لو تلتق نظرة على شوارعها المخوفة بالقموض . ولكلها ما تكذب تلعب اللدبر ، حتى خالبت أنها انتقلت إلى عالم آخر لا موقع له في مكان أو زمان .. ولاحظ لما تلك الغرف العارية ، الردهات البيضاء ، وكأنها - في بساطتها ووجوها - تحوي روح

شيء عظيم . حرى . وكان بعد سبع عشرة سنة . وشبه
أولاده . ثم انشور . كان له من المال في قريته
مكائير اثنتان . ثم . وحدها . ثم . ثم . ثم .
أضنى عليه الإبل . ثم . ثم . ثم . ثم .
رقيقاً . وكان بعد من ثم . ثم . ثم .
ناحق . ثم . ثم . ثم . ثم .
في الواقع من استحياء . ثم . ثم .
ورث في . ثم . ثم . ثم .
ف تحت الأخت . ثم . ثم . ثم .

ولم تكن . ثم . ثم . ثم .
الأم الرئيسة . ثم . ثم . ثم .
أنفق وهي . ثم . ثم . ثم .
إذ سمعت طبيباً . ثم . ثم . ثم .
شيء من جهود . ثم . ثم . ثم .
فأما هذا . ثم . ثم . ثم .
توحي أن . ثم . ثم . ثم .
من حكي . ثم . ثم . ثم .
الكثير من . ثم . ثم . ثم .
و هو . ثم . ثم . ثم .

وكانت خصاله من الدرجة الثانية . وتمت لو استطاعت أن تنتزع من
قلها الحب الذي كان لا يزال متغللاً فيه نحو . . وأن لا تفكر فيه !
كذلك كان واديتجن يرفع من قدر وولتر في تفكيره . . هي
وحدها التي كانت عمية عن جداته . . لماذا ؟ . لأنه أحبها دون أن
تحبه . . ترى أي شيء في القلب الإنساني يجعلك تزدري إنساناً لأنه
أحبك ؟ . ولكن واديتجن اعترف بأنه لا يميل إلى وولتر . . وهكذا
كان الرجال . . بينما كان من السهل أن ترى أن الراهبتين كانتا تكان
له شعوراً أقرب ما يكون إلى الحب . . وكذلك كان هو حفيماً بالنساء .
كنت تشعر على الرغم من خجله أن نفسه تنطوي على لطف بالغ
حتى !

- ٤٥ -

• وكان للراهبتين - فوق كل شيء - أثر عميق في نفس كيتي . .
كانت الأخت سان جوزيف ، يوحها المرح ، ووجتها المتوردين
كالنفاخ ، واحدة من الثلة الصغيرة التي جاءت إلى الصين مع الأم
الرئيسة منذ عشر سنوات ، فرأت زميلاتها يتن واحدة إثر الأخرى
بالوباء ، والحمران ، والحنين إلى الوطن . . ومع ذلك فقد بقيت
صبيحة ، صعيدة . . فما هذا الذي كان يث فيها تلك الروح الساذجة
الطروب ؟

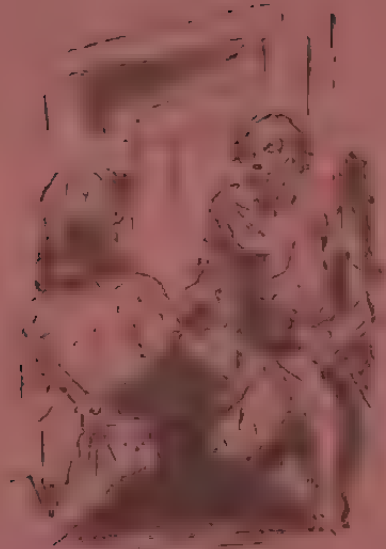
والأم الرئيسة ، ما أروع هبتها . . وأحمت كيتي بنفسها تقف -
في الخيال - أمامها ، فأحست من جديد بضاقة واستحياء . . وكانت رغم

... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...

... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...
... من ... من ... من ...

بساطها ومثلها ذك كبرياء عظيمة . . حتى أنها قد . . ولا تستطيع
أن تصور في وضع أي مزية أو عظمة . . ثم . .
أظهرت الأخت سان جوزيف . بطريقتها في الوقوف أمامها . .
إشارة بسيطة ، ولبهجتها في الإجابة ، مدى إدعانها وطاعتها لها . .
أن أشهر واديتجن بلهجة أنه من ساذجة وسبيرة . .
كامل حريته أمامها . . وخيل لكيتي أنه لم تكن ثم ضرورة للإنسان بأن
الأم الرئيسة تنتمي إلى إحدى الأسرات العظيمة في فرنسا . فقد كان
في هبتها ما يوحى بمرافقة أصلها ، وكان لها نموذج الشخص الذي لم
يعرف قط أن ثم احتمالاً في أن لا يطاع . . كان لها جلال سيدة عظيمة ،
وتواضع هدية . . في وجه القوى عظم . . سح السحب ،
التي ترك عليه الزمن آثاره ، عوس لا يتلو من حمة الماطلة .
ومع ذلك فقد كان لها من الدعة والطف ما جعل أولئك الأطفال
الصغار يتعلقون بها في غير خوف . مطمئنين إلى عرافتها العميقة . .
ولقد أشرفت على وجهها حين نظرت إلى الأطفال الأربعة الحديثي
المولد ، ابتسامة عذبة عميقة ، كأنها شعاع الشمس يشرق على مرج
برى في منزل عس العالم . . ولقد ترك ما قالته الأخت سان جوزيف
غفواً عن وولتر ، أراً غريباً في نفس كيتي . . كانت تدرك أنه يتوفى
في رغبة مستبسة إلى أن يكون له طفل ، ولكنها لم تفل قط - لصمته
ووجوهه - أن في وصحه أن يبدى لطف لفة ، ومداغة ، وحناناً .
دون أن يمانى في سبيل ذلك مشقة وجهد . . من معظم الرجال يعانون

فَمِنْ رَاحِلِهِمْ عَلَى غَيْرِ هَدًى عَلَى سَفْحِ الثَّلْجِ : كَلَّ الشَّيْخُ أَوْ ثَلَاثَةٌ



بہتر منسوب کان بسفلی غل الارض ، ومان کنی
مہنامہ الاحمد

وكانت شوارع المدينة في تلك الساعة خاوية ، فبدت المدينة أقرب منها في أي وقت آخر إلى أن تكون «مدينة الموتى» ! .. وكان المارة القلائل يملكون شاربين ، واحين ، تكاد نسمهم أشباحا .. وكانت البهاء حالية من الضحك ، وشمس الكور ترسل صوهاً بهياً ، بحيث كان من العسير أن يتصور أحد في ذلك الصباح البهيج ، المشمس ، في تحت قصة انوما الالهة كزحل تنزع يد من بين جنينه ! .. لم يكن أحد ليصدق أن الطعمة «ذات البهاء الحساقية» تكتب الطفل - فظهر هكذا في الاكثريات التالية - ، يتلون دعواً ، ويعجبون دعواً ! .. وعندما أرلت عمه كيتي - وهذه الوصفية أمام باب البيت - نهض مسئول كذا يتنقل على الأرض ، وسأل كيتي شيئاً من الإحسان .. كان منعاً في أحيان شاذة شواء ، وكأنها من كومة مهلهلة .. فكنت ترى خلال نقراتها لحمها جافاً ، حشماً ، أحمر كحذل الماعز ! .. وكان مساقبه الخنجلتين ، ورأسه الذي يعلوه شعر جاف مشعث احتلّ قه البياض بالمواد ، وما كان له من عاترين وعيين جاحظتين .. يبدو كاهول .. فحولت رأسه ، وسأله حلة الخنجلتين في أصوات خشنة أن تصرف ، ولكنه كان ملحاحاً ، فأعطته كيتي بعض التفود وهي تحبف ، لتصرفه عنها ..

ووقع الملك في حبسه، وصعدت إلى قفصها، كئي حزوا
الزنى وأقاربهم، وذهبوا إلى قاعة الاستقبال ليعتد
الحشة، التي لم يلدوا بها تحت يوماً، وهناك حلت أمداً
صعباً، حتى بدأت تغدو حاءها لم يلع للآم الزبنة، ولكنها
حاولت أن تفسر حدة قفصها، وأرجو العبرة إذ استيقظت في
الضوء ضللاً، فبدأت تفتق قفصها، وكنت مشغولة.

[illegible]

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
الذي هو كتاب الله العزيز

فما حزنوا عليه . و اعترفوا علاناً بالذنب . و هم
 ينسردون قائلة : من الضعف أن احزن . لأنني اعرف أن روحها
 طيبة . و قد اعترف مراراً في السبيل . كانت قدسة . ولكن

من المبرر دائماً أن يعاقب المرء معصيه ، ونحني أن لا نكون دالة
عاقبه بوسيلة .

قلت كيتي . إلى حديقته . تنفذ كي أكتب .
وأثر عطفها غصة مائة في حس ذم زنته وهي تظن فامة
كانت من أحبابها لأن حب من فراسد عند سورات
لم ين لمها لأن عر لاث . وإن لأذكر ثناء مناهجها في
مرف حبيبة . وفي كانت تغدنا بعدة مرف . صيا . وأياها
تقال . ماتت ماري لأجراس . سعي . فأجدا على معا . كتب
أصل أماني قد دخلت حبيبة الزهرة أن يتاح . أن في هذا النص .
ولكني حين رأيت الأرض تقاعد عنا . لم أوعس أن أكتب عسى
من أكتب . وكب . نشت . فلم يكن ما غفلت ما للطلب اليان
ووددت أن أكتب أحب . إلى . كافي . وهو اسم الأخت
التي تزوجت إليه اسم . سعي . فحدثت في ل الأخر . لأن غنة
من أيا . كيت . وثمة وحدها .

وكان الحزب الذي اضطرنا إليه الطبعة الشريفة والحمد لله
كانت تلبه لتحت القوم التي كان سلفه يابها شكها
مها . بعضنا زوجها انصار المبح . ولناحت كئي عنها في
لغة إذ عيل إليها أن ليس من اللائق أن تترق النظر إلى الصراع
الناشئ في نفس الراحة الوفيرة
ولقد كنت أحاول الكتابة إلى أ

وقالت : ليس في هذا ما يتحلف يا صغيرتي العزيزة ، وليس هذا الاقتراس بالأمر المستند .. مذموق تزوجت ؟

- إني شاحه اللون لأني مطبقة شاحية .. ولكنني موفورة القوة ، وأعلمك بأنني أشفق من حمل ..

وكانت الأم الرئيسة قد استردت سيطرتها على نفسها ، واستعادت - دون أن تعلم - مظهر السيطرة الذي كان يطبعها عادة بظاهرها ، وولحت تنفوس في كيني لتسبر غورها ، حتى شعرت هذه بأعصابها تضطرب .. وسألتها الرئيسة :

- لو تحسبن التكلم بالهيبية ؟

- فأحاث كيني : « يوسفنى أن أجيب بالنفى »

- آه .. هذا شيء يوسف له ، إذ كنت أحب أن أعهد إليك بالفتيات الكبريات .. إن الإشراف عليهن متعذر في الآونة الحاضرة ، وأحسنى أن يصبحي .. بماددا يصفونني ؟ .. أن يصبحن مشردات حائحات ؟

- ألا أستطيع أن أساعد الأعزوات في اغريض ؟ .. إني لأحسنى الكوليرا إطلاقاً .. ولستطيع أن أعنى بالفتيات لو ألبود ..

فرمقتها الأم الرئيسة بنظرة متاملة ، وقد انجابه عن وجهها الانتماء ، ثم هزت رأسها وقالت : « لك لا تحرفين الكوليرا على حقيقتها .. إنها بشعة .. ولخود هم الذين يقومون بالعمل في قاعة المرضى ، ولما في حاجة إلا لأنك تشرف عليهم .. أما فيما يتعلق

بالفتيات ، قد .. لا ، لا .. إني متأكد من أن زوجك لا يرغب في ذلك .. إنه مطر مزعج ، وهيبه ..

- إني لن ألبث أن آتفه ..

- لا .. هذا أمر يتخى أن يتعبد .. إنه عظماء الذي عب أن تتأثر به .. وليس من دافع لأن تمارجه ..

- من تعطيني أشعر بأنني عديدة قطع والعلو .. لا أكاد أصدق أن ثمة شيئاً لا أستطيع أن أفعله ..

- هل تحدثت إلى زوجك عن رغبتك ؟

- أجل ..

مضرت إليها الأم الرئيسة وكأنا تنفذ إلى خفاف ثلبها ، ولكنها ابتسمت إذ رأت نظرة كيني اللينة بالهبة والرجاء ، فسألتها :

« إلك بروستانية المذهب بالطبع ؟ »

- نعم

- هذا لا يهم .. لقد كان الدكتور والطن - المبشر الذي تولى - بروستانية ، فلم يؤثر هذا في تعاوننا .. بل كانت بالغ الكرم معنا .. وإنا للدينات له بأعظم القبول ..

وحوم على وجه كيني طيف استسامة ، ولكنها لم تنقل شيئاً .. وبعداً على الأم الرئيسة أنها تنكر ، ثم نهقت قائعة وهي تقول : « هذا جبل منك .. أعقد أنني أستطيع أن أجهدك عملاً .. فالواقع أن

أن تجتهد بالابتهامات والإشارات ، ولكنها كانت تشجع عنها ،
وتنظر بأنها لا تراها !

— ٥٥ —

• وإذا كانت الراحات مشغولات من الصباح إلى المساء بمئات
الواجبات ، فإن كيتي لم تكن تراهن — في غير أوقات الصلاة — في
المعهد المتواضع — إلا قليلاً .. ولقد غلبها الأم الرئيسة ، في أول
أيامها ، جمالية في مؤخرة الغرفة خلف البنات اللاتي كن موزعات
على المقاعد الخشبية الصغيرة حسب أعمارهن ، فوقفت تتحدث إليها
قائلة : « لا نظئي أن من الضروري لك أن تأتي إلى المعهد حين نذهب
إليه » فأتت بروستانتية ولك عقائدك الخاصة !

— ولكني أحب أن أتي يا أمه ، إذ أجد في ذلك راحة لي ..
فرمقتها الأم الرئيسة بنظرة وقد مالت برأسها للوقوف قليلاً ، ثم
قالت : « لك طبعاً أن تغلي ما تشائين .. إنما أردت أن تنهي أن
ليس ثمة إلزام عليك في هذا الصدد .. »

على أن كيتي سرعان ما أصبحت مع الأخت سان جوزيف ،
لا على ود بحسب ، بل على ألفة .. كانت الراحة مشغولة عن عالية
الدبر ، فكان تدبير رفاة تلك الأسرة الكبيرة ببقايا طيلة النهار في
نصب ، حتى لقد قالت : إن الوقت المخصص للصلاة هو الوحيد
الذي كانت تحظى فيه بشيء من الراحة .. بيد أنه كان يحلو لها أن
تدلف حوالى الغروب ، وكي تترشد البنات إلى العمل ، فتجلس

الحريف ، وأشجار التفاح عملة بالثمار ، والمحصولات مكدسة في
مخازنها .. لم يكن لها الوار الآسي الذي يلوح على الأم الرئيسة ،
ونما كانت طروباً ، ساذجة ، سعيدة ..

سألتها كيتي : « يا أمه .. فلماذا لا تترجعين إلى هنا ، في حين
أنني أحب أن أكون هنا ، وما أشعر قط بمثل العادة التي تغترق
إذا أكون بين الأيتام .. إنهم طيبون ، شاكرون .. ولكن .. بالرغم
من أن الفراغ للدين نعمة ، إلا أن المرء أما لا يمكن أن ينسى أنه
وضع الدين من نسيبها .. وإنه أرى لمجوز ، ومن المير على النفس
أن لا أراها ثانية .. وإن كانت ، من ناحية أخرى ، تحب زوجة
أخي ، كما أن أخي حتى بها .. إن ابنه كبير ولا بد ، وما أظنهم
إلا ميسرون بأن ينضم إليهم في أعمال الحقل ساعدهم الفتيان .. كان
طفلاً حين يارحت فرنسا ، ولكن شكله كان يبشر بأنه سيقوى على
أن يصير ثوراً ببقضته .. »

وكان من المستحيل وأنت تجلس في تلك الغرفة تصمتي إلى
الجلودان الأربعة .. وكانت الأخت تعطر كيتي بالأسئلة عن ..
حتى ليبدو عليك أن ترى بك في وضوح النهار ! .. كما كان يحلو
لها أن تعرف ما إذا كانت كيتي قد ترددت على المراتص ،

لتسريح بعض دقائق وهي تقسم بأنها متعبة وليس لديها من الوقت
لحفنة تضيئها .. وتروح تترثر .. وكانت .. في غير حضور الأم
الرئيسة — كثيرة الكلام ، مرحة ، مولعة بالنكات والفكاهة ،
لا تأب أن تومس في بعض المصانع .. ولم تكن كيتي ترهبها في
شيء ، كما أن وضعها — خارج السك الديني — لم يمنع الأخت
سان جوزيف من أن تطلق لطيفتها العنان ، فتفيض في الحديث معها
في فكاهة ومرح .. ولم تكن تتورع عن أن تكشف لها أخطاءها في
الطنن بالفرنسية ، فتضحكان معاً من هذه الأخطاء ، كما أخذت
تلقنها في كل يوم بضع كلمات صينية .. كانت ابنة بزراع ، وغد
طلت تحمض في أعانها بمطرة الفلاحات .. كانت تقول : « لقد
اعتدت أن أرمي القصر في صغري ، كما كانت تفعل القديسة
جان دارك .. ولكنني كنت خبيثة فلم تظهر لي الأرواح والرؤى كما
ظهرت لها ! .. وكان هذا من حظي ، على ما أعتمد ، وإلا لأوسني
أبي بالوسط ، فقد اعتاد — العجوز الطيب — أن يسوطني لأتني كنت
عقربية شقية .. أتني لأستحي في بعض الأوقات إذ أذكر الألاعب
التي كنت أدبرها ! »

وكانت كيتي تضحك إذ تتصور أنه هذه الرأية البديهة التي
تجتاز وسطى مراحل العمر ، كانت يوماً كبقية الأطفال .. ومع
ذلك ، فقد كانت لا تزال بها بقية من روح الطفولة تجنّب قلبك
إليها .. وكانت تلوح وكأنها يفوح حولها عير ساحة وفيه في فصل

وما إذا كانت عاشت في قصر كبير .. وكما أوتيت من الإخوة
والأخوات .. وكثيراً ما كانت تتحدث عن وولتر .. وكانت الأم
الرئيسة تقول : إنه رائع ، ولأنه يصلين من أجله كل يوم .. وإن
كيتي محظوظة إذ أوتيت زوجاً له مثل هذه الطيبة والشهامة والمهارة !

— ٥٦ —

• بيد أن الأخت سان جوزيف كانت لا تفتأ تعود إلى موضوع
أم الرئيسة في أوقات متفرقة .. وكانت كيتي قد فطنت من البداية
إلى أن شخصية هذه المرأة كانت تسيطر على الدبر .. فكانت كل
المنقبات فيه يرمقنها في إعزاز أكيد وإعجاب ، و .. في مهابة أيضاً
وغنى من الخوف قليل .. وكانت كيتي نفسها تشعر بأنها تستجيب
أمامها إلى تلميذة ناشئة أمام ناظرة مدرستها ، رغم رقتها ولطفها ..
فهي فقط لم تشعر في وجودها بكامل حريتها ، إذ كان يتملكها شعور
عجيب يعبرها .. احترام ضاف .. ولقد راحت الأخت
سان جوزيف — تدفعا بغية خيفة في أن تبهرها — راحت تحدثها
عن مدى عظيمة الأسرة التي كانت تنتمي إليها الأم الرئيسة ، فقد
كان بين أجدادها أشخاص ذوو أهمية في التاريخ ، وكانت ذات
صلوات وأوشاح بنصف ملوك أو بيا .. وكان القونسو — ملك أسبانيا —
صديقاً ولها مقصد .. وكانت ترمس في كده أ ..
.. ولذلك فقد كان من الشاق أن تهجر كل هذه الأبهة !
وكانت كيتي تفتت منسية .. وحدثت لك .. في نفسها ..

فمن تصدقن ما حرى ؟ . لقد جاء مسر وادبحتن الحكه في اليوم
الذي ليرانا ، ومنحه مائة دولار وهو يقول : إننا سبو كمالا كما
في حاجة إلى طق من الشواء الشهي ! .

ما كان أطرفه من رجل ، بصلته . وعينه المكرتين . ومكانه
.. يا إلهي !.. ما أحرأه على قتل اللغة الفرنسية باللهجة التي نطقها بها .
« ومع ذلك فأت لا تذكين سوى أب تصحكي به .. كان دثماً
فكها ، حفيف الروح ، ولقد فعل طيلة هذا الزمان الرهيب وكأنه
بشتمت معتلة طية .. كان له قلب كملوث الفرنسيين في مرحلة ..
وبدئية تفعلك لا تصدقن أنه إحصري ، لولا اعوجاج لسه في
الطق ! .. وإن كنت الأخت سان حوريف نطق أحباً أنه بعدد
أن يتكلم بلغة ركيكة ليثير صحت من يستمع إليه . ومن الصحيح
أنه لم يكن كما ينبغي من الناحية الحلقية ، بيد أن هذا شأنه الخاص ..
ثم إنه كان شاماً ، أعزب !

وشأما كيتي متسة . « وأنى عيب في أخلاقه يا أختاه ؟ »
- أختاً لا تعرفين ؟ .. إنها حطلة أن أقول لك ، وليس من شأن
أن أحوض في هذه الأمور . إنه يعاشر امرأة صينية . بل هي ليست
من الصين ، وإنما من « ماشو » .. يبدو أنها أميرة ، وأنها تحب في
حسب !

فصاحت كيتي . « إن هذا مسجل ! »
- لا ، بل أنسم لك أنه عين الحق . وهذا ثم عظيم يفدوه . إذ

وقالت الأخت : « ليس عليك سوى أن تنظري إليها ، تحدى أصلها
منعكاً عليها .. فقالت كيتي : « إن لها أهل بدين رأيتها في
حياتي » .

لكنك تعرفين كيف تستعملهما ، فإن أمنا طيبة لا تأثم
من عمل .. يوم يكن في المديرة ، مسح الذكر حين وفدت
الراجلت ، فأنشأ سيد .. وتولت الأم لرئيسة معها الإشراف
على سائر ورفع صرحه . وعكس نحدد وصوله على إشد الغنيات
المسكين من مولد الأطفل . ومن أبدى التاملات قسائبات ..
ولم يكن لدين في الدية أسرة يسر فيه . ولا راح لمو قد بعد
عشر عادية هو الهليل . وكثيراً .. كنت نتودهن بعد فلا يلقى
لدين ما يهديه من أجور الدين . بل ولا ما يلقى أيضاً متونهم .
فكن بعض كالملاحات .. أو ، على حد تعبير الأخت سان حوريف ،
كان الفلاحون في فرنسا - المرحب الذين يعملون لدى أنها -
لا يتورعون عن إلقاء أمثال ما كن يفسن عليه من أطعمة ، للحارير ..
ولإد ذلك . كانت الأم لثريسة تجمع « سائها » حوفاً . ويركض
مضليات ، فبدأ العبداء الماركة ترسل لم الحاد . إذا ما كنت هربت
نصله بل ريد في اليوم لثاني . أو إنا عريب . أو إحصري - رغم
أنه بروستاني - أو حتى صيني . يفرغ المساب وهي راكعات
للصلاة ، حاملات لهن مسحة ! . ولقد كن مرة في مرق شديد
حتى لقد سرن للممرء الماركة صلاة صوية إذ هي أنقذتن

نفسك لهذا الأمر وذلك .. وبذلك لما الحياة وسط الزمان المروع أمراً
طبيعياً ! كانت تدرك أن الناس يموتون عن يمينها وعن يسارها ، ولكنها
كنت عن أن تشغل بالها بذلك .. وكانت الأم الرئيسة قد حرمت عليها
أن تلج قاعات المرضى ، فإذا الأبواب المغلقة تذكى فضولها ، حتى
لقد ودت لو تسرق النظر إلى ما كان يجري خلفها ، لولا أنها حسد ،
أن يراها أحد ، ولم تكن تدري أي عقاب تزل الأم الرئيسة بها ، صبا
وأنها صارت تفرض أن تقصى عن الدبر ، فلقد شغفت ..
وأصبحت تشعر أنهم صيفقدونها لو أنها أفصبت ..
تعجب كيف يكون أمرهم بدون رعايتها ..

وفطنت ذات يوم إلى أنها قضت أسبوعاً كاملاً دون أن تفكر في
تشارلس نارسند أو لحلم به ، فطقت قلباً فجأة بنف ، إذ وأت أنها
برئت من حبه ، وأن في وسعها الآن أن تفكر فيه بغير ما أكرات
.. إنها لم تعد تحبه .. أو أه ، ما أجل الشعور بالخلاص والتحرر ! ..
.. « يا عرساً .. وهي سمر من الماضي .. ذلك الحين .. »

كان يساورها نحوه .. لقد ظنت أنها مستوت عند ما تحلى عنها ،
وخالت أن الحياة لن تتيح لها بعد ذلك سوى العاسة .. ومع ذلك ،
فها هي ذى نفسك ، وترى فيه شخصاً حقيراً لا قيمة له . لقد جعلت
من نفسها في الماضي غيبة حقاً ، أما الآن ، وهي تفكر فيه بهدوء ،
قد أصبحت تائل نفسها في عجب : أي شيء استهوا فيه .. كان
من حسن الحظ أن وادينجتون لم يعرف من أمرها معه شيئاً ، وإلا

لا يتبني ممارسة مثل هذا العمل .. أم تسمعي ما دار حين جئت أنت إلى
الدير أول مرة ولم يشأن أن ينزل قطار « المادلين » التي صنعتها خصيصاً ،
فقال أمنا الطيبة إن معدته قد أقصدها طهي أبة « ماشو » ؟ .. كانت
تعني بذلك ، وكان خليفك بك أن ترى الذي تجل على وجهه .. إنها
قصة غارة في الحب .. الظاهر أنه كان في « مانكو » أثناء الثورة ،
عندما هب الثوار فأعملوا الدبح في أبنائه « ماشو » ، فإذا بوادينجتون
الطيب ينقذ أسرة من أمراتهم الكري ، كانت تحت بالقراءة إلى الأسرة
الإمبراطورية .. وكان أن تلقت الفتاة في هواه ، و .. وتستطيعين
أن تتصورى بقية القصة ! .. وعندما غادر « مانكو » طرقت الدفء
وتعنه ، وهي إلى الآن تدعه أينما ذهب ، وقد راض نفسه على أن يأويها
.. بل أستطيع أن أقول إن المسكين يده .. فزن يات « ماشو » يكن
في بعض الأحيان فانات .. ولكن ، ما هذا الذي أمله ؟ .. إن لدى
ألف عمل ، ومع ذلك فقد استطلبت الجلوس ها .. إني راحة سيرة
الحلق .. إني أعجل من نفسي !

« وإناب كيتي شعور غريب بأنها تتلور .. فلقد صرف المسك
المستر ذهنها عن هواجدها ، وأبغظت خيالها للسمات التي كانت
تظلمها على حياة وأفكار سواها ، فشرعت تستعيد هدوءها وطابعها
وتشعر بالتحسن بصيب محبها وقراها .. وبعد أن كانت تخال أن لم
بعد لها سوى الكاء ، انتبهت إلى أنها - لدهشتها وعجبها - أصبحت

ما احتملت نظراته الخبيثة ، وتميقاته الساخرة .. لقد صارت أخيراً حرة .. حرة .. حرة ! .. ولم تمالك أن أرسلت ضحكة عالية ..

وكان الأطفال يلعبون في ضجيج حولها .. وكان من عادتها أن ترقبهم في ابتسامة حليقة ، وأن تخفف من ضجيجهم إذا ما أسرفوا فيه ، وأن تراعى أن لا يضار أحد منهم من جراء هرجهم .. أما الآن وهي في سرورها الضاق ، فقد أحبت بنفسها تهبط إلى منهم ، فاشتركت معهم في اللعب .. واستقبلتها الصغيرات في اغتباط ، ورحن يتسابقن في الفرقة ، صارخات بأعلى أصواتهن الرقيقة ، في هرج وغوضى .. واشتد بين التحمس فرحن يقفزن في فرح .. وأصبحت ضوضاؤهن لا تنطق .

وقبالة ، فتح الباب ، وبدت الأم الرئيسة عند عتبة .. وخلعت كتي نفسها من قبضات الصغيرات في استحياء ، بينما كن ينشبن بها صارخات .. وتساءلت الأم الرئيسة مبسمة : « أهكذا تستيقن هؤلاء الأطفال هادئين ؟ »

— كما نقوم بإحدى الألعاب يأماه ، فاشتد بهم الانفعال .. إنها غلطي لأنني أنا التي قسنتهم إلى ذلك ..

ونقلت الأم الرئيسة ، فتراح الأطفال حولها كمداتهم ، ولحاطت أكافهم الصغيرة بلماعيا ، وراحت تجذب أذانهم في مداعبة ، وهي ترمق كتي بنظرة ملوطة حانية .. كان وجهها متضجراً ، وأفانصا متهدجة ، وعيناها الجراججان تلمعان ، وشعرها الجميل قد تشعث

حلال اللعب والضحك فتأثر في فرضي حية .. وقالت الأم الرئيسة بالفرنسية : « ما أجملك يا ابنتي العزيزة ! .. ثم أردفت بالإنجليزية : « إن مراك يملأ القلب بهجة .. فلا عجب إن شغف بك هؤلاء الصغار ! »

وازداد وجه كتي تضجراً ، وتدفعت اللبوع إلى عينيها فجأة لغير ما سبب أدركته ، فغطت وجهها براحتيها وهنفت : « أوآه يأماه ! .. إنك تخجليني » .

— لا تكررني بلها ، فإن الجبال تعمة من الله ، بل هو من أنذر النعم وأغلاها ، وجدير بنا أن نكون شاكرات إذا سعدنا بالفرح به .. وأن نكون حامدات إذا لم نفرح به ، لأن صواتنا قد حظي به كتي على أنظارنا منه !

وعادت تيسم ، وربت خد كتي اللعاب برفق كما لو كانت طفلة ..

— ٥٣ —

● أصبحت كتي لا ترى واديجتن — مذ عملت في الدور — إلا قليلاً .. فقد واغها مرتين أو ثلاثاً لدى ضفة النهر فسارا معاً صاعدين التل إلى دارها ، وكان يعكث ريثا يتناول قداماً من الويسكي والصودا ، ولكنه قلبا بتي حتى العشاء ..

على أنه اقترح في أحد أيام الأحاد أن يأخذاً غداً هما معهما ويستقلا محفنين إلى معبد بوذي على مسافة عشرة أميال من المدينة ، اشتر بأنه

مقصد المحجج — وكانت الأم الرئيسة تصر على أن تعطي كتي يوم الراحة .. وتأب أن دعها تعمل في أيام الأحاد .. أما وولتر فكان كهمده ، أبداً مشغولاً ..

وانطلقت كتي وواديجتن مبكرين كي يصلا قبل أن تشرق حرارة الشمس ، فحالا على المحفنين في طريق تسق خلال حقول الأرز .. وكانا من كبر السن .. بعض السوب أربعة الميعة وقد استكانت بين أحضان أعراس الحيزران .. واستقامت كتي الممول الذي صرى إليها .. ولذا طأ أن يرى الربيع السبيع عد طول مناهيا في المساء ، وقد .. واستيا إلى معبد مجموعة من أساني المتلاصقة ، المحصنة دمت إن حوار أبر .. في صدارة الشجر .. وودها الكهنة في بشاشة إلى ساحات كانت خالية ، يسودها الوجوم ، ثم أروها أقسام المعبد وما فيها من أمة .. وفي القسم الأوسط ، جلس بوذا .. حزناً ، مفكراً ، مابجاً ، وعلى أساريره طيف ابتسامة واهنة .

وكان طالع الإهمال يدمع كل شيء ، فكانت روعة المكان تتوارى خلف القدم والتهدم .. وكانت تماثيل الآلة تزح تحت التراب ، كما كان الإيمان الذي أدى إلى صنعها يخضر .. وبدا كأنها الكهنة يتكون على مضض ، مرتتين صدور الأمر بأن يهاجروا المعبد .. وكان في ابتسامة كبيرهم — وعظم أذيه الجم — استسلام ساخر .. إذ لن يلد الكهنة أن يتسللوا يوماً من العانة الطويلة ، البديعة ، منهم انماوص الموجه اباني المتداعية المهجورة ، وتحاصرها الطبيعة حتى تقطرها

إلى الاستسلام .. وتلف النباتات الزاحفة البرية حول القنابل الميتة ، وتتكاثف الأشجار في ساحات المعبد .. ثم لا يعود للألفة مقام في هذا المكان ، فتممره أرواح الشر والظلام ..

— ٥٤ —

● وجلسا على درجات منى صغير كان يتألف من أربعة أعمدة بيضاء ، وسقف عال أقيم تحته جرس برونزي كبير .. وأحدًا يتألمان النهر وهو ينساب وتيداً ، في كثير من اللتي ، نحو المدينة المربوعة .. وكانا يريان أسوارها غير المباسقة ، والقبض مبسوط فوقها كقطعة التابوت .. ومع أن النهر كان يضاب بطيئاً ، إلا أنه كان يكشف عن حركة توحى للمرء بإحساس حزين إزاء تطورات الأمور .. كل شيء يتغيى ، فأى أرى بتي لانتفاضته ؟ .. وحيل لكيتي أنهم جميعاً — لجنس البشرى بأمره — كقطرات ماء في ذلك النهر ، تسرى ..

وسالت كتي واديجتن وفي عينيها الجميلتين ابتسامة : « هل تعرف بسائين هارينجتين ؟ »

على النهر الهادئ ، وهي تتمثل نفسها و « وولتر » كفتعتين صغيرتين
تسربان في صمت ومكينة نحو بحر الأيدي المظلم .. ثم سأته فجأة وهي
ترفع رأسها : « هل لي أن أزورك لأرى تلك السيدة ابنة مانشو ؟ »
— إنها لا تعرف كلمة إنجليزية واحدة ..

— لقد كنت مفرط الكرم معي ، وقد بللت الكثير من أجلى ،
ولعلني أستطيع بمسلكي أن أشعرها بأنني أكن لها ودا ..
فارتسمت على شفتي وادبحت ابتسامة رقيقة ، ساخرة ، ولكنه
أحباب في سماحة نفس : « سأحضر لأصحبك ذات يوم ، ولوف تقدم
لك كوباً من الشاي المعطر بالياسمين .. »

ولم تشأ أن تخبره أن قصة هذا الحب الغريب قد أثارت خيالها هذا
سمتها ، حتى أصبحت الأميرة ابنة « مانشو » بالنسبة لها أشبه برمز
يشير لها في إهام — ولكن في دأب ودون انقطاع — إلى عالم خرافي
تعمره الأرواح ..

— ٥٥ —

● بيد أن كيتي لم تلبث أن اهتدت بعد يوم أو اثنين إلى كشف
لم تكن تتوقعه ولا علمت له حساباً .. فلقد ذهبت إلى الدبر كعادتها ،
وشرعت تؤدي عملها فاحصة الأطفال لتستوثق من أنهم قد اغتسلوا
وارتدوا ثياباً نظيفة .. ولما كانت الراهبات يؤمن في إصرار بأن
هواء الليل ضار ، لذلك كانت نوافذ عتبر اليوم تغلق طيلة الليل ، فإذا
ما أصبح الصباح ، كان الجو يبدو ثقيلاً فاصداً مشعباً بالأنفاس ، مما كان

بضايق كيتي ، فيجعلها تسارع إلى فتح أكبر عدد تستطيع من الواد
.. ولكنها في ذلك اليوم أحست بإعياء شديد ، ودوار في رأسها ،
وغثيت نفسها ، فوقفت إلى جوار نافذة تحاول أن تنعش وتبذل
نفسها .. إنها ما أحست قط بمثل هذا الشعور من قبل .. ثم غلبها القشيان
فتقيأت .. وتدت عنها صرخة أزعجت الأطفال .. فظهرت نحوها
الفتاة الكبرى التي اعتادت أن تساعد ، ولكنها لم تكدر تراها ترتجف
وقد شح وجوها ، حتى توقفت ، وهفت .. كويلرا ! .. ومزقت
الفكرة في ذهن كيتي كالسهم ، ثم داخلها شعور بخاطر الموت ،
فتملكها ذعر ، وراحت تكافح لحظة ضد الظلام الذي خالت أنه
يزحف في عروقها بسرعة أليمة .. واشتد شعورها بالإعياء .. ثم
اكتنفها ظلام تام !

ولم تدل لأول وهلة أين كانت ، حين فتحت عينيها .. بدا لها
أنها نائمة على الأرض ، فلما حركت رأسها قليلاً أحست بوسادة تحتها ..
ولم تستطع أن تذكر شيئاً .. وكانت الأم الرئيسة تجلس إلى جوارها ،
مقربة أملاح اللشادر إلى أنفها ، بينما وقفت الأخت سان جوزيف
تأملها .. ثم عادت إليها ذاكرتها .. الكويلرا ! .. واستبانت الاهتمام
الذي كان يسيطر على وجهي الراهبتين ، فغشيتها الذعر مرة أخرى ،
وهمت باكياً : « أواه يا أماء .. يا أماء .. أو سوف أموت ؟ .. لا أريد
أن أموت ! .. فأجابتها الأم الرئيسة : « ولن نحرق بالتأكيد .. »
وكانت رابطة الجاش ، رفي عينيها شيء من الملامتان ..

وعادت كيتي تقول : « ولكنها الكويلرا .. أين وولتر ؟
هل أرسلتم تسدعونه ؟ .. أواه يا أماء .. يا أماء ! .. »
وانسابت دموعها مدراً ، فبسطت لها الأم الرئيسة يدها ، وإذا
حي تشبث بها وكأنها تلوذ بملاذ ترجو أن يقيها على قيد الحياة التي
كانت حتى أن تفقد ، وقالت الأم الرئيسة : « رضى عن نفسك
يا صغيرتي الزينة ! .. لا تكوني غيرة ، فليست هذه بالكويلرا ،
ولا بأى شيء من هذا القليل .. »

— وأين وولتر ؟

— إن زوجك أكثر انشغالا من أن نزعجه .. ولن تقضي خمس
دقائق حتى تكوني بآتم خير ..

فحفظت فيها كيتي بينين مشلوهتين ، وهي تتسائل : لم تبدوا
هادئة إلى هذا الحد ؟ .. إنها لقصة ! .. على أن الأم الرئيسة استرسلت
قائلة : « الزنى السكون التام لمدة دقيقة فليس ثمة ما يستدعي ازعاجك ،
وأحست كيتي بقلبيها ينفق في عنف .. كانت قد ألقت الضحكة
في الكويلرا ، حتى لم تعد ترى أن من المحتمل أن تصاب بها .. أواه ،
ما كان أمقتها ! .. وأهزكت أنها ستتموت فاشندجرعها .. وأحضرت
البنات مقدماً طويلاً من الخبز الزان ووضعه إلى جوار النافذة ، فقالت
الأم الرئيسة : « لنصالحك إلى المقعد الطويل فيسكون هذا أحسن لراحلك
.. هل تحمين أن يوسلك أن تنهض ؟ »

ووضعت يديها تحت ذراعي كيتي ، بينما عاوتها الأخت سان



سما حركت رأسها قليلاً أحست بوسادة تحتها ..
أن تذكر شيئاً .. وكانت الأم الرئيسة نحو إلى جوارها .

وهو يداعبهم ، كى تدركى مدى فرحه حين يرقى طفلا من صلبه .. ولاذت كيتى بالصمت برهة ، والرايهان ترمقنها فى اهتمام وحنن ، والأم الرئيسة تربت يدها .. وقالت كيتى أخيراً : « كان من النباه أن لا أحسد هذا من قبل .. إتنى ، على كل حال ، مسرورة لأنها لم تكن الكوليرا .. وإنى لأحسد بتحسن كبير .. فلأعد إلى على »

— إن تعلى اليوم يا ابنتى العزيزة — لقد تعرضت لمفاجأة أنا وثك ، ويحسن أن تعودى إلى دارك لتستربحى ..

— لا .. لا .. بل أفضل أن أمكث وأعمل ..

— إتنى أصر على ما قلت : ما الذى يقوله طبيبنا الطب إذا تركتك تقدمين على تصرف غير حكيم ؟ .. تعالى غداً ، إن شئت ، أو بعد غد .. أما اليوم ، فيجب أن تترى الهدوء .. سأستدعى لك محبة .. أو ترين أن أوفد عليك إحدى بناتنا الصغيرات ؟

لا — سأكرر خبر وأن وحيدة

— ٥٦ —

● كانت كيتى مستغيلة على فراشها وقد أغلقت المصاريع الخشبية للتوافد .. وكان الهدوء قد رفع ، واستسلم الخدم للقبولة .. إن ما علمته فى ذلك الصباح ، وما غدت على يقين من محبة ، لمسلماً جزعاً وخيالا .. ولقد ظلت ملة عادت إلى الدار تحاول أن تفكر ، ولكن ذهنها بدا خاوياً ، ولم تستطع أن تجمع شوارد أفكارها .. وفجأة ،

سمعت وقع قدمين فى هداهن ، مما تم عن أنهما لا يمكن أن يكونا لأحد الخدم .. وفى إدراك مرتاع أبقت أن القادم لا يمكن أن يكون سوى زوجها .. وكان قد دخل غرفة الجلوس .. وسمعت يناديها ، فلم تجيب .. وسادت فترة صمت ، ثم دوت طرقة على باب حجرتها ، فصاحت :

« سم ؟ »

— هل لى أن أدخل ؟

مهضت كيتى من فراشها ، والتفت فى رداء وقالت : « أجل » .. ووليع الحجره .. وصرها أن المصاريع الخشبية المغلقة كانت تحجب النور عن وجهها .. وقال لها : « أمل أن لا أكون قد أيقظتك .. لقد طرقت بمنتهى الرفق .. »

— لم أكن نائمة ..

وذهب إلى إحدى التوافد ففتح مصراعها .. وانساب إلى الحجره فيض من الضوء الدافئ .. فسألته : « ماذا جرى ؟ .. لم عدت إلى البيت سكر ؟ »

— قالت الراهبات إنك كنت متوعدة ، فأثرت أن أتى لأتبين

ما هناك ..

فبست قبس من الغضب فى أعماقها ، وتساءلت : « وماذا كنت تراك قنلا لو أنها كانت الكوليرا ؟ »

— لو كانت ، ما استظمت بالتأكيد أن تعودى إلى البيت فى هذا الصباح ..

قمت إلى مائدة الزينة ، وجماست بالمشط خلال شعرها الناعم الغزير .. كانت تحاول كسب الوقت .. ثم جلست وأشعلت سيجارة ، وقالت : « لم أكن على ما يرام في هذا الصباح » فرأت الأم الرئيسة أنه يحسن في أن أعود إلى هنا .. على أنني الآن بخير .. وسأذهب إلى الدبر كالمعتاد غداً ..

— وماذا كان بك ؟

— ألم ينشئ ؟

— لا .. قالت الأم الرئيسة إن عليك أن تحزيني بنفسك !

وفعل إداك ما لم يعد يفعله إلا نادراً .. تطلع إليها متصراً في وجهها .. وكانت نظراته — كطييب — أقوى من نظراته الشخصية .. وترددت ، ثم غصبت نفسها على أن تواجه نظراته ، وقالت :

« إنني حامل » :

وكانت قد ألقت عاتده في أن يتلقى صامتاً من الأبناء ما يرتقب عادة أن يثير الدهشة والعجب .. ولكن هذه العادة لم تبد لها مضى كما بدت إذ ذاك ، فأبست ببنت شفة ، ولا صلدت عنه إشارة ، ولا اختلج وجهه بشيء ، أو تغير التعبير الذي كانت تفيض به نظراته ، بما يتم عن أنه سمع ما قالت .. وأصت فجأة رغبة في أن ينكي .. لو أن رجلاً أحب زوجته ، وكانت زوجته تحبه ، لقرب بينهما في مثل هذه اللحظة فيض المواطن المتضلة .. أما هذا الصمت فكان أقوى مما يحتمل ، لذلك بادرت إلى خرقه قائلة : « لست أدرى كيف لم

إلى ذلك . ومن ثم فسوف يصفح عنه .. وكانت تترك مدى عمق حيله ، ومدى استعداده . ومع حجه — لأن نفس عينا من هذا الخائن . كانت تترك أنه ليس توافناً ، وأنه لم يلبث أن يعثر لها إذا هي أتاحت له تلة لذلك ، إذا هيات له عنراً يحرك تله .. ولسوف يكون صفحه شاملاً حتى لتستطيع أن تطمئن إلى أنه لن يدع أبداً كلمة واحدة عن أساسه تجاوز شفتيه .. فإنه رغم قوته ، وبروده ، وإزدرائه ، لم يكن قط وضعياً ولا دينياً .. كان مجرد قولها « تم » كقبلا بال يبدل كل شيء !

وكانت في حاجة ماسة للعطف .. كان عليها بالحمل الذي لم يكن متوقفاً ، قد جعل الآمال الغريبة والرغبات غير الملموسة تزورها .. فأصحت بضمف ، وبشيء من الخوف ، وبالحولدة والبعد عن أي صديق .. حتى لقد خامرته الشوق في ذلك الصباح إلى أن تكون مع أمها ، رغم أنها لم تكن تغفل بها كثيراً .. كانت في حاجة إلى عون وتسوية .. ولم تكن تحب وقتها ، بل كانت تترك أنها لا يمكن أن تحبه ، ولكنها في تلك اللحظة تأقت بكل عليها إلى أن يأخذها بين ذراعيه ، حتى تلتقي برأسها على صدره ، وتتعلق به ، وتني في هناه .. كانت تشبى أن يقلبها ، وتصو إلى أن تمسك فراغها حول عنقه ..

وشرعت تتحبب .. إنها كثيراً ما كذبت ، وما أيسر أن تكذب الآن .. وما قيمة أكلوبة واحدة إذا كان من ورائها خير ؟ ..

ينظر لي من قبل : لقد كان غباء مني .. ولكن : ماذا كان يرتقب مني ؟

فقاطعها : « كم مر من الزمن .. متى تتوقعين الوضع ؟ »

وخيل إليها أن الكنايات تنبعث من بين شفتيه في عناء . وأصت أن يجلقه مثل ما يجلقه من الجفاف .. وضايقها أن راحت شفتها ترنجان وهي تتكلم .. كان خليقاً بها أن تبث شفتها ، ما لم يكن قد من حفر .. وقالت : « أظن أن الأمر قد بدأ منذ شهرين أو ثلاثة » . — وهل أنا أظن ؟

وبدوت منها شبهة خافتة .. كان في صوته ظل لطيف من الارتجاف المنفص .. كانت هذه السيطرة الباردة على أعصابه فطيمة ، جعلت للرجفة العاطفية الضليلة أرقاسياً .. ولم تدو لم تذكرت فجأة آلة عرضت عليها في هونج كونج ، تجري عليها إبرة دقيقة ، وقد قبل لها أن الخط لمرتجف الذي رسمته الإبرة يشي بزلزال وقع على بعده ألف ميل ، وربما أودى بحياة ألف شخص .. وتطلعت إلى زوجها ، فإذا به شديد الشحوب ، كما لم تره من قبل — اللهم إلا مرتين — وكان يوجه نظراته إلى الأرض ، في انحراف بسيط .. وعاد يسألها : — ما قولك ؟

نصمت بقصبتها .. كانت تترك أنها لو قالت « تم » ، لأهزقت الدنيا وما فيها في وجهه .. وكانت توق من أنه سوف يصدتها ، أجل ، إنه على استعداد لأن يصدفها ، لأنه كان يشوق

أبداً واحدة . ولأن أكلوبة كان من اليسير أن تقول « نعم » . وشئت جرباً وبسر تلبس ، ودرعية تتدلى من هذا . ومع ذلك فربما لم يمر على أن سوف ، وما كانت تدرى لذلك شيئاً . وكانت أمها لم تكن تدرى ، وكان كل ما تعرضت له — من بروت الأنسجوع المزمرة — شرطي ويجوده .. الكوليبرا وجميع أولئك الذين يتنوا حتمهم .. الزاهيات .. بل — وهذا من دواعي العجب — حتى ذلك .. « ادبحن » الصليل الجسم ، الطربوب ، الكبير .. كل هؤلاء الأشخاص ، هذه المبرائل قد عبرتها . حتى لم تعد تعرف نفسها . ومع أن حساباً كان مرهاً ، إلا أن شيئاً في أعماقها بدا كاسترجح برقبها في حرج ودهشة . كانت مسوقة إلى أن تنوب الصديق ، رغم من ثمة شيء يستحق أن تكذب من أجله . وراح فكرها يرم في شرود عجب . رأيت محاة ذلك المنسوب الميب تحب سر الدبر . لمدا هكرت فيه . ولم تكن في نهاية ، وإنما راحت الدموع تسيل على وجهها من عينيها الواسعين ، في صبوة ومساء . وأجبراً ، أحابت عن السؤال . لقد استفسر عما إذا كان هو أيب فلجين .. فقالت : « لست أدرى » .

وأطلق شيء ضحكة ساحرة جعلت كيتي ترتعش .. ثم قال : إنه لموقف حرج .. أليس كذلك ؟

كان جوابه يتسق وشخصيته .. كان عين ما توقعت أن يقول .. ومع ذلك ، فإن قلبها قد غاص في أعماقها .. وعجبت مما إذا كان

بشوح بحضوره ، ويدا مبرك القوى .. كان يفرط في العمل ، ولا ينام إلا لماماً ، ولا يكاد يصب شيئاً من الأكل .. وفي غمرة أساها ومهما ، وجدت مجالا كفى ترى له .. كان من القصة أن تحس أنها لا تستطيع أن تفعل من أجله شيئاً !

ووضع يده على جبينه وكان يرأسه الماء ، ففجس يهاها أن عبارتها كانت تردد في رأسه هو الآخر في عنف : لست أدري .. لست أدري ! .. كان من المصعب أن يكون لدى هذا الشخص البارد ، المنعته ، انجول ، مثل هذا الشوق الطبيعي إلى الأطفال ، فإن معظم الرجال لا يخجلون كثيراً ، حتى بأطفالهم .. ولكن الراميات تحدث أكثر من مرة عن شفقة بالأطفال وهن متأثرات ، متعجبات .. وإذا كان هذا شعوره نحو أولئك الأطفال الصنيين لمربي الحفنة ، فإذا يكون شعوره نحو .. ابنه ؟

وعضت كتي شفتها لتتفادى البكاء من جديد .. ونظر هو إلى ساعته ثم قال : « أواني مضطراً إلى أن أعود إلى المدينة ، فإن لدى اليوم عملاً كثيراً .. هل أنت بخير ؟ »

— آه .. أجل .. لا تبتم .

— أرى أنه يحسن بك أن لا تنتظري هذا المساء ، فقد تأخر ، وسأحصل من الكولونيل « يو » على أي شيء يؤكد ..

.. ثم ينفض مستطرداً : « لو كنت في مكانك ما حاولت أن

قد تبين مدى الشوة التي عانتها كتي تقول الحق — ولو أنها قد تبيلت في اللحظة ذاتها أن ليس في الأمر قسوة ، لأنه كان أمراً محسوماً لا مناص منه — ولكن ، هلا ينصفها لذلك .. وراح ردها يتردد في رأسها كصوت المطارق : لست أدري .. لست أدري ! .. لقد غدا من المستحيل أن تسحب هذا الرد .. فأخرجت مندبلها من حقيبة يدها ، وراحت تجفف عينيها .. ولم ينمها بيث شقة .. ملا لها كوب ماء ، حملها إليها ، وظل مسكاً بها حتى شربت .. ولاحظت مدى تحول يده .. كانت في الماضي بدأ رقيقة ، بضعة ذات أصابع رشيقة .. أما الآن ، فلم تعد سوى جلد على عظام .. وكانت اليد ترتعش بمض الشيء .. كان يومه أن يسيطر على خلجات وجهه ، ولكن يده كانت تثني بانفعالها !

وقالت : « لا ماله لكافي .. إنه لا شيء في الواقع .. لا شيء سوى أنني لا أمك أن أحس الدموع عن أن تسيل من عيني » .
وإذا شربت ، رد الكوب إلى مكانها ، وجلس فأشعل سيجارة ، ثم أرسل زفرة خافتة .. ولم تلم قد سمعته يتهد كذلك سوى مرة أو اثنتين من قبل ، فوخزت زفرته قلبها إشفاقاً .. وكان يوجه بصره نحو النافذة في نظرة جوفاء ، فأخذت تتأمل .. وأدخلها أنها لم تلاحظ من قبل مدى الحول القظيح الذي أصابه في الأسابيع الأخيرة : فلقد غار صدغاه ، وبرزت عظام وجهه من خلف جلده ، وتهدلت ثيابه عليه ، وكانت أعدت لشخص أضخم منه ، وأصلح وجهه الأمر

أحس اليوم شيئاً .. تخليق بك أن تهرفي من الأمر على نفسك .. هل تبين شيئاً قبل أن أنصرف ؟ »
— لا .. شكرًا .. سوف أعود بخير ..
وتوقفت برهة وكأنه غير مستقر على أمر .. ثم ، فجأة ، ودون أن ينظر إليها ، تناول قيثته وغادر الحجرة .. وسمعه يبتاز ساحة الدار ، فأحست بوحدة موحشة .. ولم تعد بها حاجة إلى أن تتجلد ، فأسلمت نفسها للدموعها ..

٥٦

— وإلى أين ترائي أذهب ؟

— إلى جوار أمك ..

— أنظبا تمبر مان ترائ

رأسك برهة في تردد ، وكأنما كان يفكر ، ثم قال : « إذن ،

مديني إلى هونج كونج ؟ »

— وماذا أفعل هناك ؟

— ستكونين بحاجة إلى كثير من العناية والرعاية ، وما أرى من الإنصاف أن أسألك البقاء هنا

ولم تقو على مغاية الانسجام ، لا عن مراوة ، وإنما عن دهشة حقيقية .. وورقته بنظرة وهي توشك أن تفصحك ، ثم قالت : « لست أدري ما الذي يبعاك قلقاً بشأن صحتي ؟ »

فسار إلى النافذة ، ووقف يطل على الليل .. كانت السماء خالية من السحب ، ومع ذلك فلم تكن ترصعها نجوم كثيرة .. وقال : « ليس هذا بالمكان الملائم لامرأة في مثل ظرفك .. »

فتطلعت إلى شكله الأبيض بالقياس إلى الظلام الذي ساد في (١٥ — الخاتمة — تحب)

أحس اليوم شيئاً .. تخليق بك أن تهرفي من الأمر على نفسك .. هل تبين شيئاً قبل أن أنصرف ؟ »

— لا .. شكرًا .. سوف أعود بخير ..

وتوقفت برهة وكأنه غير مستقر على أمر .. ثم ، فجأة ، ودون أن ينظر إليها ، تناول قيثته وغادر الحجرة .. وسمعه يبتاز ساحة الدار ، فأحست بوحدة موحشة .. ولم تعد بها حاجة إلى أن تتجلد ، فأسلمت نفسها للدموعها ..

● كان هواء الليل واكداً ، مشحناً بالرطوبة .. وكانت كيتي تجلس إلى جوار النافذة تتأمل أسقف المبد الصيني المحتمة على أضواء النجوم الواضحة ، حين جاء ولتر أخيراً .. وكانت عيناه متورمتين لفرط البكاء ، ولكنها كانت رابطة الحاشئ .. وعلى الرغم من كئي ما كان يقضي فكرها ، إلا أنها بدت في طمانينة غريبة ، لهما كانت وليدة الإعياء والإرهاق ..

وقال ولتر وهو يدخل : « ظننتك أويت إلى فراشك » :

— لم أحس بحاجة إلى النوم ، فقبل إلى أنني سأجد نسمة عليله في جلستي هذا .. هل وجدت عشاء ؟

— كل ما كنت أبني .

وراح ينزع الحجرة الطويلة .. وأدركت أن لديه ما يريد أن يقوله .. وكانت تعلم أنه غير « مرتبك » .. وظلت تنتظر في غير

إليه قدر تشارلى لديها - حتى غدت تجد عنه في أن تمثل قسيات وجهه في خيالها ١ - وأن تبين له كيف انجاب حبه تماماً عن قلبها ١ . ولقد كان من جراء تلاشي شعورها بحسرة تاونسند ، أن فقدت الزلات العديدة التي ارتكبتها معه كل معناها ومزاجها ، فاستردت قلبها ، ولم يعد لها بذلته من جسدها أثناء الأثر في كيانها .. ولكم هفت إلى أن تقول لولتر : « اسمع .. ألا ترى أننا استمرنا الحفاقة زمناً طويلاً ؟ » لقد تخاصمنا كطفلين ، فلم لا يقبل كن منا الآخر ونعدو صديقين ؟ .. ليس ثمة ما يبرر أن لا تكون على صداقة مجرد أننا لنا متحابين .. » .

وكان نصف حامداً وقد ضاعف ضوء المصباح من شعوب وجهه الذي بدا كما لو كان من مخفر .. ولم تكن لتطمئن إليه ، بل كانت تخشى إذا هي أحضرت احببها كيانها ، أن يقبض عليها بصرامته تلك الجليدية .. كانت قد أصبحت على دراية تامة بحساسيته المرحقة ، التي كانت تخف بخبرته اللاذعة لوقايتها ، وكانت تعرف مدى إصراره إلى إغلاق فؤاده إذا ما جرح شعوره .. وأحت بالفظ لخطئة ، لهذا البقاء منه - فكد ثمة شك في أن أقصى ما كان بضيره هو أن يجرح كرامته - وتبينت في إلهام أن ذلك هو أصعب الجراح برأ .. ومن المسلم به أن الرجال يعلقون أهمية كبرى على إخلاص زوجاتهم ، ولقد توقعت حين دلت لأول مرة مع تشارلى أن تشعر باختلاف .. أن تشعر بأنها تغيرت وغدت امرأة أخرى .. ولكنها

الخارج .. فبدا منظره رهيباً ، ومع ذلك فن العجيب أنه لم يثر في نفسها - في تلك اللحظة - أى خوف ١ .. وسألته فجأة : « ألم تكن راغباً في قتل حين أصدرت على مجيئى إلى هنا ؟ » واندفع وقت طويل . حتى خيل إليها أنه أعرض عن سماعها . ثم أجاب قائلاً : « في بداية الأمر » وسرت في جسدها رعشة ، إذ كانت هذه أول مرة يعترف فيها بفينه .. ولكنها لم تعقد عليه لذلك ، بل إن شعورها أذهلها : كان فيه نصيب من الإعجاب ، وقسط ضئيل من العجب .. ولم تدبر لم فكوت فجأة في تشارلى تاونسند ، فلما لم تأتوياً ، وضيقاً .. ثم قالت : « كنت تعرض نفسك للغامرة رهبة .. فأني لأشك - لما أعرفه عن ضميرك المرهف - في أنك كنت تصفع عن نفسك لو أتيت مت ١ » .

- ولكنك لم تخوف ، بل عشت ..

- وما شعرت في حياتي قط بأنى أفرحة مما أنا اليوم ١ وهفت بها رغبة إلى أن تسبب بما لديه من شفقة ورحمة .. لقد عانيا ، وهما يعيشان وسط مناظر النزع والملاذ ، أنسى التجارب ، ورأيا ما تنضال إلى جانبه زلة النفس الحقة .. عندما يقف الموت مترصاً ، يحصد الأرواح كما يحصد البستان ثمار البطاطس ، يبدو من التته أن يحفل المرء بالنصرافات القادرة التي يعرض لها جسده هذا الشخص أو ذاك .. ليتنا نستطيع أن نطلع على مدى ما تنضال

- اعتقد أن من راحى أن أخبرك أنك في ظرفك الراهن أكثر تعريضاً لأر تنفضى عبوى أى مرض يكون حوكم .. فقبست في بحيرة وقالت : « أحب هذا للتجارب الذي تخفى وراءه السب الأصل الذى تريده مبرراً للرحيل ١ » .

لعلك لا تتبين من أجلى ؟

فردت : لم يكن ليحدث قط أن الانفعال العاطفى الذى أناره في نفسها . كان آخر ما يمكن أن يتوقع .. كان إشفاقاً ورفاه .. وأحاطت أخيراً

- لا . فلست تخفى ، بل ليخيل إلى في كثير من الأحيان أى نفس عاكس ١

- ما كنت لأتصور أنك من ذلك النوع من الناس الذى يعود نفسه من أجل بضع راهبات محلات ، وحفنة من الأطفال الصينيين ! فافترجت شفتها عن إبسامة وقالت : « هل ترى من الإنصاف أن تزدربني إلى هذا الحد لأنك أحطأت في تقديرك يوم اختوتنى زوجة .. ولم يكن ذنبى أنك كنت كالبطل غباء ١ » .

- إذا كنت مصرة على البقاء ، فأنت حرة بالطبع ..

ووجدت أن اصطاع الجد معه أمر غير .. ومع ذلك فقد قالت : « يؤمضى أنى لا أستطيع أن أتيج لك فرصة تبدي فيها شهامة . الواقع أنك مصيب ، فلست أمكث من أجل الأيام فحسب .. وإعما . أنت تعلم أنى وضماً عجباً ، إذ ليس لى في الدنيا من ألوذ

أحببها كعندها سبب ماماً .. لم تزد سوى هذا وحوية . ونمت لو أمكنها أن تفور لولتر .. إن الحين له إن الأكفونة لم تكن شئى الذى يذكر دالة لها . ولكنها تكون ولا ريب معك ارتياح عظيم له . ثم ، بما قد لا تكون في حقيقة الأمر - أكسره ١ . كان عجباً ذلك الشعور الذى مدى ثرى في قلبها فتمها من أن تسع لشك بصلاتها . ما أصعب الرجال ١ .. إن دورهم في الإعجاب غير دى أهمية ، فامرأة هي اننى تعمل الطفل شهوراً طوية مينة بابل والألم . ومع ذلك فإن الرجل ، لعلافه العائرة - التي لا تستغرق سوى لحظة - هذه العملية ، يزعم لنفسه حقوقاً تتجاوز الميعول . فهذا يعبر هذا من شعوره نحو الطفل ؟

وانتقلت بفكرها إلى الطفل الذى كان لها أمها شيا أن تحمله .. وأحدثت تفكر فيه يمدية الأمومة ، لا بشعب الأمومة المشتبه ، وفي فضول متكامل مثلكه .. ربناً خرق ولوتر الصمت الطويل قائلاً : « أرى أنك قد توحدت أن تفكرى في الأمر قليلاً ١ » .

- أفكر في أى أمر ؟

- في اختيار الموعد الذى تحبين الرحيل فيه .

- ولكنى لا أبغى الرحيل .

- ولم لا ؟

- لئنى أحب على في الدير ، إذ اعتقد أننى بذلك أجعل لوجودى نفعاً .. وإنى لأؤمر أن أتى إلى أطول أمد أستطيعه .

العبي .. وكانت قاعة المائدة ، حيث تناولوا الطعام ، وقاعة الاستقبال التي حسوا فيها مؤلفين يربش أنيقه - متينة - نظي عليها مصهراً يجمع بين روح المكان وجو اعداد ، هـ كان فيها ما ينم عن الطابع المرلي ، حتى ليخيل لمن يدخل ذك انزل وأشياه أبا لم تكن سوى مجرد أمانك لإقامه حرة لموطنين متعاقبين . فلا يحظر هذا ما دل أن في دنائ حوى مبه عموماً منشجاً على علاة من الحب واحيال !

وصعدا سلماً إلى طابق دن ، ففتح وادبحت بأنا شدد منه كيتي إلى حجرة واسمه ، سارية من «لأث» ذات حدران بيضاء علفت عليها حسانت نشتت بمخفاف عتوم انصبيه .. وفي مقعد تقبل دى مسدين ، من الحب الأسود انفرش ، وإلى مائدة مربعة من نفس النوع ، جلست سليله «مانشو» .. حتى إذا دحت كيتي ووادبجت ، نهضت .. ولكنها لم تسع حصوة نحوها .. وقد وادبجت بالإنجليزية : «هذه هي» ثم أردف باضاً بضع كلمات بلسنة انصبيه . فصاحت كيتي : «هيا»

وبدت هذه في علاقه الزركشة بسبعه ، نيلة ، أطول قليلاً مما توقعت كيتي على هذه ما أنفت عليه بات الخوب . وكثرت تزدت فوق الغلالة مطرة من الحرير الأخضر الناهت ، ذات كبن باعاب وسجها ويحيط بالساحدين في حكام . وقد علا شعرها المسقى إلى أمة ، عشاء رأسها لوى لى ساء «مانشو» ..

هـ .. لست أعرف شخصاً لا أشل عليه إلا فب عنه .. لست أعرف من يخلد إلى نيام أو موت !

وقطع حبيه . ولكن في عبر عصب ، وقد : «لقد أوسادنا كل شيء» . أسبا لك !

— أما لست أعرف أنى تخلصي ؟ .. أصبى عدت أكثر من ذلك .

— لم أشعر فيه .. لاند فنى باصطحت إلى هنا قد أبعت لحبة . — لم أكن أعرف لى قد نرى لم أقم .. راسة الحبية . — هيا تراء فاعين إذن عندما يدور هذا المكان . هل تستطع بعيش سوياً ؟

— أوه .. ألا تريد أن من الخير أن يدع للمستقبل أمر تدير نفسه ؟

وكان صوته مثقلاً بالصبر إلى أقصى درجة :

— ٥٨ —

● قصد «وادبجت» بعد .. بين أو ثلاثة إلى الدبر حيث انى بكيتي . إذ كان اصطربها قد حبها عن أن تسأف عنها فوراً . فصحبها لتناول كروب الشاي التي وعد بها مع حبيبته ..

وكانت كيتي قد تناولت المشه .. في أكثر من مساة — في دار وادبجت .. كانت داراً مربعة ، بيضاء ، ذات طابع يميزها عن سواها ، كثافة الدور التي تشيد بوضوح الممارك في جميع أرجاءها

نظم معمار من ماركة والقلاع الثلاث .. ولم يكن في الحجرة — عدا المائدة والمقاعد — سوى القليل من الأثاث : سرير ذو حشيرة من انفس عليه وسادة مطرزة ، وبجانبه صندوقان من خشب الصندل . وسأله كيتي : «ماذا تراء تفعل بنفسها طيلة يومها ؟»

— إنها ترسم أحياناً بالألوان ، وتقرض الشعر أحياناً أخرى .. ولكنها تقضى الشطر الأعظم من وقتها جالسة .. وهى تدخن ، ولكن باعتبار ، وهذا من حسن الحظ لأن من واجبات أن أمتع تداول الأفيون :

فأله كيتي : «وهل أنت تدخن ؟» — نادراً .. أقول لك الحق إننى أومر الويسكى على كل ما عداه . وكانت تسيع في الغرفة رائحة نقاعة مثيرة ، ليست بالكريمة ، ولكنها غريبة ، قوية .. وعادت كيتي تقول : «إنها بأنى أسفة لعدم استطاعتي التحدث إليها ، فأنى واقفة من أن لدى كل هذا الكثير مما يجب أن تقضى به للأخرى ..»

وإذا ترجم الرجل هذا لاية «مانشو» ، ومقت كيتي بنظرة سرية أومضت بلمعة من ابتسام .. وكان شكلها مبهياً وقد جلست في ثيابها الجميلة في غير ما حرح أو ارتباك ، بينما أخذت عيناها مدلان — خلال الوجه المنضب — بنظرات حريصة ، متزنة ، غير معقدة .. وكانت تبدو «غير حقيقية» ، كأنها صورة .. ومع ذلك فقد كان لها لطف حير كيتي ، فما كانت من قبل قد أولت نك

أما وجهها ، فكان مكسوراً بالمساحيق ، كما غطيت وجنتها — من العينين إلى الفم — بطبقة كثيفة من الطلاء الأحمر .. وكان حاجبها متدوفين بحيث امتحالا إلى خط أسود رفيع ، في حين كان فيها قرمز اللون .. وأومضت عيناها السودوان الواسعتان ، المنحرفتان قليلاً ، خلال هذا القناع ، كما لو كانتا بحيرتين من القار المذاب .. كانت تبدو كشمال أو صم أكثر منها امرأة ، وكانت حركاتها بطيئة ، متعده .. ودخل كيتي شعور بأنها على شيء من الخجل وكثير من الفضول .. وهزت رأسها مرتين أو ثلاثاً وهى تنظر إلى كيتي بينما كان وادبجت يتحدث إليها .. ولاحظت كيتي أن يديها كانتا أطول من المعتاد ، ولطعت ملفوفتين ، في لون العاص ، قد طليت أظفارها النطوية .. وعجل لكيتي أنها لم ترقط أجل من هاتين اليد .. الرشيقتين ، السحليتين ، اللتين أوحتا إليها بأنهما نطاح عناية امتدت قروناً لا عداها ..

وكانت مقلة في كلامها ، ولكن صوتها كان عاليًا ، كمفريد الطيور في البستان .. وراح وادبجت يترجم عباراتها قائلًا لكيتي : إنها قد سرحت لرفوتها ، وإنها تسأله عن منها وعن عدد ما أوتيت من أبناء .. وكانوا يجلسون في ثلاثة مقاعد مستوية الطهور حول المائدة المربعة ، وما لبث أن حمل خادم أواني الشاي الأخضر المطر بالياسمين .. وقلمت ابنة «مانشو» إلى كيتي علبة صنيحية خضراء

(الصبي) أتى أخت بها المتأديرا بها .. سوى اهتمام مطعنى عابر ..
أما الآن ، فقد فسدت فجأة إلى شعور جعها تحس بنيء من افئدم
والغشوش في الجو المغطى بها .. هناك شرقى .. بخوده ، ونحوه ،
وطائفة .. أتى كسب مفعلات الحرب .. ومثله ومداغيه يتدو فجوة
بجوارها .. وتوخل لكيكى أنها تلوح ومضة من معتقدات الشرق ومثله
في أعماق المترجة التي كانت تجلس أمامها .. هنا كانت حياة غير
التي أفتتها في كوكب غير الذي عاشت عليه .. وأصحت كيتي بأن
مرأى هذا النسم بوجهه المخضب ، وعيئه المنحرفين اليقظتين ،
يحمل مناق العالم الذي عهدته وآلامه التي شيرتها ، مجرد منافس
نافه .. ولأح كائما كان ذلك القناع الملون يفتى وراه سر خيرة
واقرة ، عيقة وأخوة بالمعاني .. وكائما كانت البلدان البضتان
بأصابعهما المنقوفة الطويلة المتناسقة ، تمسكان بمفتاح أحاج وألقاض
لا سبيل إلى التكهن بكنها ..

وتساءلت كيتي : « ما الذي تفكر فيه هذه المرأة طيلة التهاو ؟ »
فأجاب وادبيجت منسما : « لا شيء » .

— إنها رائحة .. قل لها .. حتى لم أر مثل سبها الخمليين أبدا ..
تري ما الذي يعجبها فيك ؟

وترجم وادبيجت السؤال ميسما ، ثم ترجم الجواب قائلا
« نقول : لئني طيب .. فقلقت كيتي ساحرة : « كأعما من النساء
من تحب رجلا لغضبه واستقامته ! » .

لم تضحك « المانشوية » سوى مرة واحدة ، وذلك حين أعربت
كيتي — مبعأ منها إلى وصل حبل الحديث — عن إعجابها بسوار من
حجر اليشم كانت المرأة تلبسه ، فبادرت إلى خلعه ، وحاولت كيتي
أن تلبسه ولكنها تبينت أنه لا يتجاوز وسفها ورغم صغر يديها ..
في ذلك صفت صاحبه تضحك كالطفل وقالت لوادبيجت شيئا ،
ثم نادى : صبيغة وأصبرت إليها أمرا ، وبذا بالوصيفة تعود بعد
لحظة حاملة روحا من لأحدة ريع الحس .. وقال وادبيجت :
« يا رب ناد أن تهابك الذين إذا استطلعت لسمها ، ولسوف تخالين
لها سماعا كتحين لعرفة اسم .. »

فقلت كيتي في رضى : « لئني بلائى كيتي كل بلائمة » .
« ما بها لأحسب سمة وقحة تطوف بوجه وادبيجت . فسأله :
هل هي كثيران بالنسبة لها ؟ »

« بها أكثر من صديها من أجل

وصحة كيتي .. ولما ترجم وادبيجت ما دأ ، ضحكت
صاحبه بالوصيفة بدورهم .. وعندما سارت كيتي وو ديبجت
بعد ذلك نسل سعدان من أخت إليه « بئمة وسامة »
« لئني لم يتبني بأنك تكفى حب حبا عصبيا ! » .

— « ما الذي يمحلك على أن تحبى نبي أكس لها ذلك الحب ؟
— قرأته في عيناك .. وله لعريب .. كئما هو حب موجه
إلى طيف .. أو إلى حلم .. حقاً لأن من العبر الحكم على الرجال .

فقد ظلمت في البداية كمبرك ، ولكنني أشعر الآن بأنني لا أدري
أبسط الأمور عليك ! » .

وسألها وديجت في مصمت صامت إذ لمع دأرها : « لماذا
دعت في أن ربه » .

وتزهدت كيتي لحضة نفس أن تحب قائلة : « لئني أبحث عن
شيء لا أكاد أدري كبه .. بيد أنني أحس بأن من الملم في أن
أعرفه .. فهذا ما عرفته ، فسيغير ذلك كل شيء .. ربما كانت
الراهبات مرفه ، يدني أشعر حين أكون معهن بأنهن يكنمن مرآ
لا يرد أن بشركي فيه .. ولست أدري لم خطر ببال أني لو رأيت
أبنة مانشو فقد ألح قسما أبحث عنه .. أو لعلي تخبرني عن السر
لو كان ذلك بوسعها !

وما الذي حدث على أن تعلى أنها تعرفه ؟

ورمعت كيتي ببقرة من ركن عيها ، لكنها لم يجب . بل سأله
بدورها : « هل تعرفه أنت ؟ »

فابتسم وهز كتفيه دلا . « به عمادة الطبيعة ! .. يعضا
يبحث عن الطريق إليها في الآفون ، ويعصنا يفتش عنها في الله .
ويعصا في الربى .. ويعضا في الحب .. لكن سلقيق إليها في أى
الحالات . لا تعود إلى شيء ! »

— ٥٩ —

« اندبجت كيتي مرة أخرى في عملها مرآحة إلى نواته الرتيب ،

ومع أنها كانت تشعر في ما كودرة كن صباغ شيء من الشوك ، ولا
بأنه كان في نفس من الانتعش ، يمكنها من أن تحول دون تسلط هذا
سوء عيها .. وأدهشها ما كانت الراهبات يديهن من اهتمام بها ..
ما لب من أخوت كن في لاصي — .. رأتين في لردمة — لا يرد
على ليجها ، فأصعق الآن ينحس لأعداد ليفد بين الحجرة لتي
سبب سعد فيها ، ويثرثر معها في فعل مستعذب كما لو كن
حاصلات . وكانت الأخت سان جوزيف لا تتأخرها في تكر ركاد
يصبح مثلا ، كيف لها حلت أيما نقول لنفسها « ترى هل هي
خجل ؟ » .. أو « لأحجب يدسات ككك » .. حتى إذا أغنى على
كيتي هفت « ولا يحال الآن للثك ، ولأمر وضح لكن دى
عيين » .. وأحسد تروى لها انمصص الحوائ عن المرات التي أبحث
فيها رجة ليجها أطفالا ، وكنت قصصا كقبلة ما تبعت شيئا من
أدعري نفس كيتي لولا ما أوتيت من روح مرحة . وكنت لأخت
سيد حريف تجمع بأسلوب عنده بين وقائع نشأتها .. حيث كده
ثم سبر بتخلل مروح مرزعة أليها ، وعن صيته أشعر الجور ترخم
تحت شرق النساء . وبين لفته حسة بأمر الدين . ولقد أبحث به ما
لخصت كيتي سن « اشترى » — بتولد المسيح — وهي مؤمنة بأن
« تارة » مشها « دبروتشت مارقوت في نظر كاثوليك »

لا يمكن أن يكون على دراية مثل هذه شئون .. ففتت تقول
بني لا أستطيع أن أقرأ هذه أسسور في الكذب للقدس دون

أن أبكى .. ولست أدري لذلك سبباً ، لكنه يبعث في نفسي شعوراً غريباً ..

ثم انطلقت تردد بالفرنسية ، وبلهجة بدت ليكنى عبر مألوفة ، وفي دفتها شيء من التوتر والجمود ، هذه الآية من الإرجل ، وحاءها الملاك وقال : أشقى أيتها الحيدة ، فانه معث .. مباركة أنت بين النساء ..

أجل ، كانت معجزة الميلاد تب في الدبر كريح قوية تعبت بالبرام البيضاء في سنان .. ولقد ألتق أولئك العقيقات وأثارهن التفكير في أن كيتي تحمل في أحشائها طفلاً ، فأصبحت تزعجهن قليلاً ، وتفتنن .. وأخذن ينظرن إلى الناحية البديئة من حالتها بإدراك حشن ، غير مهف ، إذ كن ينحدرن من أصلاب فلاحين وصيادي سمك .. ولكن قلوبهن الساحجة كانت تنطوي على تيب .. كان يفتقن التفكير في حلها .. ومع ذلك فقد كان يبعث فيهن احساساً سعيدياً وغريباً .. وأبناها الأخت سان حوزيف بأسكن حيناً يصلين من أهلها .. ولقد رثت الأخت سان مارتان لها لأباً غير كنونيكية ، ولكن الأم الرئيسة أبنتها لهذا .. وقالت إن من الممكن للمرأة أن تكون طيبة ولو كانت بروتستانتية ، وإن الله الرحيم كفيل بأن يدبر ذلك وفق ما يرى ..

وكانت كيتي تشعر بتأثر وسولي لما أثارته من اهتمام ، ولكنها دهشت إلى أبعد حدود الدهشة حين تبينت أن الأم الرئيسة كانت

سروغ الجمود الذي نطبعها بمسكناتها الدينية .. تعاملها ببساطة جليدة عليها .. فلقد كانت في الماضي لطيفة لراه كيتي ، ولكن لطفتها كان يصير في أسلوب جامد ، أما الآن فقد أخذت تعمرها بحسان فيه شيء من الأمومة .. واكتسب صونها نبرة جديدة ، رفيقة .. ورفعت عينها مدابة طارئة ، كما لو كانت كيتي طفلة أنت عملاً يتم عن مهارة ويعت على السرو .. وكان هذا يؤثر في نفسها بشكل غريب ، فإذا نفسها تغدو كبحر هادئ ينساب في جلاله ، وفي انشاعه اليهم رهبة ومهابة ، ثم إذا بشعاع من الشمس يسقط عليه فيثير فيه بقطة ويحمله ودوداً مرحاً .. وكثيراً ما أصبحت توافي كيتي حوالى الغروب فتجلس إليها ، وهي تحاول أن تتحلل لنفسها علواً واضحاً .. وقد قالت لها مرة : « يجب أن أحرس على أن لا تعني نفسك يا صغيرتي ، وإلا فلن يعترف لك الدكتور فين .. آه من أولئك البريطانيين الذين يجيدون السيطرة على أنفسهم ! .. قها هو ذا متهيج بدرجة تفوق كل حد ، ومع ذلك فإنك إذا كلمته عن هذا الأمر انقلب شاحباً .. »

وتأملت يد كيتي تربتها في عطف وهي توصل الحديث قائلة : « لقد أخبرني الدكتور فين بأنه رغب في أن ترحل عن هنا ، ولكنك أبيت لألك لا تطيقين أن تغادري .. » ولقد كان هذا كرمأ منك يا ابنتي ، وأحب أن تعرفي أننا نقدر اللون الذي تبدلين لنا .. بيد أنني أظنك لم تكوني راعية في أن تغارقه هو الآخر ، وهذا أفضل ، لأن مكانك

أنا إلى جواره .. وهو في حاجة إليك .. آه ، لست أدري ما الذي كما تفعله بون هذا الرجل الرابع ..

فقال كيتي : « لاني أغضب إذ أرى أنه كان قادراً عل أن يؤدي لكن حكمة .. »

— يجب أن تحبه بكل قلبك يا عزيزي .. فهو قديس ..

وايتمت كيتي ، وإن تهبت في أعماقها ! .. لم يمد في وسعها أن تفعل من أجل وولتر سوى أمر واحد ، ولم تكن تدري كيف تفعله كانت تهي أن يصنع عنها ، لا من أجلها ، وإنما من أجل نفسه ، إذ أحست أن هذا وحده كفيل بأن يريح ياله ويبعث في نفسه السكينة .. وكان من العيب أن تسأله المصفع ، وحتى إذا أحس بأنها تشبه هذا المصفع لغير .. أكثر منه لغيرها ، فإن كرامته المتبلدة منجملة على الرقص ، مهما كبدته ذلك .. ومن العجيب أن كبريائه لم تعد تثير أعصابها ، بل إنها بدت طبيعية فلم تزدها إلا أسفاً من أجله .. وكانت الفرصة الوحيدة تلوح في أن يقع حادث غير مرتقب يضطره إلى أن ينحلي عن حشره .. وكان يجوز أن يخطر لها أنه قد يرحب بفورة عاطفية جيشة غروره .. من كابوس القنيط والامتياء الجائم عليه ، ولكنه في جهالته العاطفية ما كان ليتووع عن مقاومة هذه القوة — إذا واته — بكل قواه !

أفلم يكن مما يدعو إلى الرثاء ، أن يعذب بنو الإنسان أنفسهم على هذه الصورة ، خلال العمر القصير الذي يقضونه في دنيا مليئة بالألم ؟

● على الرغم من أن الأم الرئيسة لم تتحدث إلى كيتي أكثر من ثلاث مرات أو أربع ، وأن الحديث لم يطل مرة أو اثنتين منها ، لأكثر من عشر دقائق ، إلا أنها استطاعت أن تحدث أهمي الأثر في نفس كيتي .. كانت شخصية الأم الرئيسة كذلك يبدو لأول وهلة متراعى الأطراف ، ضئيلاً بالخفاوة ، ولكنك لا تهت أن تكتشف فيه قرى يامحة بين أشجار التفاكهة في ثنايا الجبال الشاهقة ، وأنهاراً تنساب في تفرق فيبيع خلال المروح البانعة .. غير أن هذه المناظر وإن رأت لك وأثارت إعجابك ، بل وإن بعث في نفسك السكينة ، لا تحملك تشعر بألم في وطبك ، في تلك البلاد ذات المرتفعات الشاهقة والغشاء الشاسع ..

كذلك كان من المستحيل على كيتي أن تشعر بألمة سلبية نحو الأم الرئيسة ، إذ كان يحيط بها ذلك الشيء البهيم الذي كانت تحس به عبقراً بالرهبات الأخريات — حتى الأخت سان جوزيف الطروب الثائرة — ولكنه في حالة الأم الرئيسة كان يقوم كحاجز لأسبيل إلى احترام دهر بيا .. كان يبعث في نفسك شعوراً غريباً ، يثير في الأعماق مشريرة ، ويوحى بالرهبة والمهابة ، وبصور لك أنها وإن كانت تسير على الأرض التي تسير أنت عليها ، وتعني بالشئون الدنيوية ، إلا أنها تعيش في الواقع في كوكب ليس لك من سبيل الوصول إليه ! ولقد قالت لكيتي مرة : « ليس بكاف من هبت نفسها للدين

ولاح أن الأم الرئيسة قد تاهت في ذكريات الماضي ، وهي تستطر : « في ذلك اليوم ، كانت إحدى صديقاتنا - مدام دوفرنو - قد رحلت إلى دير الكرم ، دون أن تخطر أحداً من أفارها ، إذ كانت تعرف أنهم يعارضون إقدامها على هذه الخطوة .. غير أنها كانت أرملة . فكانت لذلك تمكك الحق في أن تفعل ما يحلو لها . وكانت إحدى بنات عمي قد ذهبت تدعو الحاربة العزيزة ، فلما عادت في المساء كانت شديدة التأثر .. ولم أكن قد فاحت أى قيا شغل حاطرى ، بل كنت أرتجف لجرد التفكير في إخبارها ، ومع ذلك فقد كنت راغبة في أن أقي بما عاهدت الله عليه أثناء القداس ، فرحت أوجه لابنة عمي كل نوع من الأسئلة .. ولم تقف أى - التى كانت تبدو متشغلة في نسخ مجادة كانت عاكسة عليها - كلمة مما تبادلنا .. وكنت لا أفقا أقول للنفسى أثناء الكلام : ليست أمى دقيقة أضيعها إذا شئت أن أفاتها اليوم ..

لشدا ما أعجب إذ أذكر المنظر الآن ببلاده .. كنا نجلس حول المائدة .. مائدة مستديرة ، مكسوة بقماش أحر ، وكنا نشغل على ضوء مصباح ذى مظلة خضراء .. وكانت ابنتا عمي تقيان معنا ، وقد انهكما جميعاً في نسج قماش كالسجاد كى نعيد كساء مقاعد قاعة الجلوس .. تصورى أن كساءها لم يكن قد جدده منذ أيام لويس الرابع عشر ، حين اشترى لأول مرة .. ومن ثم غدا ياهت اللون كالحلأ ، فكانت أى تقول إنه مبعث للجلل ..

أن تؤدى الصلوات في مواعيدها ، بل أن تكون حياتها صلاة دائماً بلا انقطاع .. ومع أن حديث الرئيسة كان يدور دائماً حول الدين ، إلا أن كينى أحست بأن هذا الانجلاء يأتى بالسليقة ، دون ما جهد من جانبها للتأثير عليها .. حتى لقد بدا لها من الغريب أن تقع الأم الرئيسة - وهى التى طبعت على الخبير - بأن تترك كينى سادرة فما كانت هى ولا بد تعبره جهلاً خاطئاً ، أو ضلالاً .. !

وجلسنا معاً ذات مساء .. وكان النهار قد بدأ يمتنع إلى القصر ، وقصوه الغروب انخافت يبعث في النفس راحة وسجي .. وبدت الأم الرئيسة جد متعبة ، وقد ابيض وجهها الآسى وتراحت عضلاته ، وفقدت عيناها الدائمتان اليبديتان بريقهما النارى .. ولعل التعب ماله بها إلى أن تقلد قدرأ من التثمة نادوا بالنسبة إليها ، فإذا بها تقول بعد طول تأمل وتذكر :

— هذا يوم من أيام التاريخ يا ابنتى ، لأنه التذكى السنوية لليوم الذى عقدت فيه العزم تنهاياً على أن أهب نفسي للدين .. كنت قد قضيت عامين أفكر في الأمر ، بيد أننى كنت أعانى نوعاً من الخوف ، إذ كنت أوهب أن يعادنى الميل إلى الدنيا .. على أننى حين حضرت القداس في ذلك الصباح ، أقسمت أن لا يحل المساء حتى أكون قد صارت أى العزيزة يرغبنى .. وبعد أن تناولت ، الخبير المقدس ، سألت الله أن يتزل السكينة على نفسي .. وخيل لى أنه أجباني قائلاً : « لن تنال السكينة إلا إذا كفتت عن الرغبة فيها .. » !

أى المسيح يهوى من يديها ، وتطلعت إلى في اهتمام وهى تقول : « آه يا طفلى الحبيبة .. إننى لوائمة من أنك ستلتين إلى الرهبة .. » . فأجبت : « أحادة أنت بما يقولين يا بنى الصدا .. ريت تكلمت تكلمين عن أسمى فكره ورعته في هذانى .. وصاحت سنا عمى دون أن تدعأ لى مجالاً لإتمام حديثى : « أجل .. لقد انقضى على أوديت عامان لم تفكر خلاصاً في شىء آخر ، ولكلك لن تسمعى لها يا امرأة الم .. يجب أن لا تسمعى لها .. فقالت أى : « ولماذا ترفض باطفلى العزيزين إذا كانت هذه إرادة الله ؟ » .

« وكانما أرادت ابنتا عمى أن تحولا بجرى الحديث ، فراحنا تسالينى عما اعتزمت أن أفعل بالنوافه التى كنت أملاكها ، وأخذنا نقشاشان - في مرج - على من منهما تستولى على هذا ، ومن منهما تستولى على ذاك .. بيد أن هذا المرح لم يدم سوى فترة قصيرة جداً ، ثم اغرطنا في البكاء .. وما لبثنا أن سمعنا وقع قدس أبى وهو يصعد السلم .. وأسكت الأم الرئيسة لحظة عن الكلام ، لترسل زفرة من صدرها ، ثم استمرت : « وكان البناء شديد الوقع على أبى ، فقد كنت ابنته الوحيدة ، والرجال عادة يكونون لبناتهم شعوراً أعنى مما يكونون لأبنائهم .. » .

فقال كينى مبسمة : « من نكد الحظ أن يكون للمرء قلب .. ومن حسن الحظ أن يكرس المرء هذا القلب لحب المسيح .. وفى تلك اللحظة أقبلت صبية على الأم الرئيسة ، وأرتها لعبة

« وحاولت أن أنطق بالكلمات ، ولكن شفىقاً أبنا أن تحركها .. ثم ، وفجأة ، قالت لى أى بعد بضع دقائق من الصمت : « إننى في الواقع لا أستطيع أن أفهم سر تصرف صديقك .. فليست أحب هذا الرجل دون ما كلمة لكل هؤلاء الذين يتولونها أعز مترلة في قلوبهم .. إنه تصرف مسرعى يبدو للوق ناياً ، فإن المرأة الطيبة المسنة والتربة لا تقدم على شىء يثير كلام الناس .. وإنى لأمل إذا ما خطر لك يوماً أن تسبى لنا أعظم الأسمى برحيلك ، أن لا تعمدى إلى القرار كما لو كنت تأتين جرماً .. » .

« وكانت تلك خير لحظة ملائمة لى كى أتكم ، لكنى كنت من الضعف بحيث لم أستطع سوى أن أقول : « آه .. طيبى بلا يا أمه ، فأأظنى أقوى على ذلك القرار .. » . ولم يجب أى ، بيداً تولانى للندم لأننى لم أجزل على أن أجهر بما في نفسي .. وخيل لى أننى اسمع كلمات الرب إلى القديس بطرس : « يا بطرس ، أليست تخشى ؟ .. آواه ! .. لشدا ما كان ضيق وجعوى ! .. كنت أحب الراحة التى كنت أتمتع بها .. » . وهى كت أحباء .. وأسين .. وأسباب فوى ومسرعى .. وفيما كنت غارقة في مثل هذا التفكير المرير ، قالت أى - بعد متعبة - سخائماً لم يكن حل الكلام قد انقطع : « ومع ذلك يا أوديت فما أظنك ستمتوتين دون أن تقضى على عمل تركه أترأياً ؟ .. » . « وكنت أنحيط بين طفتى وأفكارى ، بيداً مضت ابنتا عمى في عملهما في سكوت ، لا تتريا ما كان يحش به قلبى .. وفجأة تركت

طريفة وقعت في يدها ، وهي مطبوعة إلى انعامها .

لرئيسة يدها الرخصة الجميلة على كتف الصدة ،

ها .. وخفقت مشاعر كثير وهي تلمح الانتماء الخلة التي ارتمت على وحه الام

الديوى بالذات

تبعه انعامها الجميلة بالديوية مرة أخرى ،

ن واحد لكك الدلوب ، وذلك

ش الذين يحونه ..

٦٦ -

ذلك المساء في

على أن يرسل إلى

يحظرها إذا اصغر إلى الناحر في المديته - لكنها جلست آنحراً إلى امشدة ، فلم تصب سوى ندر يسير جداً مما حوته الأطباق العديدة التي قدمها لها اطهى الصينى في مساء ، غير مراعاة انتشار الوباء وصعوبة الحصول على الخن .. ثم استنقت في مقعدها الحرواني بجانب النافذة المفتوحة ، وأسلمت نفسها لجمال الل الذي رصمت المحرم سماه ، وفداحت لقصمت طمأن

ره على سطح دهبها

كفى لا يبدو نكرش بطله .. وكان طبعه الدعوى يتم عن نفسه بذلك العروق الحمراء الرقيقة التي سرعان ما تتبدى على خديبه المتوردين كأنها الشبيكة : ولقد كانت تحب حبيبها الكثيفين .. كان يترامى لها فيهما طابع حيواني مثير

والمستقبل ؟ .. كان من الغريب أن التفكير في هذا المستقبل - يكن يثير فيها أى اففعال أو فصول ، فلم تستطع أن تفكر إلى أعماقه .. من يدري ، ربما ماتت وهي تضع الطفل - فلقد كانت شقيقها دوريس أقرى منها بكثير ، ومع ذلك فإنها كادت تقتضى أثناء الوضع - وابتمت كيتي وهي تفكر في راياع أمها إذ قامت دوريس بواجبها فأنجبت وريثاً للذي فاته زوجها حديثاً .. وخطر لها : لأن كان المستقبل ميمها بهذا الشكل ، فليس لهذا سوى معنى واحد : لعله من غير المتطرد أن ترى هذا المستقبل ! ومن المحتمل إذ ذاك أن يسأل وولتر أمها أن ترعى الطفل ، إذا عاش .. وكانت كيتي تسرك إدراكاً يصل بها إلى حد التأكد ، أن وولتر برسم عدم اطمئنانه إلى أبوة الطفل ، لن يحجم عن معاملته في كرم - فقد كان من الممكن دائماً الاطمئنان إلى حسن مسلك وولتر وتصرفه مهما كانت الظروف - ١ - حقاً إنه لما يرى له أنها لا تستطيع أن تحبه ، رغم صفاته الملهبة ، وبعده عن الأنانية ، وشرفه ، وذكائه ، وإحساسه - ١ - أنها لم تعد تتعمر بأقل عرف منه ، وإنما كانت تحس بالأسف من أوجه ، وإن كانت لا تملك - في الوقت نفسه - إلا أن

كمحادثات بيضاء صعبة انعكست على مطبخ خيرة مائة .. وكنت من الحب بحيث لم تحاول أن تثبت بإحدى هذه الأفكار وتتمشي ع بها .. وإنما راحت تجوس على غير هدى حادبت الرهات .. كان من الغريب لم يحرك فيها أى شعور ، وإن كانت الحياة التي يجيئها لسطر ساما أى احتمال أن أن يأمرها تحس بأن هذا الضوء الأبيض

من ادم ! كن منه كمثل ارتكاب

من ثمة ما يفعل إراء الخلق .. قد يكون قديماً ، وقد يكون مكرراً ، ولكن من قلة الإدراك وتقصر العقل أن يوليه المراه أهمية

تعمت إذ فكرت في تشارلي بحسبه الملى المتقى بملسه ، وشكل فكه غير الواضح . وطريفته في الوقوف وقد أرق صدوه

تري أنه خفيف بعض الشيء .. كان عمق انفعالاته العاطفية يوهن من صلابته ، حتى لقد داخلها شعور بأنها تستطيع يوماً ما ، وبطريقة ما ، أن تتجامل عليه حتى تجعله على الصفع عنها .. ولقد راحت هذه الفكرة تلج عليها ، موجبة إليها بأنها بذلك إنما تنبيه التعويض الممكن الوحيد عما سببه له من أمي ، فإن زوال دواعي الشجون كفيل بأن يريح باله .. ومع أنه كان من دواعي الرثاء أن يكون تلوقه للفاكاهة ضئيلاً ، فقد خيل إليها أن سيأتي يوم يضمحكان فيه معاً من تلك الطريقة التي عذبا بها نفسيهما ..

وبرح بها التعب ، فحطفت المصباح إلى غرقها ، وضت عنها ثيابها ، ثم اندست في الفراش .. وسرعان ما استغرقت في الناموس

• بيد أنها أوقظت على دوى طرقات عالية ، لم تستوثق من أنها طرقات حقيقية ، إذ كانت مندبة في الحلم الذي انتزعت منه : غير أن الطرقات استمرت ، وفتحت إلى أنها ولابد تنهك على باب لسياج الخارجى .. وكان الظلام داساً ، لكن عفرى ساعتها كانا مطليين بالفسفور ، فاستطاعت أن ترى أنهما يشيران إلى الثانية والصف صباحاً .. وتوقفت أن يكون وولتر هو القادم ، وأنه عجز عن إيقاف الخادم ، فهمست لنفسها : لشد ما تأخر في الخارج !

وتوالت الطرقات ، مغردة في ارتفاعها ، وقد بدت في سكون الليل مفزعة رهبة .. ثم توقفت الطرقات ، وجمعت صوت الزلاخ

النفيل يزاح عن مكانه .. إن وولتر لم يعد أن يتأخر في العودة إلى هذا الوقت .. يا له من مسكين ! لا بد أنه مرهق ؟ .. وتمت لو أن عقله ألهمه أن يأوى مباشرة إلى سريره بدلاً من أن يعمل كعادته في محله الخاص بالبيت !

وسمعت أصواتاً ، وأناساً يلجئون ساحة اندار .. وكان هذا غريباً ، فإن وولتر ألف - إذا عاد إلى البيت متأخراً - أن يتجشم العناء ليتسأل في هدوء كي لا يزعجها .. ومرح شخصان أو ثلاثة يصعدون السلم الخشبي في حركة خفيفة صريفة .. حتى وصلوا إلى الغرفة المجاورة : وأحست كيتي بشيء من الخوف ، فلقد كان يكن في ذهنها دائماً الخوف من حدوث ثوبه ضد الأجانب .. ترى هل حدث شيء من هذا ؟ وراح قلبها يخفق في مرعة ، وقبل أن تجسد وقتاً لتحدد معالم أفكارها المبهمة ، اجتاز شخص ما الغرفة المجاورة ، وطرق بابها هتافاً : « مسز فين »

وعرفت في الصوت صوت وادينجتن ، فتساءلت : « نعم .. ماذا هناك ؟ »

— أرجو أن تبقى فوراً ، فإني أحمل إليك ثياباً ..

ونفضت فارتدت ثوباً ، وفتحت الباب .. فوقع بصرها على « وادينجتن » في سروال صيفي وسترة ، وكان خادم الدار يحمل مصباحاً متوهجاً من مصابيح الزيت « كلوب » .. وعلى معلقة ، وقفت ثلاثة من الجنود الصليبيين في زيج العسكرية ! . وذعرت

كيتي إذ رأت التجمع يعلو وجه وادينجتن ، وكان شعره مشعثاً كأنه فزع من سريره لقوره ..

وشبقت متسائلة : « ماذا جرى ؟ »

— يجب أن تحفظي يهدولك ، إذ ينبغي ألا تضيع لحظة واحدة .. ارتدى ثيابك سريعاً وتعالى معي ..

— ولكن ، ماذا هناك ؟ هل حدث شيء في المدينة ؟

كان مرأى الجنود قد أوحى إليها لأول وهلة بأن ثمة ثورة ، وأنهم جاءوا لحمايتها .. ولكن وادينجتن قال : « لقد سقط زوجك مريضاً ، وتريدك أن تأتي في الحال » .

فصرخت : « وولتر ؟ »

— لا تزعجي : لست أدري حقيقة الأمر تماماً ، فقد أوفد « الكولونيل يو » هذا الضابط إلى يسألني أن أرافقك فوراً إلى الثكنات ..

وحملت كيتي لحظة وقد سرى في قلبها يرود مفاجئ ، ثم تحولت وقالت : « سأكون متأخرة بعد دقيقتين » .. فأردف : « لقد حثت كما كنت . كنت ناعماً ولم أحدوفاً لأكثر من ارتداء السترة والحذاءين .. » . ولم تسمع ما قال .. وارتدت أول ثياب وقعت في يدها على ضوء النجوم .. وودت أصابعها فجأة ثقيلة الحركة ، حتى لقد خيل إليها أن هراً قد انقضى قبل أن تعثر على الكيسولين ؛ الصغيرتين اللتين نضمان فتحة ثوبها حول قفاها .. ثم طرحت على

كندبا الشال العجيب الذي كانت ترتديه في المساء ، وقالت إذ فرغت : « لم أزد قبعة ، قد أضل في حاجة إليها .. أليس كذلك ؟ »

فأجاب « ادسجن » : « لي .. » . وتسلم الحارم رافعاً لمصباح ، فأصرعاً في أثره « ادسجن » ، قد وادينجتن « حذار من أن تنفطلي .. خذ ثيابك .. »

وسار الجنود جميعهم هدوءاً ، وأردف وادينجتن : « لقد أرسل لكولو » (« ») خمس في تصديق عن الصفة الأخرى سهر » . ثم أخذ ومن دبل خطي معجبة ، وكيتي لا تقوى على استئصال سؤال كان يرتفع من شفوي في توحش وجرع .. ففقدت كانت في خوف من خوف ! ! وسعوا الصفة ، ثم تزورق ينظروهم ، وفي مقدمه خط من ضوء يوم غد .. وردد ذلك وأبته القوة كي تشال « هني الكولير » :

وأجاب وادينجتن : « أليس ذلك »

فتوقفت ، وابتسمت لها برغبة راضية .. وكين وادينجتن مده يدها عليها على اسوط إلى الزورق ، وهو يقول : « اعتقد أن عليك أن تسرعني ، استطعت »

وكانت المساحة قصيرة ، ووسط « نهر هادي » إلى درجة ليركود .. ووقوا أجيرة في مقدمة القارب .. بينما راحت امرأة تسير بمخادف واحد ، وفي حجرها طفل صغير .. وقال وادينجتن : « لك ، فاحاه »

أعرض بعد ظهر ليوم .. أقصد بعد ظهر الأيسر ، من الآن في اليوم الحادي ..

ولماذا لم استمع في الحال ؟

وكان يتكلم هماً رغم أنه لم يك ثمة مبرر لذلك .. ولم تكن كيتي تدين وجه صاحبها في الظلام ، ولكنها كانت تحس بصدقه .. وأجاب : « لقد أراد الكولونيل (يو) أن يدعوك ، ولكن وولتر أبي عيه دث .. الكولونيل (يو) يلازمه طيلة الوقت .. »

كان ينبغي أن يرس في طلي ولو لم يشأ « وولتر » .. إنها قسوة !

كان زوجها يعرف أنه لم يزل قد مصاباً بالكوليرا .. إنه مصير رهيب ، سمر له انفس .. لذلك لم يشأ أن تراه !

فكانت بصوت يحنن : « ولكنه روجي ، قل أي اعتبار .. » ولم يك وادينجتن ، فعدت فتساءل : « ولماذا يتأخر لي الآن أن أذهب إلى ؟ » فوصعه وادينجتن راحته على ذراعيها وقال : « بع يا عزيزي أن تتحدثي .. يجب أن تعدي نفسك لأمور الصروف ! »

فأرست أنه معولة محزونة ، وأشاحت بوجهها قليلاً ، إذ لمحت الجنود الصليبيين الثلاثة يصرون إليها .. وأوحى إليها بأص أصعهم بصكرة مائة ، فتساءلت : « أمر يتعسر ؟ »

— لست أدري سوى ما ذكره الكولويل • بو • للضابط الذى أوفده إلى وعلى هدى هذه الرسالة أعقد أن زوجك قد انهار تماماً .
— أو لا مجال للأمل على الإطلاق ؟
— يؤسفنى أشد الأسف أن أعرب عن خشيتى — إذا لم نصل إلى هناك سريعاً — أن لا نجد على قيد الحياة !
وراحت ترتبش ، وانحدرت الدموع على وجنتيها : • بينا استطرده وادينجت : • لقد كان يهلك نفسه بالعمل كما تعرفين ، فلم تنق لديه قوة للمقاومة • • • وإذا ذلك تخلصت من قبضته فى انفعال ، وقد أعاجبها أن يتكلم بذلك الصوت الخافت ، المحزون !
وبلغوا الجانب الآخر للهر ، فقدم خادمان صبيان كانوا على الضفة وأماناً كئيباً على الموط : وكانت الحفنة فى الانتظار ، فلما استوت فى عفتها ، قال وادينجت لها : • اجتهدى فى أن تسبرى على أعصابك ، فسوف تحتاجين إلى كل جلدك : •
— هل الخالين أن يسرعوا • •

— إن لديهم أوامر بأن يتعجلوا بقدر الإمكان • •
ومر الضابط فى عفته ، فقدم الجمع ، وهو يسيب بحال عفة كئيب . وسرعان ما رفع الخالان الحقة برشاقة فأسندوا أعمدتها إلى كتفيها ، وانطلقا فى خطى سريعة • • وعفة وادينجت فى إثرها مباشرة : واحتاز للجمع اللئى مسرعين ، وقد تقدم كل عفة رجل يحمل مصباحاً : وإذا بلغوا بوابة الماء وجدوا حارس البوابة يقف

كانوا ذاهبين ، وبدا لها أن لا نهاية للطريق • • وكانت لا تفتأ تالئ نفسها : • ألا يستطيعون أن يتظنوا بأسرع من ذلك ؟ • أسرع • • فقد كان الوقت يمحى ، ومن المحتمل أن يؤدى التوائى فى أية لحظة إلى وصولهم بعد صوات الأوان •

٦٣

• وفيما كانوا يسرون إلى جوار جدار أبيض طويل ، أقبلوا فجأة على بوابة حفر بها مركزان للخراسة ، فأنزل الخالون الحفنة إلى الأرض • • وأسرع وادينجت إلى كئيبى فإذا بها قد قفزت للهور من مقعدهما . وطرق الضابط الباب بهنق وهو يصيح : فإذا باب حائى صغير يفتح ، فاجتازوه إلى ساحة واسعة مربعة • • وكان الجنود مستلقين فى جماعات متناثرة إلى جوار الجدران ، تحت مظلات من الخشب ، متكئين فى أغليتهم وقد استغرقوا فى النوم .

وظلوا لحظة وقروفاً ريثما تحدث الضابط إلى رجل ، لعله كان جاكواً لتوبة الخراسة ، ثم التفت إلى وادينجت وحده يضع كلمات ترجمها هذا بصوت خفيض قائلا : • إنه لا يزال حياً • • انتبى أثناء سيرك إلى مراطى قديمك • • • واجتازوا الساحة ، وحمة المصاييح لا يزالون يقدمونهم • • ثم صعدوا درجات أقضت بهم إلى باب أدى إلى ساحة أخرى واسعة • • وفى أحد جوانب الساحة ، كانت ثمة عرفة طويلة نبتت منها أشواك كانت تشع خلال ورقى الأرض الذى كان يحف بالنسواف • • وقادهم حلة المصاييح إلى تلك الثرة ، فلما

حاملات مشعلا ، فصرخ فيه الضابط وهم يفترون ، فبادر يفتح جانباً من البوابة كئيبى يهروا ، ولفظ بدهاء أثناء مرورهم ، فتناقل الخالون النداء كل منهم يبلغه لمن خلفه • • وبدت هذه الأصوات الأجلة وهى تنطق بلفظ غريبة فى الليل البهيم ، خفيفة عوطة بالغموض • • • وانسابوا على الطريق المبتلة الرثة ، فإذا بأحد حامل حفنة الضابط تزل قدمه ، وصمت كئيبى صرخة الحلال ، يعقبا صوت الضابط يرتفع غاضباً ، ثم عادت الحفة التى تتقدمها إلى إسرعها • •

وكانت الطرق ضيقة ملتوية ، والليل البهيم يسيطر على المدينة ، فبدت أشبه بمدينة للموتى • • وأسرعوا يجتازون حارة ضيقة ، ثم عرجوا إلى حجر أففى بهم إلى درجات : وكانت أنفاس الخالين قد بدأت تلهث فى عناء ، لكنهم مع ذلك وأصلوا السير فى خطى سريعة ، وفى صمت • • وأخرج أحدهم منديلاً مهلهلاً راح يشفف به • • وهو منطلق — العرق الذى كان يقصد من جبينه وينحدر إلى عينيه • • وراحوا يتحرقون فى هذا الانجاء ، ويعرجون إلى ذلك • • عما غم عن أنهم كانوا منطلقين فى شبكة من الطرق الملتوية • • وكانت تلوح فى بعض الأحيان أشياخ ترقد إلى حوار أبواب الحرايت المغلقة ، بيد أنه لم يكن بوسعهم أن تجزم بما إذا كانت أشياخ أناس ناموا ليستيقظوا عند القجر ، أم هى لأناس ناموا فلا يظهرون أبداً • • • وبدت الطرقات الضيقة رهبة فى وحشتها وصمتها ، فإذا حوى كلب فجأة بصوت عال ، أرسل هزة دعر تحترم أعصاب كئيبى : لم تكن تدرى إلى أين

بلغوا باباً طرقة الضابط ، وإذا به يفتح فى الحال • • وتراجع الضابط خطوة إلى الوراء وهو ينظر إلى كئيبى ، فقال وادينجت : • تفصل بالحقول • • •

كانت الثرة مستطيلة ، منخفضة السقف ، وقد أضفت عليها المصابيح المنخنة — التى كانت تضئها — جواً كئيباً قبيحاً • • وكان هناك ثلاثة أو أربعة من الخدم السكربين واقفين • • وعلى حشية من القش لصق الجدار المقابل للباب ، كان رجل مسجى تحت ملاءة بيضاء • • وقد وقف أمامه عند طرف الترائى ضابط لا يرمى حراكاً • • وأمرعت كئيبى فالتت على الحشية • • كان وولتر يرقد مغفص العينين وله بدا وجهه — تحت الضوء المغم — مرعباً كوجوه الموتى ، وكان سكوتهم يبعث الدعر فى النفس ، فهضت كئيبى فى صوت منخفض ، مفزوع : • • • وولتر • • • وولتر • • • وإذا ذاك مرت فى الحمد حركة خفيفة ، أو لعلها طيف حركة ، إذ بلغ من خفتها أنها بدت شبيهة بنسمة من الهواء لا تكاد تحسها ولكنها تداعب سطح الماء الراكد فتحركه • • وعادت كئيبى تهف : • • • وولتر • • • وولتر • • • كلمتى • • • فانفجرت الجنون فى بطنه وكأنما كانت ثقيلة تتطلب جهداً مضنياً • • • لكن الحدائق لم تتحولا نحوها ، بل حلقنا فى الجدار الذى لم يكن على بعد أكثر من بوصات قلائل من الوجه • • وتكلم وولتر ، وفى صوته الخافت ، الواهن ، طيف ابتسامة !

— هذا مازق لا مهرب منه !

أنها لو ساعدته في لحظة الأخيرة تلك على التخلص من وطأة المראה التي أرققت نفسه ، لكان في ذلك بعض انقوض عما سببته له من عذاب . وتحركت شفتاه ، وهو لا ينظر نحوها ، إذ كانت حينها تحملان في الحائط الأبيض

[illegible][illegible]

لا يَحْتَمِلُ ، وَهَفَّتْ : : وولتر ، أأشذك أن تصفح عني . إني في أشد درجات الألمي لكوني أذنبت في حقك .. إني في أنصي حالات اندم على ما ارتكبت ! .

ولم يقل شيئاً ، بل لم يبد عليه أنه سمع .. فاضطربت إلى أن
تختلف .. وداخلها فكرة غريبة صورت لها نفسه كمرآة محققة ،
هاتمة .. وقد أثقلت البضاء جناحها . فعاتبت تهيف : يا حيبي .. !
واختلط وجهه الذابل الضامر ، اختلاجة تافهة لم تكذ تظهر ،
لكنها كانت كافية لأن تتم عن الحيز أنز قطع .. ! فهي لم تناد بهذا
تسنداه من قبل أبداً ، وربما خطر بذهنه اغتصر خاطر مضطرب
غير واضح ، بأنه لم يسمعها تستعمل هذه الكلمة في كلامها العادي
لا للكلاب والأطفال والسيارات .. ! وفجأة رأت حدثاً وهياً
معلها تعصر يديها وهي تحاول أن تتجلد بكل ما أوتيت من قوة ..
فقد رأت دمعين تتحلران ويبدأ على خديه اللذين خبا لونهما ،
احت تهيف في قنوط :

.. أوام يا حبيبي الغالي .. لو أنك أحببتني أ بل لاني لأعرف
ف أحببتني ، لكني كنت زاهدة كارهة .. فأقول إليك أن تغفر
.. إن الفرصة لاتتضح الآن أمامي كي أظهر لك توبتي ، فأرجو ..
مستحلفك أن تصفح عني أ
وأمسكت وهي تنظر إليه ، حامية أنفاسها ، لتتطرق لحمة
.. ورائته يحاول الكلام ، فخلق قلبها في حنف .. وهي مقفلة

١٦٥
سنة مولدنا يوم
ركب البحر بارداً . فاحسنت كبري حولنا أطراف شالها دى الألوان
البهجة ، وهى تبتاز التبر . ثم سارت مع وادى حتى بصعد إلى
حتى تأورا بسفحة الصبا ، وهذا الشمس ترح من بناء صباية ،
فتشع وكان اليوم كد كبيره من الأيام . وكأنما لم يبع فيه ما عبره
عن سواه !

وقال لها وادبحتي وهما يدخلان الدار .. هلا كنت فيلا ؟ .
 - لا . بل سأجلس إلى حوار ثقافية .
 لطالما حدث لي حوار هذه الأفاذة كثيراً ، ولتبرات طوية ،
 خلال الأسابيع التي اغضت .. فألفت عدداً منظر العبد المذبح في
 زحارقه ، المتلف في إظواء الصبوض والأضرار ، وراء السباح الكبر
 دى الأبراج :: بل إن المطر أصبح يدخل على روحها ملوى وعراء .
 كان يدبر بعيداً عني أن يكون حقيقة مادية ، حتى تحت أصواء
 الظهيرة القوية . ومن ثم كان يترعها من حقيقة الحياة وواقعيتها ..
 وقال وادبحتي . « ستمر الخادم أن يعد لك بعض الشاى .
 يؤسفني أن يكون من الضروري أن نذهب هذا الصباح ، وسأترك
 اتحاد الإحاراة . » .

فَقَالَ فِي انْتِظَابٍ : اُنْكِرْهُ .

● ودفوه بعد ساعات ثلاث .. وهال كيتي أن بصطروا إلى
إبداعه تاونو صينياً ، وكأنما خيل إليها أنه لن يرناع في مراد عرب

وقد أحسّت بنوار طمى على كل ما جشّت له مشاعرهم . فيها خاط
الصينيين بالفرش في رأس وجبره وأنهم لا يذروهم ما ينبغي عليهم
بعد ذلك أن يفعلوا . وأجله وادبحت إلى الصبح .. وبعد دقيقة
بدأ الصينيون يتداولون الحديث بصوت منخفض . فقال « ادبحت
خمسة أسدقعي أعوذ بك إلى النار » ولسوف يتحول إلى هناك .
ومرت بعدها عن حبيبا في إعاءة حجرة . ثم سارت إلى الخشبة
التي كان مغطى عليها . واكتفت شئت وتوترت (رفق) ، وقد
كفّت عن البكاء . ثم قلبت لها حجابها . « يؤمن أن كمدكم هذا
هناه .. فحاضها بضربان خبث عسكري . قائما بحماة مهدة وهي
ضئى مع وادبحت إلى لسانه . وهالك استملا محببهما ، فاشعل
ادبحت سياره . ونفث دحائها في الجو .
هكذا حيه الإسماء قلما من لدن في ليله ١

- ٦٤ -

● كان المحرق قد بدأ يتطلع على الحكون .. وهما وهناك ، كان
 يد العسيري يباح فتح باب حانوته ، وقد بدأ في أكتاف اعطالهم
 راك في المؤخرة ، وعلى ضوء سمانة المحصورة ، امرأة تعمل يدها
 جهها .. وفي مشرب عند معر في العفرق ، جلس جماعة
 ولون إقظارهم مكرين ، وأخذ ضوء النهار لوليه ، يتسلم ضاحكاً
 السرقات الضيقة كاللص ، وراى على البحر صاب شاحسه بدت
 فله صاريات المراكب الوسوفة كأنها حجاب حيث من الأشباح !

فلم يلبثوا أن انصرفوا يخطي متسككة : وبقيت كيتي ووادينجتون حتى ملأ القبر بالتراب ، فوضعا عليه للصليب الذي صنعه الرهبان من زهور الداليا ..

ولم تلبث كيتي ، لكنها شمرت حين أقيمت أول كومة من التراب بقلبها ينفق صلتاً : « وقالت لوادينجتون في النهاية : « أوتعجل أنت؟ لست أبغي العودة إلى الدار بهذه السرعة » :
« ليس أمأى ما أفعله ، فأنا رهن إشارتك » :

— ٦٦ —

• وراحا يسيران على مهل حتى بلغا قاعة النل ، حيث قام الصب الذي على شكل القوس ، والذي أقيم لتخليد ذكرى أرملة فاضلة ، فكان له نصيب كبير من الأثر الذي تركته تلك المظنة في نفس كيتي : كان رمزاً ، ولكنها لم تكدرى لأى شيء كان يرمز لديها : ولا كانت تكدرى لمساذاً كان يبدو لها غامضاً بالسخرية اللاذعة !

وقالت : « هل يجلس هنا فترة ؟ » : « إننا لم نجلس هنا منذ عهد طويل » :

وبدا السهل مترامياً أمامها ، هادئاً ، واجماً ، تحت ضوء النهار : واستطردت تقول : « لم ينقض على وجودى هنا سوى أسابيع قليلة ، ومع ذلك لأنها تبدو حمرّاً طويلاً » :

بكل شيء : بدورهن ، وبلادهن ، وحبهن ، وأطفالهن ، وحبوبهن ، وكل تلك التوافيق التي لا أزال أرى أحياناً أن من العسير التخلي عنها — كالزهور ، والمحتول البائعة ، والزهرة في أحد أيام الخريف ، والكتب ، والموسيقى ، والراحة ! — كل شيء يضحى به ، كل شيء ، ويفعل ذلك كى يكرس أنفسهم لحياة كلها تضحية ، وفقر وطاعة ، وعمل مرهق قاتل ، وصلاة .. إن هذه الدنيا — بالنسبة لمن جيماً — مجرد « مهجر » ، والحياة صليب يحملته طواعية وعن طيب خاطر ، وفي قلوبهن طيلة الوقت رغبة .. أواه ، بل هي أقوى من الرغبة بكثير .. إنها حينئذ ، شوق ، هفوة مشوبة إلى الموت الذي يقودهن إلى حياة دائمة أبداً ..

واغتصرت راحتها وهي تتطلع إليه في حزن قياض : فقال : « وبعد ؟ » :

« هب أن ليست ثمّة حياة باقية ؟ تصور ما يكون لو أن الموت هو النهاية الحقيقية لكل الأشياء .. لإنهن إذ ذاك يكن قد جدن بكل شيء من أجل .. لا شيء ! .. يكن مخلوقات ..

وفكر وادينجتون لحظة ، ثم قال : « لست أدري ، ترى هل يهمنى في شيء أن يكون ما هدفتن إليه مجرد وهم ؟ .. إن حياتن في ذاتها بجملة ، وأنا أرى أن الشيء الوحيد الذي يهمل من المحتمل أن ترقب هذه الحياة التي نعيشها في غير اشتراز ، هو ذاك الجبال الذي ينسجه البشر من آن لآخر من الأوهام المشوشة : من الصصور التي

كهذا ، ولكن لم تكن ثمّة حيلة في ذلك .. وإذا علمت الرهبان بموت وولتر — كما كن يعلمن بكل ما يجرى في المدينة — أوفدن رسولا يحمل صليباً من زهور « الداليا » بدنا جامداً كرمز رسمي متكلف ، وإن نسق يد ماهرة كأنها يد خبير في تنسيق الزهر : ربح ربح وحده على الثابوت الصنفي ، بدأ شكله قبيحاً غير متسجم .

وعندما تم إعداد كل شيء ، اضطروا إلى انتظار الكولونيل « يو » الذي أرسل إلى وادينجتون مهرباً عن رغبته في أن يشيع الجنائزة وما لبث أن أقبل يصحبه ياور .. أركان حربة . وحل ستة من الخدم الصنفيين الثابوت ، ثم سار الجميع مرتفعين النل إلى بقعة من الأرض كان طبيب الإوساية — الذي خلفه وولتر — قد دفن فيها .. وكان وادينجتون قد عثر بين مخلفات الطبيب المبشر على كتاب للصلوات بالإنجليزية ، فأخذ يقرأ نداس الدفن بصوت خفيض وأبى لم يهد فيه من قبل .. ولعله تمثل في خاطره وهو يقرأ الكلمات الجلية المهيبة ، أنه إذا وقع بدوره فريسة للوباء ، فلن يجد من يردد هذه الكلمات على جسده :

وأُزيل الثابوت إلى النبر ، وبدأ الحفرون يبلون عليه التراب . وكان الكولونيل « يو » يقف إلى جوار القبر حاسر الرأس ، فلبس قبعة وأدى التحية لكيتي في احترام وحزن ، وأزجى لوادينجتون كلمة أو اثنتين ، ثم انصرف بقية ياوره .. وكان الخدم الصنفيون قد نكأوا يديهم المفضول إلى مشاهدة الطقوس المسيحية للدفن ،

وظل يرهة لا يجيب ، فاطلقت لأفكارها العنان .. وتهدت ثم سأله : « أتعلم أن الروح خالدة ؟ » :

ولم تبد عليه أية دهشة لسؤالها ، بل قال : « ومن أدراك ؟ » . — لقد نظرت إليه ، وولتر ، منذ يرهة وهم ينسلون قبل أن يقصوه في الثابوت ، قلدا في شرح الشباب .. بدأ أصغر من أن يستحق أن يبدو عليه الموت .. أتذكر ذلك المتبول الذي أربناه في أول مرة حبسني فيها لنتمشي ؟ إن ذعري لم يه لي يكن لأنه ميت ، وإنما لأنه لآح وكأنه لم يكن إنساناً قط .. كان مجرد حيوان ميت ! أما وولتر ، فقد بدأ كآلة توقفت عن الدوران ، وهذا ماثر الخزع : فإذا كان الإنسان مجرد آلة ، فما جلوى كل هذا العذاب والضنى والتعاسة ؟

ولم يجب ، لكن عينيه راحتا تجوسان خلال المنظر الذي كان يخطي تحت أقدامهما .. كان الفضاء الفسيح في ذلك النهار المشرق البهيج يملأ القلب نشوة .. وكانت حقول الأرز المتماصة تمتد إلى أقصى مدى البصر ، وقد اتملك الفلاحون ذوو الشباب الزرقاء ، ومعهم حاموسهم . في العمل في كثير منها .. كان منظراً وادعاً حينئذ ..

وقطعت كيتي حبل اصمت قائلة : « إنني لأعجز عن أن أصف لك مدى تأثري بكل ما رأيت في الدبر .. إن أولئك الرهبان لراعات .. لأنني يجعلني أرى نفسي عديمة القيمة ، فهن يضحجن

الماسات . لكنني ظننت أنه قد يعنيك أن تعزى أن ولدت مات
شبيد العلم وشبيد واجبه ..
مزت كيتي كتبني في شك ورم وقالت : « بل إنه مات كسير
القلب ! » :

ولم يمر واديتجن جواباً .. فالتفت إلي ، متطلعة في تودة ،
وقد شحبت وجهها وجدت ملامحه .. وقالت : « ما الذي كان يعنيه
بقوله : « إنه الكلب .. الذي مات ؟ » .. ما هذه العبارة ؟ »
— إنها العطر الأخير من مرتبة « جولد سميت » .

— ٦٧ —

● ذهبت كيتي في الصباح التالي إلى الدبر .. وبدا الدهول على
الفتاة التي فتحت لها الباب إذ أتتها . ولم تنفض دقاتك على كيتي
في عملها ، حتى أقبلت الأم الرئيسة ، فقصت من كيتي وتنازلت
بدها قائلة : « لاني مسرورة لرؤيتك يا ابنتي العزيزة .. إنك بمقدمك
إلى هنا عقب مصابك الفادح تكشفين عن شجاعة رائعة ، وحكمة ..
لأنتي واقفة من أن العمل سيشتغلك عن التفكير .. »
وغضت كيتي بصرها وقد تضرع وجهها ، وحرصت على أن
لا تستشف الأم الرئيسة ما في أعماق قلبها .. بينما عادت هذه تقول :
« ما أراي بحاجة لأن أبن لك مدى عطفك الصادق جميعاً عليك ! »

فهمست كيتي : « إنكن جدرحيات » .

(١٨ — الخنطنة — كتابي)

تنظر إليه ، ولكنه رأى في التعبير الذي صاغت به سؤالها ما جعله
يعبر وأبه ، فبسل عن احوال ، ويقول في حذر : « إذا كانت
قد وردت فإن عيني لم تقع عليها .. لماذا ؟ »

— لا شيء . — وإنما خطرت ببالي ، ف شعرت أن لها وقعاً
مألوماً .

وتعلمها الصمت مرة أخرى .. وما ليث وديجن أن قال :
« عندما تركاك وحدك مع روجك ، عدلت إلى حرج الشرفة ،
إذ رأيت أن من حقاً أن لم ينشئ من الصناعات »
— حمداً

— كان الرجل في حالة انفعال هسيبي . حتى لقد عزى على أن
أفهم في الواقع ما كان يعني عندما « عسر ما وسعى » . تركت
أن زوجك أصيب بالعدوى أثناء قيده بعض الحبارب
لقد كان عري الحبارب رائياً ، فهو لم يكن صلاً في الواقع ،
وإنما كان من الكزيولم حين . وهذا سر طمعه على النفي إلى هنا .
— لكنني لم أفهم من تصريحات الجراح ما إذا كانت العدوى
قد أصابت زوجك عفواً أو أنه كان جرحاً سحرة على عه فعلاً !
فاشتد بكيتي الشحوب ، واضعرت نفسها لمكره . فسأول
واديتجن راجحاً ، وقد في لطف . « أغفري أن أني حدثت في هذا
مره أخرى ، لكني خلت أنك قد تجلن فيه عزاء .. لأنني أدرك مدى
ما هناك من قوة وعناء بتأنيب عن أي قول ليست له جدوى في هذه

يرسموها ، والأخذ في بصوغها .. كتبت التي يؤلفها ، وأول
الحياة التي يمارسها ، وأمر هذه كلها ، ثم الحياة الخاصة ..
فهي أكلت نصف حي .

وسببت كيتي ، قد لا ح هذا قوله صعب الحق . ورعت في
المريد . وسأول فتلا . « حصر يوماً حياة من حصالات
الموسيقى أو ترويه ، « حسب محه » « حل » « نبي لأفهم شيئاً
في الموسيقى .. مع ذلك فما شعرة ساء »

— إن أكر عدو في المرفة يعرف عن آله الحصة الصغيرة ،
لقد تظلمه عرف عن لأهم مساحة التي سألح في الحو ؟ إلى
لا يفسد من حصة الصغير ، وإلا عرف أن من في مجموعته يدبح .
« مع أنه قد لا يركب قمره يسمى ربه إلا أنه يصن بيا ، ويطن
حارب بمعداً عرف د . د . د »

قلت كيتي عدداً ما الصمت ربه . « شد عدلت مذ أيام
عن (عده الصفة) « فملاحدني بمرية غبا ؟ »

فومعها ، ابشحت بظرة وجرة ، وتردد حقة . ثم شاعت
في وجهها انصحت شامة واقعة وأحد . « يب اعزق ، وسألت
اعزق . « إلى اسبل حلافة التي تسبب هي كل الكائنات . وليس
مهم من صمهم . لأني كائن في حد ذاتي . لأني كل شيء ،
ولا شيء . « من سمعت نيل الأشياء . وكل الأشياء تطفئها وتمثل
بها ، « إلى نود كل أنفسه في أهمية . « إلى ما ربح ما روبا ،

وصوت لا تسمعه الآذان . صورة بلا شكل . إلى أشكك وسعة
عبور . عيونها في مثل اتساع لحر ، ومع ذلك فهي لا تسمح لشيء
مأثي يمس من تحلات هذه العيون . إلى انلاذ بقى نفعاً إلى كل
الأشياء متجدد أساوي . ليس لها مكان . ومع ذلك فأت إلى أطلت
من الشفرة رأيت . إلى تدعوني إلى الرغبة في عدم الرغبة . ثم تركت كل
شيء يعار طريقه ومهجه .. فإدى بتو مع بصال ، وأمدى يحيى
يقام .. ويمثل أساس الحديث ، واحتاج مجرد مكان يتوارى فيه
الغسل . ولكن ماذا الذي يعرف سطة التحول ومتى تأتي ؟ « شك
لأني يحاهد من أجل الحان يستطيع أن يصبح في النهاية أشبه ما يكون
بالفضض الصغير .. والطفف وأمين يتحان لنصر لك الذي يهجم .
والأمر وسلامة لذلك الذي يدوم ، ولندرس هو شك اسن يجب
منه !

هل لهذا معنى ؟

أحياناً : « عندما أقاوم ست كزوس من لوبسكي ، ثم نطلع
إلى النحوم ، أرى أنه ربما كان ذا معنى ! »

وران عليها الصمت . فبتتد أجزاً . كانت كيتي هي التي
تدته . في هذه مرة أيضاً إذ قالت : « نشئ .. هيل وردت
عسرة . « إلى الكلب . الذي مات » ، « أي كلب تعرفه ؟ »
« وانتمس على شفتي واديتجن ابتسامة . « هم ذات كيب .
ولكن يبدو أن يدركه كان إدراكاً مرهاً فوق عادته . ولم تكن كيتي

— إننا جميعاً نصلى دون انقطاع من أحلك ، ومن أجل روح
ذلك الذى قضيت ..

ولم نحر كبتى جواباً .. فأفلتت الأم الرئيسة راحتها ، ثم تحولت
نمهد إليها بلمحيتها الحساسة الأمرة ببعض المهام .. وربت رؤوس
طفلين أو ثلاثة .. وأرلتهم ابتسامها اللادنيوية الخلافة .. ثم انصرفت
إلى أعمالها الأكثر أهمية .

— ٣٨ —

● وانضى أسبوع .. وفيما كانت كبتى تحميك بعض الشباب
في الدبر الأنيام ، دخلت الأم الرئيسة الحجرة ، فجلست إلى جوارها ،
وألفت على شغلها نظرة عابرة .. وقالت : « إنك تنقذين الحياة
جداً يا عزيزتى ، وهو شيء نادر بين الشباب في دنياكم اليوم » .
— إننى مدينة بذلك لأبى ..

— أؤكد لك أن أمك ستتهنئ برؤيتك ثانية ..

وتطلمت كبتى إلى ما أمامها .. كان في أحلاقي الأم الرئيسة تلك
الميزة التى لا تجعل العبارة تلغى على أنها مجرد جملة عابرة .. وبكى
الأم الرئيسة استطراداً قائلة :

— لقد سمحت لك بأن تأتى بعد وفاة زوجك العزيز ، لأننى
ظننت أن العمل قد يصرفك عن التفكير ، إذ رأيت أنك قد لا تقوين
إذ ذاك على تحمل الرحلة الطويلة إلى هونج كونج وحده . كما إننى
لم أحب أن أدعك تحكين وحيدة في دارك ، وليس لك ما تفعلين

موى التفكير في مصابك .. أما وقد انقضت ثمانية أيام ، فقد آن
الوقت كبتى ترحل ..

— لكنى لا أريد أن أرحل يا أماه ، أريد أن أبقي هنا

— ليس ثمة ما يدعو لك للبقاء .. لقد جئت لتكوفى في صحة
زوجك ، وقد ماتت زوجك .. ثم إنك في حال لن تلبقى معها أن
تحتاجي بعد قليل إلى عناية ورعاية يستحيل توفرها هنا .. إن واجبك
يا صغيرتى المزيعة يقتضيك أن تبلى كل ما في طوقك لخير المخلوق
الذى أودعه الله عنايتك ..

ولزمت كبتى الصمت برهة ، ثم قالت وهى تعض بصرها :
« كنت أظن أنني ذات فزع هنا .. وكان من أعظم دواعي مروورى
أن أظننى كذلك .. وكنت أأمل أن تسمحى لي بالاستمرار في عمل
حتى ينتهى الوفاء .. »

فأملت الأم الرئيسة في ابتسامه خفيفة : « إننا جميعاً مقبلين
لما يلدت من صديق لنا ، بيد أن خطر الهوى إلى هنا — وقد خفت
حدة الوفاء — لم يعد كبيراً ، ومن ثم فأنا أرتقب مقدم اثنين من
(كاثوليك) لن نلبس أن تصلا عما قريب ، وإذ ذاك لن أكون في حاجة
ماسة إلى خدمتك .. »

وغاص قلب كبتى : « كانت لجة الأم الرئيسة لا تدع مجالاً
لرد ، وكانت قد أصبحت تعرفنى إلى النرجة التى تجعلها تترك أنها
لن تصغى لأبى رجاء : وكان شعورها بضرورة إبداء مررات لكنى

وأحست كبتى بشيء من الرغبة في البكاء .. لكنهم كانوا على
حق ، فإنه لم يبق لها مكان في الدبر .. وقالت في جفاء ولوم : « لقد
ما يلوح لي أنكم جميعاً تنعجلون التخلص منى ! »

وقطعت كبتى إلى أن الأم الرئيسة بدأت تخفف من مسلكتها ،
إذ تبينت أن كبتى كانت مستعدة لأن تصدع لما أعدوهها ، فأخذت
— دون أن تفتن — لجة لطيفة ، رحيمة ، وكانت روح الفكاهة لدى
كبتى مرهقة ، فأومضت عينها ، وطاقف بخاطرهما أن القديسات هن
الأخريات يعجب أن يكون وأبين الناقد ! .. بينما قالت الأم الرئيسة :
« لا تظنى أبى لا أفدأ يا صغيرتى المزيعة طيبة فليك ذلك الكرم
الرائع الذى يجعلك غير راغبة في أن تتخل عن الواجبات التى
تطوعت لأدائها .. »

وحذقت كبتى في الفضاء أمامها بنظرات جامدة .. وهزت كتفها
في حركة خفيفة ، وهى تدرك أن ليس لها أن ترضى على نفسها مثل
هذا الفضل المبالغ فيه ، فهى لم تبغ البقاء إلا لأنها لا تملك مكاناً تدفع
إليه .. وكان هذا الشعور غريباً ، لم يكن في العالم من يضل بما إذا
كانت على قيد الحياة أم كانت ميتة !

وكانت الأم الرئيسة ماضية تقول في لطف : « لست أفهم كيف
تعرضين عن العودة إلى الوطن .. كم من أجناب في هذه البلاد على
استعداد لأن يبدلوا الكثير كى يظلوا يمثل هذه الفرصة ! »

— ولكل لست منهم يا أماه ؟

وزمت كبتى شفتيها ، فقد رأت أنه كان يلين بهم أن يستقروا
على الأقل في مسألة لا تخفى سواها .. واضطرت إلى أن تبذل جهداً
لتسبغ على أعصابها حتى لا تتحد وهى تتساءل : « متى يجب أن
أبدأ رحلتى ؟ » : فظلت الأم الرئيسة هادئة ، وقالت : « كلما
أسرعت في العودة إلى هونج كونج ، ثم الإبحار إلى إنجلترا ، كان
ذلك أفضل يا صغيرتى المزيعة .. لذلك رأينا أنك قد ترغين في أن
تبدين رحلتك في قعر بعد غد .. »

— أبهذه السرعة ؟

— آه .. إن الأمر يختلف بالنسبة لنا يا طفلي العزيزة .. إننا حين نأتي إلى هنا ندرك أننا قد هجرنا أو طأنا إلى الأبد !
واتبعنا من أعماق نفس كيتي المرحبة ورغبة ساووثها ، قد تكون متطورة على غيت ، أوحى إليها أن تبحث عن تلك الناحية من درع الإيمان التي تجعل الراهبات في مناعة بالغة ضد كافة المشاعر الطبيعية .. ووعيت في أن ترى ما إذا كان قد بقي في نفس الرئيسة شيء من الضعف الشرى ، فقالت : « لقد كنت أرى في بعض الأحيان أن من العسير عليكن أن لا ترين مرة أخرى أولئك الذين كنتم تحبينهم ، ولا تلك المناظر التي تشاربن بينها » .

فترددت الأم الرئيسة لحظة .. ولكن كيتي لم تلمح أى تغير طرأ على صرامة ذلك الوجه الجميل المهيّب — وقالت أخيراً : « إن ذلك لشاق بلا شك على أى التي اكتملت ، لأنني ابتها الوحيدة ، فهي تتوق طبعاً إلى أن ترائ مرة أخرى قبل أن تقضى نحبها .. وأنا أتمنى أن أبيع لها هذه القطة ، ولكن ذلك مستحيل .. فليتنا أن نصبر حتى نلتقي في العيم » ..

— ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً ، فلابد للمرء — إذا ما فكر في أولئك الذين كان حبيباً إليهم — من أن يجد مثق في أن لا يسأل نفسه عما إذا كان قد أصاب في انقطاع نفسه عنهم ؟؟
وفجأة ، أشرق وجه الأم الرئيسة ، وقالت : « أو تركه تسانليتي عما إذا كنت قد ندمت يوماً على الخطوة التي اتخذتها ؟؟ أبداً ، أبداً » .

وحجة ، حنوناً ، ومع ذلك فقد أحسبت كيتي في أعماقها بأنها لم تعد في نظر الأخت سان جوزيف — التي تنطلق دوماً إلى الأبدية — سوى مجرد طيف لاجسم له ولا كيان مادي .. وتملكتها ورغبة جامحة في أن تحسك بكني الراهبة الطيبة البدينة قهرها وتصبح : « أولاً تعلمين أنني آدمية ، تسمة ، وحيدة ، وأنتي أشد السلى والعطف والتشجيع .. أراه ، ألا تستطيعين أن تتحول لحظة عن الله وأن تسبني على شيئاً من الحنان .. ألا ذلك الحنان اللبني الذي توليته كل المذنبين ، فأنا أنا أشد سخاماً إنسانياً ؟؟ .. وبعثت الفكرة إلى شفتي كيتي ابتسامة وقد تصورت ما يفتاب الأخت سان جوزيف من دهشة لو أنها فعلت ! .. لسوف تقنعن إذ ذاك بما لم يكن يرق في لديها حتى الآن عن مرتبة الشك : إن جميع الإنجليز .. بجانب !

لكن كيتي « كفت بأن أجابته ، إنني لحسن الحظ أحتمل الرحلات البحرية ، ولم أصب حتى الآن بدوار البحر » :

وعادت الأم الرئيسة مبهمة ، تحمل طرداً صغيراً أبقى الحزم ، وقالت : « هذه مناديل صنعتها لأني لمناسبة عيдаها .. وقد طرزت باننا هنا بحروف اسمها عليها » .. وهنا أشارت الأخت سان جوزيف إلى أن كيتي قد تحب أن ترى جمال التطريز ، فتكث الأم الرئيسة الطرد في ابتسامه مثقفة ، مسترحة .. وكانت المناديل من تيل خفيف جداً ، وقد طرزت الحروف بحيث تداخلت وتشابكت بعضها في بعض ، يملوها تاج من أوراق الثوت .. وبعد أن أعربت كيتي عن إعجابها

لقد استبدلت بحجة ذففة لا قيمة لها ، حياة فراها النضحية والتعب .. وإن عليهما صمت وجيز .. ثم ابتسمت الأم وأردقت في ضحكتها اللطيفة الخفيفة : « سأطلبه منك أن تحمل معه طرداً صغيراً تسليته إلى مكتب البريد عند وصولك إلى مرسيليا ، إذ أنني لا أبتنى أن أعهد به إلى مكتب البريد الصيني .. سأحضره لك حالاً » .
قالت كيتي : « تستطيعين أن تعطيني إياه غداً » .

— سيكون لديك من الشواغل ما يصرفك عن الحضور إلى هنا غداً يا عزيزتي .. وإنه لأنسب لك أن تودعنا الليلة .

ونفضت في رشاقة جليلة غير متكلفة ، لم تكن ثيابها القضاضة لتخفيها ، وغادرت الحجره .. وإن هي إلا لحظة حتى أقبلت الأخت سان جوزيف ، وقد جاءت تودعها متمنية لها أن تحظى برحلة ممتعة ، ومؤكدة لها أنها ستكون آمنة لأن الكرونيبل ؛ به سيوفدها معها حراسة قوية ، فضلاً عن أن الراهبات اعتدن أن يقمن بالرحلة دائماً وحيدات فلم يحسن أذى .. وسألته هل تحب ركوب البحر .. ثم أردقت نصف ما اعتراها هي من دوار حين هبت عاصفة وهي تحتاز المحيط الهندي .. ثم أعربت عن يقينها من أن « المدام » — والدة كيتي — ستبهرج ولأنك إذ ترى ابتها ، ومترعها بنفسها ، سبها وأن في أحضانها الآن نفساً أخرى صغيرة ، وأنها جميعاً سوف يصلين من أجلها ، وهي بالذات تستصلي دوماً من أجلها ومن أجل الطفل الصغير العزيز ، ومن أجل روح الطبيب المسكين ، الشجاع .. كانت الراهبة ذلقة اللسان ،

بها ، لغتها الرئيسة ثانية ، وصلمتها إياها .. وإذ ذاك هفت الأخت سان جوزيف : « حسناً يا مبدق .. آت أن أنصرف » ، وكررت لها نحياتها المجاملة ، ثم انصرفت .. وأدركت كيتي أن لحظة توديع الرئيسة قد حانت ، فشكرت لها ما لقيت منها من كرم .. وصاروا معاً خلال « ألبها الماوية » ذات الجنود البيضاء .. وساءت الرئيسة : « ألت أنتيك إذ أسألك أن تسجلي الطرد يا بريد حين تصلين إلى مرسيليا ؟؟ » .
فقالت كيتي : « سأجلبه بالتأكيد » .. وألفت نظرة على اللعوان ، فبدأ لها الاسم محفوقاً بالعظمة . لكن المكان استلفت انتباهها ، فتهفت : « عجباً .. هذا أحد القصور التي شاهدها ، إذ جلست مرة خلال قرناً بالسيارة مع بعض الأصدقاء » .

فقالت الأم الرئيسة : « من الجائز جداً ، فإن زيارته ومشاهدته تباح للأغرب في يومين من كل أسبوع » .
— أعشق أنني لو كنت أقت في مثل هذا المكان البديع ، لما وجدت الجرة على مفادته !

— إنه حقاً أمر تاذيخي يندو مثاله ، لكنني إذا أسفت على شيء ، فليست أسف على هذا ، وإنما أسف على التصغر الصغير الذي كنا نعيش فيه وأنا بعد طفلة ، ويقع في جبال « البريتز » .. لقد ولدت إلى جوار البحر ، ولا أنكر أنني أفخر أحياناً إلى سماع صوت الأمواج وهي تتلاطم على الصخور .

وخطر لكيتي أن الأم الرئيسة تحاول أن تسخر منها ، لكنهما كانتا

به العهد .. وكانت حكايا .. وهي تسمى على قدمها الصغيرتين .. على عصا سوداء .. قيدا لكي وهي تأمل ما فعلت بها الأيام ، أن ما يصعب تصديقه أنها وولتر قد اشتركا في تلك الرقصة الغريبة غير الواقعة ، بل وكان دورها فيها هاما .. كيف لا وقد كان من الممكن أن تفقد حياتها بسهولة ، ففقد هو حياته .. بل ما من مهزلة ! .. أمل الأمر كله لم يعد أن يكون حسنا لن تلب أن تستيقظ منه فجأة ، فطلق زفرة اوتياح .. فالواقع أن ذلك كله كان يبدو لكي أحيانا كأنه حدث في زمن حقيق ، وفي مكان بعيد ! .. وكان من الطريف حقا أن يلب الأشخاص أحيانا لزاما مناظر الحياة الواقعة تحت ضوء الشمس كأشباح .. في أحيان أخرى كانت الأحداث تبدو لكي وكأنها وقائع قصة كانت تقرأها .. لكن العجب حقا أنها لم تكن تحرك في نفسها سوى القليل من الاهتمام ، بل لقد تبينت أنها لم تعد تذكر وجه وادينجتون بوضوح ، رغم أنها ألفتها .. !

وأخيرا حل اليوم الذي كان مقررا أن تبلغ في مساهمة مدينة على ضفة النهر العربية ، تستل منها باخرة فلا تلب أن تبلغ موقع كرنج مع مهبط ليل اليوم التالي ..

٧٠

● كانت كيتي في أول الأمر تشعر بالهجل لأنها لم تلب وتنتجيب حين مات وولتر ، إذ لاح لها هذا نائيا ، يشأ .. أي عا ! .. حتى الشاي الصيني .. الكولونيل « يو » - نلت عيناه بالدموع ! ..

المنطقة

٢٨٢

قد بلغت باب الدور ، الباب الصغير المتواضع .. ولدهشة كيتي ، احتضنها الأم الزلية وقبلها .. وكان وقع شفتيها الشاحبتين على وجنتي كيتي على التعاقب ، مفاجئا لما بلدرجة جعلت الدم يتصاعد إلى وجهها ، بل بعث في نفسها ميلا .. إلى اليكاه ..

وظلت الرئيسة منخفضة إياما برهة وهي تقول : « وداعا ، وليباركك الله يا ابني العزيزة ، تذكرى أن ليس بالكثير أن تزدى واجبك ، فهو مطلوب منك ، وليس من فضل لك إذا أدبتك أكثر مما قد يكون هناك من فضل إذا أنت غسلت يديك حين تسترخن .. إنما الشيء المهم الوحيد هو حب القيام بالواجب ، فعندما يكون الحب والواجب شيئا واحدا ، تمر نفسك بالجمال والبهاء ، وتستمتعين بمساعدة تفوق كل إدراك .. »

وأعلن باب الدبر دونها .. للمرة الأخيرة !

-٦٩-

● سار وادينجتون مع كيتي صاعدين التل ، ثم عرجا جانبا ليلقيا نظرة على قبر وولتر .. وعند القوم التذكاري ، ودعها .. وألقت بل المصعب نظرة أخيرة ، فأحسب بأنها أصبحت تتوى على أن تجيب على الروح الساخرة التي تراءى لها فيه ، بسخرية غائلة من عذها ، وصعدت إلى اهفة ..

وأحدث الأيام تمر قايغا .. وكانت المناظر التي تصادفها أثناء رحلة العودة بمثابة أفن خلق ثوال مه أفكرها .. كانت تراهها كما

لو كانت نسخا من دوحه ، قد لفت بعضها في بعض وكأنها وضعت في منظار أسواني ، واقرنت بكل منها معاني جديدة ، إذ كانت تضيف إلى كل شيء ذكرى لما رأت حين قامت بالرحلة ذاتها - في الانجاء المضاد - منذ أسابيع قلائل .. وكان الحالون الصينيون يمضون بأحلامهم في غير انظام ، يسير كل اثنين أو ثلاثة منهم مترافقين ، ثم يأتي حلقهم بعد مائة ياردة واحد يسير منفردا ، لينلوه ثنان أو ثلاثة آخرون .. وكان جنود الحرامة يطرون الأرض في خطوات غير منسقة ، قطعين خمسة وعشرين ميلا في اليوم .. وكان يحمل حقة الوصفية رجلا ، أما عمه كيتي فكان يحملها أوبة ، لا لأنها كانت أثقل وزنا ، ولكن من قبيل الإكرام والمجاملة ...

وكانوا يصادقون بين آن وآخر صفًا من المايلين الوطنيين يسرون مترعين تحت أحلام القيلة ، أو يتقنون بموظف من الصينيين يستوى في حقة ويحمل بنظرات متسائلة في المرأة البيضاء ، وأحيانا كانوا يجرؤ بقلاحين يحون إلى السوق وقد ارتدوا القبعات العريضة الحواف ذات اللون الأزرق الباهت .. وأحيانا أخرى بأمرأة ، عجزر أو شابة ، تير متأيلة على قدميها الصغيرتين ..

وصعدوا سفوحا وهبطوا أخرى وهم يتنازول التلال الصغيرة تكسوها حقول الأرز المنسقة ، والدور الريفية تسلم في دعة لأحضان أحراش الغاب (البوص) .. ومرورا بقري قفيرة ، وبمدن أهلة تحيط بها الأسوار كدب الأساطير .. وكانت شخص الغريفة الباكر رائعة .

وقالت من تاونسند : « لقد وصلت مركبك مبكرة عن موعدها ، حتى لقد أوشكت أن لا أكون هنا في الوقت المناسب .. وما كنت لأحتمل أن لا أكون في استقبالك .. »

فهتفت كيتي : « ما أحبك جئت خصيصاً لاستقبالك ! »

— بل لهذا جئت ..

— ولكن .. كيف عرفت أنني قادمة ؟

— لقد أبقى لي ستر واحدتين

وأشاحت كيتي بوجهها وقد قفزت إلى حلقها فحاة غصة .. كان من الطريف أن يبرز مشاعرها هذا العطف الذي ما كانت توقعه . ولم تلك رغبة في البكاء ، وإعما غمت لو أن دوروي تاونسند خلقها وانصرفت ! .. لكن دوروي أمسكت بيدها التي كانت متخاذلة إلى جوارها ، وولحت تضغطها .. وأدهش كيتي أن تكون لهذه المرأة الخجول مثل هذه المقسرة على التعبير عن عواطفها !

وقالت دوروي تاونسند : « إنني أريد أن تسدي لي حنيئاً كبيراً .. إن تشارلي وأنا نود أن تأتي تقيمي معنا خلال مدة وجودك في هونج كونج . »

فاجتهدت كيتي يدها وقالت : « هذا كرم عظيم منك .. لكنني لا أستطيع . »

— بل ينبغي .. ما أراك تذهين إلى دارك وتقيمين فيها وحدك .. سيكون هذا نظماً بالنسبة لك .. لقد أعددت كل شيء ، وستكون

لك غرفة جلوس خاصة بك ، وتستطيعين أن تتناولي ليها وجباتك إذا لم تشائي أن تتناوليها معنا .. كلانا يرجو أن تأتي ..

— لم أكن أفكر في الذهاب إلى البيت ، بل كنت مزمنة أن أحجز لنفسى غرفة في فندق هونج كونج ، فأرجو أن أجتمعكم كل هذا العام ..

كان الاقتراح مفاجأة لها ، فأربكها وسامها .. لو كان لدى تشارلي شيء من اللياقة والأدب ما سمح لزوجته بأن تدعوها .. وما كانت تود أن تكون مدينة لأي منهما بأى فضل !

وقالت دوروي : « أواه ، إنني لا أطيق التفكير في أن تقيمي بفندق .. ثم إنك ستكرهين فندق هونج كونج ما يبعج به من أناس ، وموسيقى « الجاز » التي تعرف فيه باستمرار .. أرجو أن تقبلي لقد وعدت تشارلي ، ولئى أضيافك أو أئقل عليك .. »

فقالت كيتي وقد أوشكت حججها أن تنفذ ، دون أن تقوى على أن تتحلى في حزم بات : « لست أمدى لم تولياني كل هذا العطف ؟ .. أخشى أن لا أصبح الآن في حالة تمكنني من أن أكون طيبة الصبغة للأغرب .. »

— ولكن .. أو نحن غريبان عنك ؟ أواه ، لست أود ذلك ، بل إنني أريد في أن تسمح لي بأن أكون صديقك ..

وضمت دوروي يديها ، وبدا صوتها — الصوت القاتر ، المترامخ

غير المكتثرت — كما لو كان دماغاً ، وهي تستطرد قائلة : « لشد ما أرجو أن تأتي .. الواقع أنني أريد أن أعرضك .. »

ولم تفقه كيتي ما كانت تعنى ، إذ لم تكن تدرى بأى تعريض كانت زوجة تشارلي مدينة لها .. لكن دوروي امتانفت حديثها قائلة : « يؤسفني أنني لم أمل إليك كثيراً في البداية ، كنت أظنك متخاذلة .. وأنت تعرفين أنني من الجيل القديم ، وأعطيت لذلك على شيء من التزم .. »

فرمقتها كيتي بنظرة غائرة .. كانت تعنى أنها ظننا في البداية غير محشمة .. مبتلة .. ومع أن كيتي جهدت كي لا يلوخ على وجهها شيء مما كان يدور في نفسها ، إلا أنها ضحكت في أعماقها .. لشد ما أصبحت الآن تحفل بظنون الناس فيها !

واستمرت دوروي قائلة : « وعندما سمعت أنك كنت ذاهبة مع زوجك إلى فيكي الموت ، دون ما تردد ، شعرت بخوف شديد .. وأحسست يهوان وصغار .. لقد كنت رائمة ، كنت ضجاعة ، جعلنا جميعاً بدو مبتلات ، وضيعات .. »

وكانت الدعوى في أثناء ذلك قد أنسابت على وجهها الوداع ، الرجيم ، وهي تابع حديثها : « ليس بوسعي أن أصف لك مدى إعجابي بك ، ولا مبلغ احترامي لك : إنني لأعرك أنني لا أمك أن أعزبك في مصايك القاسى ، لكنني أريدك أن تعرفي مدى شعوري العميق ، ومدى وفائي لك .. ولسوف تكون مارة منك أن تسمحى

في بأن أؤدى أية خدمة بسيطة لك .. فلا تخفدي على لكوني أسأت المحكم عليك ، فأنت بطلة ، في حين أنني لست سوى امرأة حمقاء عبة . وغضت كيتي بصرها . كانت شديدة الشغوب ، وتمتد لو أن دوروي لم تظهر مثل هذه المواقف الفياضة .. صحيح أن هذا أثر في نفس كيتي ، لكنها لم تستطع أن تقاوم شيئاً من فساد الصبر والبرم بأن تصدق تلك الماذجة مثل هذه الأكاذيب عنها ! وتهدت أخيراً قائلة : « إذا كنت مصرة على الرغبة في أن أنزل ضيفة عليك فيفسر طبعاً أن ألي دعوتك : »

— ٧٢ —

● كان آل تاونسند يقيمون على قبة التل في بيت يعطى الشطر الأكبر منه على البحر . وكان من عادة تشارلي أن لا يعود إلى البيت لتناول طعام الغداء ، لكن دوروي أنابت كيتي في يوم وصفا — وقد اطمانت كل منهما إلى الأخرى وتخلت عن الكلفة — بأنه يسر بأن يحضر ليرحب بها ، إذا أحسست برغبة في أن تلقاه .. ورأت كيتي أنها ما دامت متضاطر إلى رؤيته . فمن الخير أن تراه عاجلاً ، وراحت تتمثل في خاطرها — مسرورة — ما سوف تسببه له من حيرة وارتباك ! وكانت قد بينت بجلالة أن فكرة دعوتها للإقامة في البيت قد يبق في الأصل في ذهن زوجته ، وأنه رغم مشاعره الخاصة بأحد إلى الموافقة .. وكانت كيتي تترك مدى رغبته دائماً في أن يؤدى الواجب — ومن الجلي أن كرم الضيافة من أم وأقدس الواجبات — ولكنها ما كانت

تستطيع أن تتصور أن يوسمه أن يتذكر لقاءها الأخير دون أن يتحراه
الحجل الخائن ، فإن هذا اللقاء ينبغي أن يكون - بالنسبة لرجل مزهو
مغرور مثل ناونسد - مصدرة علة كالفرفة ، لاسيما إلى شملها ..
وكانت تسمى أن تكون قد آلتها ، وتكون أنه لا بد راض نفسه
على أن يكرها .. وسرها أنها لم تكن تكرهه ، بل كانت تحترقه ..
ويست في نفسها رضاء ينطوي على شيء من السخرية اللاذعة ، أن
تصور أنه رغم مشاعره مضطرب إلى أن يكرها .. إذ لابد أنه تسمى -
بعد أن يارحت مكتبه عصر ذلك اليوم المشؤم - أن لا تنفع عيناه عليها
قط مرة أخرى !

وها هي ذي تجلس مع دوروثي في النظار مقدمه ، وقد فطنت
إلى أنها استعديت ما كان في غرفة الجلوس من فخامة مخشمة ؛
كانت تجلس في مقعد وثير ، وقد تآثرت الزهور الجميلة هنا وهناك ،
وازدانت الجدران بصور بهيجة .. وكانت الحجره ظليلة ، وجوها
عليلا ، وقد سيطرت عليها روح الود والوثام والهدوء ، وارتفعت
كيتي إذ ذكرت قاعة الجلوس العارية في دار طبيب الارشالية ،
والمقاعد الخيزرانية ، ومنصدة المطبخ يغطاها القطنى ، والأرقت
الملطخة التي كانت تحمل كل تلك الروايات الرخيصة ، وتلك الستائر
الحمراء ذات المظهر المترب .. لكم كانت داراً غير مريحة ..
ولعل دوروثي في تفكير يوما في هذا الأمر !
وسمعا صوت سيارة تقترب ، وما لبث أن أقبل تشارلى على

الحجرة يغطي واسعة .. وهتف عند دخوله : « هل تأخرت ؟ أرجو
أن لا أكون قد أثبتتكم طويلاً في الانتظارى ، فقد كنت مضطراً إلى
مقابلة الحاكم ولم أجد سبيلاً للفرار » .. وتقدم من كيتي فناول راحتها
قائلاً : « لشد ما أنا مسرور بمقدماتك ، إلى لأدرك أن دوروثي قد
أعربت لك عن رغبتنا في أن نعتبرى داراً كما لو كانت دارك ، ولكننى
أحب أن أرد لك هذا القول بدورى .. ولن يسمعن قلوب أن أؤدى
لك أية خدمة .. »

وكانت حينها توشم ثوبان بإحلاص وبصر ، فضاءت نفسها : أترأه
قد فطن إلى السخرية التي أومضت بها عيناه ؟ .. واستطرد يقول :
« إننى غيبي في اختيار الكلمات التي تثير عافى في نفسى ، ولا أريد أن
أبدى غيابة هذا ، بيد أننى أحب أن أظهر لك على مدى عطفي العميق
عليك في محنتك بوفاء زوجك .. لقد كان شاباً طيباً ، شبيهاً ..
ولسوف ننفقه هنا إلى مدى يفوق كل تعبير .. »
قالت زوجته : « كيتي يا تشارلى ، فإني واقنعة من أن كيتي
تترك ما تسمى .. ما هو ذا الكوكيتل ، »

ووفقاً لما اعتاده الأجانب من رفاهية في الصين ، وفند على
الفرقة خدامان في رضى خاص ، يحملان كؤوس وزجاجات
« الكوكيتل » ويضعن المأكولات الخفيفة . وأبت كيتي أن تتناول
شيئاً ، فأصر نونسند قائلاً في لهجته اللطيفة الحمية : « بل يجب أن
تتناولى كاملاً ، لسوف تفيدك .. وإنى لوائت من أنك لم تحظى بشيء »

كالكوكيتل مة غادرت هونج كونج ، إذ لم يكن في وسعك - ما لم
أكن حظهناً - أن تحصل على ثلج في « م - نان - فو » ..
نقالت كيتي : « لا .. لست محظناً » .

وتخلت في ذهنها لحظة صورة المسئول ذى الرأس المشعنة
والأصنام البالية التي بدت حلالها ضلوعه الحيلة ، وقد استلقى ميتاً
إلى جوار سور دارها .. هناك !

٧٣

• وتضوا للنداء ، فجلس تشارلى إلى رأس المائدة ، وراح
يدير الحديث بيسر .. وكان قد أخذ يعامل كيتي ، بعد كلمات العزاء
القليلة ، لا كامراً تملق من تجربة قاسية حديث العهد ، وإنما كما
لو كانت قدمت لنوها من (شانهاى) للسياحة أو لإجراء عملية
لاستئصال الزائدة الدودية .. كانت في حاجة إلى إنسانى يدخل
على نفس الانشراح ، وكان هو على استعداد لأن يدخل السرور
عليها . وكانت حير طابعه تزيل عنها الوشحة أن يعاملها كما لو كانت
مرداً من الأسرة .. كان لبقاً بأوعاً ، فشرع يتحدث عن حفلة يده
موسم الحريف لسياق الليل ، وعن رياضة البول ، ويجه ! لسوف
يضطر إلى أن يجر لعب البول إذا لم يستطع أن يخفف وزنه .. ثم
انتقل إلى الحديث الذى دار بينه وبين الحاكم في الصباح ، وتكلم عن
حفلة حضرها على سفينة القيادة ، وعن الأحوال في كانتون ، وعن
الروابط مع « لوشان » ، فلم تنقض دقائق حتى شمعت كيتي أنها

لم تغب عن هونج كونج أكثر من عطلة قصيرة في نهاية أسبوع ..
وغدا من السير أن تصدق أن في الربيع ، على بعد مائة ميل فقط من
المكان - أى ما يعادل المسافة بين لندن وأدبرة - كان الرجال
والنساء والأطفال يهرون صرعى كالذئاب ! .. وسرعان ما ألقت
نفسها تال عن هذا ما ذاك من اشتراك في مباراة الولى ، وعما إذا
كانت لسيده « ثلاثة » قد ذهب إلى إنجلترا ، أو ما إذا كانت
السيدة « ثلاثة » قد اشتركت في مباريات « التنس » الدورية .. وراح
تشارلى يلقى مكانه الخفيفة ويضحك لها ، بينما تحدث دوروثي تملق
على عدة أفراد من موظفى المستعمرة في بحيرة رقيقة ، وقد حلف بها
شيء من الترفع الذى سرى في تلك الأثناء إلى كيتي فلم يبعد فيه
ما يمس شعورها ، بل غدا رابطة توثق ما بينهما .. وهتف تشارلى
بزوجته : « انظرى ، لقد بدأ التحسن يظهر عليها .. لقد كانت
شديدة الشحوب قبل الغداء حتى أتى جزعت لمنظرها : أما الآن
فقد سرى بعض التورود حقاً إلى وجنتها : »

على أن كيتي راحت تأمل مصيفها وهي تشارك في الحديث
بشيء من الانتعاش ، لم يبلغ درجة المرح ، إذ أحست أن دوروثي
- بل وتشارلى ، رغم روحه المرحه الرائعة - لن يفرأ لها لو أنها
انصقت للمرح .. وكانت خلال تلك الأسابيع التي شغل فيها بالها
بالنقمة على تشارلى ، قد رسمت له صورة حبة من نسخ مشاعرها :
كان شعره الكث الجعد أطول قليلاً مما ينبغي وقد أفرط في العناية

بصفه .. ولكي يعني ما بدأ يدب خلاله من شيب ، أخذ يسرف في تغذيته بالزيت .. وكان وجهه شديد الاحرار ، وقد بدت خلال بشرة خديه شبكة من المروق التي اختلطت فيها الزرقه بالحمره :: وكان فكه ضحكاً عريضاً ، وما لم يرفع رأسه فأنك تلمح السمته تهذب تحت ذقنه فيما تسميه « لنداء » .. وفي حاجسه الكثيرين العريضين ، اللامحي الشعر ، الذين كانوا يثيران في نفسها اشترازا غامضاً ، كانت ثمة حمة من سمات القرد .. ثم إنه كان ثقيل الحركة ، إذ لم يحل كل ما كان يبذل من حاية بغذائه ، ولا كل ما كان يحاوس من رياضة دون المطراد سمته . وكان يدين ، وأكوار السن قد بدأت تؤثر على مفاصله .. ثم إن لياحه الأنيقة كانت ضيقة بالنسبة له ، لا تليق لمن كان في سنه ..

كانت هذه هي الصورة التي وسعها له خياله الدائم خلال تلك الأسابيع التي مضت .. لكن كيتي تلقت صدمة أذهلها حين أقبل على قاعة الجلوس قبل الغداء — ولعل هذا كان السر في اشتداد شحوبها — فلقد اكتشفت أن خيالها عث بها ، ولم يك تشارني يبدو في الصورة التي عثته عليها إطلاقاً ، حتى أنها لم تملك إلا أن تضحك من نفسها : لم يكن في شعره أثر للليب قط :: آه ، بل كانت ثمة شعيرات بيضاء قلل في فركه ، ولكنها كانت حديثة النبت .. ولم يكن وجهه أحر ، بل أحر .. وكان رأسه يستوى على عضفه في وشاقة ، دون ترهل .. ثم إنه لم يكن سيئاً ، ولا مكتملاً .. بل

كان في الواقع وشيقاً ، وكان شكبه يدعو إلى الإعجاب .. أفتلومه إذا ازدهى بنفسه قليلاً ؟ لقد كان من المحتمل أن يأخذه الرأى على أنه في شرخ الشباب . ثم إنه كان أنيقاً في اختيار ثيابه ، فكان من السخف أن ينكر أحد ذلك ، كان يبدو أنيقاً ، نطقاً ، ومشوقاً ، حليق الذقن ، منق الشعر .. فما الذي انتابها فجعلها تفكر فيه على تلك الصورة ؟ لقد كان مليحاً للعامة ، وكان من حظها أن يبيت مدى حسنه ونفاحة شأنه .. ثم إنها كانت تفر دائماً بأن لصوته رنة تملك الأسماع ، فإذا هو كما كانت تذكره تماماً .. لكن زيت كل كلمة يقولها صار يبدو أثناء كلامه في وضوح صارخ .. كان وقينه وودعه يريانه يديران في أفئتها دوى الخلط وعدم الإخلاص ، فراحت تعجب في نفسها : كيف قدوها أن تغرب به ؟ وكانت عيناه جميلتين ، فهنا كانت تكمن قنفته . كان لها بريق أزرق ، ناعم ، وتعبير تستعذبه النفس ، حتى حين يكون كلامه هنراً لا قيمة له .. كان من المسحبل أن لا تستبولك عيناه ..

وقدست القهوة أخيراً ، فأشعل تشارني غليونه ونظر إلى ساعته ، ثم نهض عن المائدة قائلاً : لا بد لي من أن أترككما الآن لشئونكما أيها الشابان ، فقد حان لي أن أعود إلى المكتب ..

وأسلك لحظة ، ثم قال وعيناه الساحرتان ترمقان كيتي في صداقة : سأدعك يوماً أو اثنين دون مضايقة ريثما تستريحين ، بيد

إني أحب بعد ذلك أن أتحدث إليك في بعض الشؤون العلية :

— إلى أنا ؟

— أجل ، يجب اتخاذ بعض التدبيرات فيما يتعلق ببنتك ، كما تعرفين .. ثم هناك مسألة الأثاث ..

— آه ، ولكنني أستطيع أن أعهد بذلك إلى حمام ، فليس من دواعي لأن أشغلك به ..

— لا يخطر ببالك لحظة واحدة أني سأتركك تبدين تنودك في استشارات قانونية .. سأتولى كل شيء .. ثم إنك تصرفين أن من حلك أن تقاضي معاشاً ، وسأحدث إلى سعادة الحاكم في شأنه ، لئري ما إذا كان من الممكن ، بنهي من التوصيات للجهات المختصة ، أن نحصل لك على مزيد .. دعي نفسك في رعايتي ، ولا تشغلي بالث بنبي ، كل ما يزيدك الآن أن تفعله هو أن تستردي صحتك .. أليس كذلك يا دوروني ؟

— بل : بكل تأكيد :

وهو رأسه في العناية ببسطة ، حتى إذا مر بمقعد زوجته تناول يسدا وقبلها .. وعظم الإنجليز يبدون خفاء إذ يقبلون أيدي النساء ، أما هو .. فقد طبع القلة في وشاقة وجلال !

— ٧٤ —

● لم تبتين كيتي أنها كانت مضابة مكبودة إلا بعد أن استقرت تماماً في دار آل تاونسند ، فإن الراحة والرفاهية غير المالوفتين بدتا

التوتر والإرهاق اللذين كانت تعانيهما .. كانت قد نسيت متعة ترك النفس على سجيها ، والدعة التي تلعت من وجود أشياء يديعة تحيط بالمر .. واللذة التي توافي النفس حين يجد الشخص أنه موضع الاهتمام والرعاية .. ومن ثم استلصت — وهي تنفث الصعداء — فضيحة الحياة الشريرة .. ولم يضرها أو يحضها أن تشعر أنها موضع اهتمام مشوب بالعلطف والرثاء ، يبذل لها في أدب وذوق ، وتستر .. ضد كان ترملها حديث العهد ، فكان من المستحيل أن تقام حفلات لثقافة بها ، بيد أن السيدات ذوات المكانة في المستعمرة — وهن زوجة صاحب السعادة الحاكم ، وزوجتا أميرال الأسطول وكبير القصر — رر ، وتناولن الأشياء معها ، وقالت درجة الحكم : إن سعدته ينزق لرؤيتها ، ولما من درعي بسرور أن تأتي لسدول عداها حاداً بعيد عن كل زخرف أو كلفة ، فهو لن يكون مادية رسمية بالتأجيد ، مراعاة لحداذك ، ولن يحصره سواها والباوران :

ولقد عاملها هؤلاء السيدات في ترفق كما لو كانت تحفة من الخزف ، هشة ، وثمينة .. ولم يخف عليها أنهن كن يرمقنها كبطلة ، فوجدت متعة في أن تلعب دورها في تواضع وإثقان .. وكانت تمتع — في بعض الأحيان — لو أن واحدتيجن كان حاضراً ، فإن دعاهه الحيث كان كفيلاً بأن يكشفه لما في الموقف من فكاهة .. ولعلها لو كانت حلت إليه ، لأخذت معه مما يحرم مادة للضحك .. وكانت دوروني قد تلقت رسالة منه ، أسهب فيها في الحديث عن

تدني كيني في العسل في الدبر - ومن شدا عتب وحادها وردطة
حاشها . كك مـ من الطلع . دك كك مـ
٧٥

● لم . كيني كك مـ ع صده مـ ع نص . أها لم تعد
نفسا عي مـ . مع كك مـ ع صده . كك مـ ع صده . كك مـ ع صده .
فيها لخص . عك مـ كك مـ . عك مـ كك مـ . عك مـ كك مـ .
أحد يخلص قط أها كك . مـ ع كك مـ ع كك مـ .
عـ أنه مـ ع صده مـ كك مـ كك مـ . وهي مستنقة على أريكة
خارج عرق مـ . عك مـ . عك مـ . عك مـ . عك مـ .
— كك مـ

وتعظم إليه في عـ . عك مـ . عك مـ . عك مـ .
في حلة في حدة عـ لحكومة .

— أعرف دك . ولدك له ذهب أنت آخر .
— لم شمر ماني ساقوي على حفاف . فرأيت أن أعود لأوسك .
في سيارتي في اخرج . فهل أعيد أن تأتي إلى زهرة حوب لحريرة ؟
— لا أشكر

وحلس على حدة الأريكة اني كك مـ ترقد عيها وفان
ولم تنج باعرة الكلام عـ . عك مـ عك مـ . عك مـ .
في عليه مباشرة صخرة مارة . عك مـ . عك مـ . عك مـ .
يقوله أحد . للآخر ؟

سورس في حفا . . . كك مـ عك مـ . كك مـ عك مـ .
له رجة أحد ؟
— لكـ أكرت كك مـ . عك مـ . عك مـ . عك مـ .
كك مـ ولو لحظة واحدة . . . عك مـ . عك مـ .
— هل فكرت يوماً في أن . مـ مـ لها بالولة . وأكـ نخت
يوماً عهد الوفاء لها ؟

فايقسم قائلا : « ما لم تره العين لا يحزن له القلب » .
فهزت كك مـ قائلة : « إنك جدير بالاحقار » .
— بل أنا شر . . . لست أدري لم تظنني على غير هذه الشاكة
ليجد أنني وقعت في هلاك ؟ الواقع أنني لم أسع إلى هذا عهداً . كما
تعرفين . . .

وخفف قلبها وهي تسمع ينطق بذلك ، وأجاب في . . .
« لقد كنت ضحية سهلة » .
— الواقع أنني ما كنت لأتنبأ بأننا كنا موقين إلى مثل تلك
الورولة اللينة . . .
— وكانت لديك . . . على أية حال ، فكرة . . . أرحمت إن مـ
إذا كان لا بد لأحد من أن يماني ويتأم . فلا . . . كك مـ .
ذلك الواحد ؟

— أظن أن في هذا شيئاً من التجني . . . وعلى العموم فإن المسألة
انتهت ، وخليف بك أن ترى أنني إنما صبرت في تصرفي عن

٣٠٥
محرم على خير كل منا . لقد طاش فركك إذ ذاك . وكان ينبغي أن
تنبغي بأنني احتفظت بتعقل . . . أفتظنين أننا كنا نفلح لو أننا أنبأنا
ما كنا . . . « يا بن ! لقد دفننا في غير هودة إلى القلادة » . ولكن
حاشا لك نرد سوء . . . عك مـ إلى الثاني . . . ثم إنك لم تصابي
بأي ضرر . . . لم لا تبدل قلبك الصفيح ومعدو صديك ؟

وكدت تصحك . . . وقالت : « ما ينبغي لك أن تتوقع أن أنسى
أنك أرسلتني إلى موت محقق دون أنفه وأزع من ضمير » .
— آه ، أي هراء هذا ؟ . . . لقد أنفك بأن لا خطر هناك إذا
اتبعت الاحتياطات المعقولة . . . أو تظنين أنني كنت أدعك لتذهين
لحظة واحدة لولا أنني كنت مقتنماً بذلك كل الاقتناع ؟

— كنت مقتنماً لأنك كنت راعياً في الاقتناع . . . إنك أحد
أولئك الجناء الذين لا يفكرون إلا فيما يرون أن التفكير فيه يعود
عليهم بالنفع !
— حسناً ، إن الأكل خير ما يدل على جودة الطعام . . . وما أنتدي
قد عدت ، وإذا لم يسؤك أن أفول الحق ، فانت قد عدت أجمل من
قبل !

— وهـ وولتر ؟
ولم يقو على مقاومة الجواب المطوي على تعلق والذى ففز إلى
دهـ ، فبسم الله : « لا بلائكم لون مثل الأسود . . . »
فحملت فيه برهة ، واغروقت عيناها باللوع ، ثم شرعت

والنكاح . عت الأذى بوجهها الجميل ، لم تحاول أن تحسبها ، ولكنها استفتت على ظهرها و ذراعها إلى جانبها ، ففتت :
« لا تيكى يريك .. ما أردت أن أقول لك ما يؤلم .. كانت مجرد مزحة .. إنك لتعرفين مدى إشفاق عليك في حزنك » .
— أواه : أسك لسانك الذى عن الكلام !
— إننى لا أضن بشئ في سبيل استرجاع وولتر ..
— لقد مات بسبك وسبى !

فتناول بهدا .. لكنها انزعجت منه ، وقالت متعبة : « أرجو أن تنصرف .. هذا هو الشيء الوحيد الذى أود منك الآن . إننى أكرهك وأحترق ! كان وولتر حبراً من عشرة من صنفك ، وكنت حقاً وعناء إذ لم أتبين ذلك في حينه .. أخرج .. أخرج ! »

ورأته يهم بأن يتكلم ، فسد من ربه به عجب من عجب . فتيها ، ودخل عطفها .. في حين عبرى .. فتمسح اليد به حتى أصبح في ضلال نهياً .. وقال : هو عطفها .. أعينه « لا أستطيع أن أتركك هكذا .. إنك تسمين نبي م دال أمي » .
لكن ..

— لا تسمى : اذهب بالله .. اذهب ..

وحاولت أن تتزع نفسها منه ، ولكنه لم يقلها : « وأخذت تيكى في انفعال : « قال في صوته السيق : الساحر : « ألا تعرفين

يا حيثى أننى كنت دائماً أحبك .. وأننى اليوم أكثر حباً من ذى قبل ؟ »
— ما أروعك في نصح الأكاذيب ! .. دعنى .. لعنة الله عليك ..
دعى !
— لا تكون قاسية على يا كينى . إبنى لأذك أى كنت معاً معك . ولكن .. اصفحى عني .

وكانت ترتعد وتيكى وهي تحاول التخلص منه ، لكن ضغظ ذراعيه كان يبعث فيها ارتياحاً غريباً .. لشد ما حنت إلى أن تحس بهما حولها مرة أخرى ! .. مرة واحدة .. وأخذ كل جسدها يرتعد .. وشعرت بوهن مفرط .. كأنها كانت عظامها تنصير وتذوب .. واستحال الأذى الذى كان يتولاها من أجل وولتر ، إلى رثاء لنفسها ..

فقالت وهي تنتحب : « أواه ! . كيف تنوى على أن تقصر على هكذا ؟ .. ألا تعرف أننى أحببت بكل قلبي ؟ .. ما أحبك أحد قط كما أحبتك ! » .

يا حيثى ..

وأخذ يقلبها ، فصاحت : « لا .. لا .. لا .. » .

وداع يتلمس وجهها بشفتيه ، فأشاحت عنه .. وتلمس شفتيها .. ولم تعرف ما كان يقول من كلمات الموى الشبوية بلهجة التهلجة .. وكانت ذراعاه تشدأني في قوة حتى أنها أهدت بأنها كالمفلل الذى

كان تأهلاً لم يهدى إلى دمه سلام .. « أحببتك في .. هي .. وكانت عندها معصمين . ووجهها مللاً بالدموع . ثم عثر على شفتيها . فأصقت عنقه ، شفيها ، وبدأ بها نشر كاذب حاد من در حادله انطقت في حده . كانت شوة شوة حارة تألفت بوجهها كأنها طيف شفاف . ما عرف مش هذه الشوة إلا في أحلامها في أحلامها ما تسمى بضمها الآ ؟ لم تدرك .. لم تعد امرأة .. تحولت لشعيرة . لم تعد شأ سوى . شوة ! ورعها إلى قلبها ، وبدأ بها حبيبة في دراعيه . وجهها . فعبقت به في وجد وفي استسلام يأس . وخاص رأسها في الوسادة وقد عطف شفتها شفتيها !

٧٦

● حجب على حافة المراش وهي حتى وجهها راحيتها .
وسأله هل تؤيد حرمة ماء ؟

ميرث رأسها بالإحديب . « سار إلى عرض . فلا كواب وحلها إليها فثالا : « ها .. اشربي بعض الماء لتتفتي . ورفع الكوب إلى شفتيه فرشفت الماء . ثم حيفت فيه بعين مرتاعين . وكان يقف أمامها بصوت نغورها طرانه من أعلى قدمه . وفي عييه وميض ارضى عن النفس . وسأله . « أود رلت تربني كلاً قدرأ ؟ » . فعبقت بصرها وقادت : « أجل ، ولكنى أعرف أبى لست حيرت منك .. » . « ما أشد عاراً ! » .

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

والله اعلم

غرفة وواو المربعة في عتبة كماله كان موجوداً . م على « اسمهم ميم »
 حشمت صواب كان كسر نا مكتبي حشمتي في ثوب الحظيرة والأخيرة
 في ثوب الراف

ولم يثبت هذا من أحسن حذائيه. وقلت كئيباً ثم فمها
وهما يجمعان مدح في عناه. ومعهم. حفر لها أن في نوع الفرج
من المجهلة في ودين. وعنه. هي أن تشارك في الأجل. والمأمولات.
إذا لا وقت لها تصدعه.

وحدود، صنعت و قلم فقه، فلسفه و تئوری «نشری»
و قلم... و نشریات راجعه به نشری «حدود و قلم» و «نشری»
نویسندگان - ۱۸ -

منه هلا حنت له حجره الجهر من باله في حديث معص

الى حد مشعره

۱۔ اُستغفر اللہ کثرتاً من جہنم دُثُوق

والم حائل . بل لم تر احاد من آل محمد فيها كمال .
وتدعى تشدلى إلى معرفة عذ . ق . ولم تحسن . لشره ما بها تو قم
ان لا يستحق . وكنت تداريلن وجهها شديد الشحوص . . ان فيها
كان بعض من صرخة . لكنها واجهته في رقة والعدد تحلى في عيها .
وسأله . : ما الذي فيه ؟

سمعت من دم وروی آنک را حلقه در غده ، و قید شامی داشت

شف أن تأتي من هنا كبري نغزى مدعك ، ورايكي أن تفضل لك
تلفونيا نغزى مدعك ورايكي أن تفضل لك تأديتها ؟
لبي حدشاكرة ، ولكنني أضعف أن تؤدي لنفسك كل شيء .
هيا ، حجة ، فإنا لم نكن في حرج ، ورايكي حجة لأسماك
عندك ، كنت مبروك المصاحفي قد توفيت على ما حدثت لأفمن ؟
لبي كنت وودوروفي حجة ، ورايكي أن تفضل لك
أسماك طيفت كما

هـ ایس باغواب انصریح

وہا یہی کہ میں نے

ما شاء الله، يعني حب، فكتب أحب أن تصور أن أرى عملي
عبر مني قد دخلت إلى الرحل ١

وكانت تنفذ إلى حور الرصافة، وكانت من حظها إلى سفلها،
وإلا ما يعيها بعد على تسعة خلة من كركل، كان في الغنى عينا
بشر. وكانت ذات الحظ في روح وبشر، يحق فيها في ثلث أعين
الهيبة. حين.. ولكن.. أين هو أبوهم لا؟

ورفعت عيها من تشارلي قائلة : « احي اشعر بالصفحة . . .
وما ظنك تخسروني بقدر ما أحسرت نفسي ! »

- ولكني لا أخفرك ، بل تسببني إلى كظمه فذبحه بأذن ..
ما جدوى اصرار هك ؟! لست أدري لم لا تكون صديقي على ذم ..
لبي أكره أن تظن أبي أسأت معك ..

۱۔ لایتمی، شرف؟

بانتك انك لست حزين يا زكي ، وانا حزينه سكره
عمر معقود ، اريدك ليدرك انك لست وحدك ، حدي اذني
أفك وزاد مني ثوبه من عطفك ، فله حبي
شهر !

الآن نودعنا رثاء علي في أمية بحدود بحر
أورانس أو باب قورا من لالوة ارباب است وصور
مفتوح وقد استعملت في شمسك في مفتوح
لم جأ ، و في بيت مراء الكريمة الحرة ، لصدايقه
أخي أمير ، ثم كبر الناس قدس من دس عرش نيت سفا
إيت ، و الما حجة رمي في قعره ١٠٠ ذوات و حرك كريمة
عبيد شكل ابن لاسل بل و صده ١٠٠ من ملك كرا احسن
باني كبريا حوت شود ، صف كرا ح ١٠٠ زره اورا
ذرا صه ، و اكد حه و احقره ، و مديك الحن و نا ، و مديك
بنا حداث ، انجس باعاني بغير حق و حسن سمو !

ثم قال: «ان واسع امدني في البعده - كجئت بـ» «حج» الماء
بـ» «حج» الماء

بوسعك هذا ، ويخلق بك أن تنصرف الآن . بك وحسن
ومنه لا ريب له ، وإني لحقاه إذ أعددتك بهذه الخدية !

في هيئة لا يبحر جواباً . ورأت في عينه الزمراون سابعة نمت
عن نه دحبيب بها ، وأنه سوف يتقص الصلدا حين يودعها المرأة
الأحدة في أذنه وطرقة المألوس 1 وراق لها أن تفكر في الأدب
أو من سكره ده على حفره حين ينفذها مصباحه وحلة ممتعة .
لكنها لم عاد ما رأت أساوره تتغير ، ثم قال : ولقد أخبرني دوروني
أنت حبيب 2

وأحسنت بالدما، تتصاعد إلى وجهها، لكنها لم تدع خلجة فيها
تم حرى نازر، وقالت: «إني كذلك».

- أنزيلي... ألب؟

5. لا إله إلا الله وحده

بنت بازو و هی نصیط علی مخرج کلیتها بدافع لم تنو علی
تدبیر ، لکها کتت عسری - و غم فلک - و هی تکلم ، ان هذه
نست المیحه بذوق الإیمان

وقال وعلى فغيته ابتسامة وقة : « أوافقة أنت ؟ لانشي أنك
رفت إلى ووتر منذ عامين دون أن تجد سلا . ثم إن تاريخ علاقتنا
يسبق مع تاريخ الحمل .. لذلك أظن أن الآخر أحق لاهو أن الطفل مني
من ووتر ! »

أَوْ تَرَىٰ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسًا مِنْ أَنْفُسِكَ أَوْ تَرَ أَنَّكَ تَافِكُ مَعَ الْكَاذِبِينَ

٥٠ . دعى المذنب المارغ .. إني على العكس أمر جداً وأفخر
وأحب لو صكّنت بذنبا ، فأنا كما تعلمين لم أحب من ذنوبه .

على الرائحة اللاذعة التي تذكرت كئيباً أنها من المميزات الدائمة لخدع أمها ، ورائحة الثياب الحديثة الفلل ..

وكانت مسرّ جارسن مسحة على السرير ، وقد ثبت ذراعها على صدرها في دعة ما كانت لتصر عليها في حياتها . وبدت بقسماتها الدقيقة الواضحة ، وخديها العائرين من جراح المرض والألم ، وصديها الضامرين .. يدت مليحة ، بل ذات طلمة أخاذة ، فلقد جرد الموت وجهها من كل ضعة ، ولم يترك سوى طابع شخصيتها ، حتى لقد كان من الممكن أن تؤخذ على أنها إمبراطورة رومانية ١٩ وبدا لكئيب من الغريب أن تكون أمها هي الوحيدة - بين من رأت من موتى - التي لاح أن الموت قد ترك عليها سمة تتم عن أن هذا الجسد الذي خلق من طين كان يعمر يوماً بروح حية !

وما كان يوسعها أن تشعر بأسمى ، فلقد كان بينها وبين أمها من الضمائم ما لم يبق على شعور من الحب في قلبها ، وكانت إذا استرجعت أيام صباها ، أدركت أن أمها هي التي دفعتها إلى مصيرها الذي انتهت إليه .. سداً ، ما لبثت أن أحسّت نحر غامض ، هي تنرس في تلك المرأة الصعبة المراس ، المتسلطة ، الطموح ، التي وقفت في مسكون وسكنية وقد حط الموت كل أهدافها الحفيرة ! لقد قضت عمرها كله تدبر وترمم وتتأمر من أجل أهدافها ، وما اشتيت سوى كل وضيع تافه .. وحارت كئيباً وماءلت نفسها : أراها نطل من عالم

آخر - في جزع واستبشاع - على ما سلكت في حياتها الدنيوية من سلك رخيص ؟

وأقبلت دوريس ، فابتدت أختها : « لقد نوتت أن تأتي في هذا القطار .. وشعرت بأن لا بد لي من أن آتي لأتقي نظرة أخيرة .. ليس هذا بالمصاب الفظيع ؟ أو أه بألى الحبيبة المسكينة ! »

وانفجرت باكية وهي تلقى بنفسها في أحضان كئيب ، فقبلتها هذه .. كانت تدرك أن أمها أهلت دوريس من أجلها ، وكانت تبدل لها الجفاء لأنها كانت عادية الحال ، بليدة ، فساءلت نفسها : أحقاً كانت دوريس تشعر بالخزن البالغ الذي أظهرته الآن ؟ على أن دوريس كانت دائماً عاطفية ، سريعة التأثر .. وتمتت كئيباً لو استطاعت أن تبكي ، وإلا غشها دوريس فاسدة القلب غير أن كئيباً أحسّت أنها حاصت من شوائب ، لم تعد يستوعب معها أن يتطهر بخزن لا تحس به ! .. وسألت أختها حين خفت حلة بكائها : « هلا جئت لترى أباك ؟ » .. فحققت دوريس عينيها - ولا حظت كئيباً أن الحمل قد أصاب ملامحها بانتفاخ ، وأنها بدت في ثوبها الأسود ضخمته - مكبرة البطن - وأجابت دوريس : « لا .. ما أحسنى أريد أن أراه ، إذ لن أنمالك أن أبكي مرة أخرى . يا لهجور المسكين ، إنه يتحمل الصدمة في جلد رائع . »

وودعت كئيباً الذي الباب الخارجي للبيت ، ثم عادت إلى أبيها ، فإذا به يقف أمام المدفأة ، والصحيفة قد طويت بعناية - كأنما

أراد أن يظهرها من أمامها ، فراهها دوريس « لم تذهب لأمك ، ربما أضررتك ! »

٨٠

• وماذا بعد .. ؟ .. فاجدهم حاضرين يقضي إلى كئيب ياتق مرض وحده ورفاتها ، حديث عن عطف الأصدقاء ، عن كنه لينة - فندت أنه أبو - من سائل العزة عن مكانته وكان يفرق بين صبي وهو ذكر في مشقة ، عن أمها ، كما حدثها عن لإخوة ، عن صديقاتها ،

وعاد إلى مرضه ، كان في العروة وحيدة الصغيرة يدقاة ، وفي حركة أليه ، كان في عوده عيوبه ، شرع بحشوه شمع . لكنه ما لبث أن ، منه ما حدث ، ووضعته حذوا . فقالته : « أنت لست .. »

ثم ناس أمك حب ، أحسب بعد أمك ، كما نبي تخلت عن إخراجها ..

وحقق قلب كئيب أن أخرجها ، كان من نفعه أن يتردد رجل في روبرت عردي ، حين من غرفة مكتبه وفق هو .. فالتفت إليه : « أحب بكية أنتع » ورد ذلك حب على وجهه ندفة خفيفة من لأرتح . وماول عيوبه مرة أخرى فأشعله . وحسا كئيباً أنه لا حرج . إن حابي المدفأة ، وأحسن ألب ميل إلى أن يتحدث إلى كئيب عن مناعه ، فأحد شوب : « شكك تلقب المظلم الذي

أرسله أمك باسمك إلى دوريس .. لقد كان سأرة وولتر صدمة أجه لكل منا ، فقد كنت ، أم شاماً باح الدلف ..

لم يحرك كئيباً تعبيراً ، فاستطرد قائلاً : « فقد أسأني أمك بأني حارة .. »

أجل

- ومضى يتوقع أن يصي مولودك ؟
حلالاً فحة شوب ، ثم سأ

لشوب يكون سوى عظمة مث - يجب أن تدعي فكري

.. وهو من له فضل بطاش
وكما يستعد في كئيب ، وهو سوطاً ، كان ليسطر على حجر ما لو أمك كاعزير الشجرة ، وكان ، ولو كان غريباً ، فكان انشاقها لأول مرة ، وفصوله كسائر ألقاب الشوب . فأما ، فقد كان حارس فترك ، « كما أخرج من عدم لمدته » بهض بهضاً ، وكانت كئيباً قد أنماها ، لم تفعل ما يكسبها حب أمها ، لم تكن له لفظ عشار في بيت ، في صوره ، أكثر من أنه مكلف ناديك عيشة لشمه . س كان موضع هوان إلى حد ما ، لأنه لم يكن قد ألقى له في فركه ، من أمه ، مع رومك ، فقد كتب عدة مسلمات ، بعد كئيب ، كان كئيباً فخره في يومه ، لم يكن كئيب ، بعد أن تميت الأنا في ، حاسماً من شعور حوها ، لم يكن ما أن حمة من حاس ، لم يكن لم يسد ،

أنه هو الآخر كان يضيئ بين .. كان كريماً ، مغلوباً على أمره ، ولكن بعد النظر الذي أكسبها إياه الحزن والألم أوحى إليها بأنه كان في أعماقه بكرة بها ، وإن لم يتردد لنفسه بذلك ، وما كان يعترف به ! وسد التبغ غليونه ، فنهض يبحث عن شيء يسلكه به .. أو لعله كان ينتحل عنراً ليخفي انفعاله وهو يقول : « لقد رغبت أملك في أن تمكثي هنا حتى تضحي موتوك ، وكانت متمز أن تعد لك غرفتك القديمة » ..

— أجل .. وأنا أعدك بأن لن أزعجك أو أهمل عليك .

— آه ، ليس هذا ما حفظ به .. فقي الظروف القاتمة يكون الملجأ الوحيد الذي تلأوين إليه هو بيت أبيك ، ولكن في الواقع تلتقيت عرضاً لأتولى منصب رئيس نقابة جزر (جها) ، وقد قبلته ..

— أوأه يا أبت ، لاني جدمسورة .. أهنتك من كل قلبي !

— لقد تلتقيت العرض متأخراً فلم أجد فحة كي أنهي أملك ، إذ كان ولا بد كيلا بأن يرضيها كل الإرضاء .

الأمأمر خربة القدر ! قد ماتت مسرجارستان بعد طول الكفاح والتدبير وتغيير النفس ، دون أن تدري أن المطمع الذي بذلت من أجله كل هذا ، والذي تطور وأصابه التعديل عقب كل مرة من مرات الإخفاق السابقة .. قد تنقذ أخيراً !

ومضى الأب يقول : « لسوف أيجري أوائل الشهر القادم ، وسأعهد بهذا البيت — طبعاً — إلى أحد الباسرة ، فقد عزمت على

أن أبيع الأثاث . ويؤسفني أنني لن أملك أن أكفل لك إقامة هنا ، ولكنني سأمر غاية السرور بأن أمنحك ما شئت من الأثاث لتؤثني مسكناً لك .. »

وحذقت كيتي في نار المدعاة ، وقد تصارع وجيب قلبها .. كان من الغريب أن تشعر فجأة بانفعال طاع ، ولكنها لم تلبث أن غضبت نفسها على الكلام ، فساءلت بصوت متهدج : « أو لا أستطيع أن أحبك يا أبي ؟ »

فقفر فاه ، وهتف : « أنت ؟ أوه يا كيتي .. يا ابنتي العزيزة ! » . وما كانت قد صمت هذا النداء كثيراً ، حتى لقد خالته لأول وهلة عبارة عادية .. لكنها لم تلبث أن رأت مدلوله قد صلب بحيث أذهلها .. فقد استطرد أبوها : « لكن كل أسدناك هنا ، ودوريس كذلك .. لقد خيل لي أنك ستكونين أسد حلالاً لو أنك أعيددت لنفسك مسكناً في لندن . لست أدرى ظروفك تماماً ، ولكنني مستعد — بسرور تام — لأن أدفع عنك أجرة المسكن .. »

— إن لدى من المال ما يكفي لأن يقيم أودي ..
— لكنني سوف أذهب إلى مكان غريب ، لا أعرف شيئاً عن ظروفه وأحواله ..

— لقد اعتدلت الأماكن الغريبة ، فلم تعد لندن عندي أية قيمة .. بل ابني لا أكاد أنفسي هنا .

وأعوض عيني لحظة خيل إليها خلاصاً أنه يوشك أن ييكني ،

— ولكنك مخبر .. ابني لا أظالك بشيء لأنك أني ، فانت غير مدلين في بشي ..

— أوأه ، يا مطلقتي العزيزة ..

فرددت ما قاله : « لست مدلين في بشي .. إن قلبي لينقلد الأمي كلما فكرت كيف أننا كنا نزهك استقلالاً دون أن نمنحك شيئاً في مقابل ذلك .. حتى ، ولا قليلاً من العطف .. أعشى أنك لم تنم بحياة سعيدة حقاً ، فهلا تعب أن تبيع في الفرصة كي أعوضك بجزء مما أخضقت في عمله في الماضي ؟ »

عبس قلبها ، وقد حيرته فوريتها العاطفية ، ثم قال : « لست أفقه ما تعين ، فاعانتي يوماً ما يدعوني للشكوى منك .. »

— أوأه يا أبت ، إلى قد خضت الكثير من المحن ، وعرفت الآلام ، ولم أكن سعيدة .. لاني لست « كيتي » التي كتبها حين رحلت أول مرة .. ابني ضعيفة إلى أقصى حد ، لكني لا أحسبني تلك الرعاه النافعة التي كتبها من قبل .. ألا تبيع لي فرصة ؟ لم يعد لي الآن في الحياة سواك ، فهلا تركتني أسعى كي أحبك على حيي .. ؟

أوأه يا أبت ، ابني وحيدة وتعيبة ، وفي أشد الحاجة إلى حيك ! ودفت وجهها في حجره وانقرطت في اليكاه ، فكأنها كان قلبها ينفث ! فراح يغمغم : « أوأه يا كيتي .. يا ابنتي .. يا صغيرتي كيتي ! »

ورفعت بصرها إليه ، ثم طرقت عتف بدماعها وهتفت :

تقد انمكست على وجهه أجلى مظاهر النعاسة ، مما حقق معه قلبها إنشاقاً عليه .. إنها كانت على صواب حين حدثت أن وفاة زوجته قد ملأت قلبه ارتياحاً ، إذ حالت له الفرصة كي يقطع ما بينه وبين الماضي تماماً ، ويحظى بالحرية .. ولقد رأى أمامه الآن حياة جديدة تنفتح ، وتبدت له أخيراً — وبعد هذه السنوات الطوال — ووى الراحة ، وسراب المناء .. فخيّل إلى كيتي كأنها ترى وتلمس — في شيء من الغموض — كل الآلام التي ظلت تضحي فزاده ثلاثين عاماً ! وفتح عيني أخيراً ، ولم يملك زفرة أفلتت منه .. ثم قال :

« إذا كنت رغبة في القلوم ، فسوف يكون هذا بالطبع من دواعي سروري .. »

وأحسبت يرتاء له .. كانت الحركة قصيرة ، وقد انسطر للاستسلام لشعوره بالواجب .. وودع — بهذه الكلمات — كل آماله ، فنهضت عن مقدمها وسارت إليه ، وركعت أمامه ممسكة بيديه ، وقالت : « لا ، يا أبت .. لن آتي ما لم تكن راعاً في ذلك .. إنك قد ضحيت بما فيه الكفاية ، لأن كنت راعياً في الرحيل وحده ، فأرحل ، ولا تفكر في أمرى دقيقة واحدة .. »

فخلص إحدى يديه منها ليرت وأمسأ الرشيق ، وقال : « بل ابني أريدك طبعاً يا عزيزي .. ولا تنسني أبني — رغم كل شيء — أبوك ، وألك أرملة ، ووحيدة .. فإن شئت أن تكوئي معي ، فن الوجود حقاً أن لا أكون راعياً في صحبتك .. »

« أوامه يا أبت ١ ترقى في .. دعنا نقابل العطف والإشفاق »
 قطع قلبه على شفتيه ، كما لو كان عاشقاً ، وقد بليت دموعها
 عليه .. وقال : « لسوف تأتيين معي بالتأكيد » .

— هل تريدني ؟ .. هل أنت حقاً راقب في أن أذهب معك ؟
 — أجعل ..

— لقد ما أنا شاكرة لك هذا الصنيع ..

— أوامه يا عزيزتي .. لا تقولي لي مثل هذه العبارات ، فإني

تبحث في نفسي حرجاً ..

وتناول مندبلة فجفت عينيها ، وايقسم كما لم تره يقسم من قبل
 .. ومرة أخرى طوقت عنقه بذراعيها وقالت : « لكم تسعد معاً يا أبي
 العزيز .. سترى أية بهجة ستخطي بها معاً » .

— ما أحبك نيت أنك حامل ؟ ..

— بل يصرني أن الطفلة ستولد هناك ، على مسمع من تكسر

أمواج البحر ، وتحت سماء زرقاء صافية ..

فدغم وعلى شفتيه ابتسامته اللطيفة : « هل حككت على جنبها
 من الآن ؟ » .

— إنني أريدها بنتاً ، إذ أريد أن أنشئها على أن لا ترتكب
 ما ارتكبت من أخطاء .. إنني أكره نفسي كلما استرجعت الذكريات
 وتاملت أي بنت كنت .. على أي لم أجده الفرصة لأصلح من نفسي ،
 ومن ثم فسأربي ابنتي على أن تكون حرة ، قادرة على أن تستوي

وتستقر على قدميها .. لن ألد بنتاً إلى هذا الوجود وأحبها وأريها
 لغيره أن يأتي يوم تنفوق فيه نفس رجل إلى أن يضطجع معها ، فيقبل
 في سبيل إشباع رغبته أن يكفل لها المأوى والعيش بقية عمرها .. !
 وأست يا أعصاب أبيها تتوتر ، فما تحدث أبداً في مثل هذه
 الأمور ، ومن ثم أذهله أن يسمع هذه الكلمات تنبعث من فم ابنته ..
 على أنها استطودت قائلة : « دعني أنطلق بهراحة هذه المرة فحسب
 يا أبت .. لقد كنت رهائاً ، مفودة ، بغيضة ، لكنني تلميت أشع
 عقاب .. لذلك عذبت العزم على أن أجنب ابنتي كل هذا .. أريدها
 أن تشب صريحة ، متحررة من الخوف .. أريدها شخصية مستقلة
 عن سواها ، لأنها الوحيدة التي ستبطل على قياد نفسها .. وأريدها
 على أن تأخذ الحياة كما يأخذها أي إنسان حر ، وأن تجعل منها مهمة
 أفضل مما جعلتها أمّا !

— ما هذا يا حبيبي ؟ إنك تتكلمين كما لو كنت في الخمسين ،
 في حين أن العمر لا يزال ينمّش أمامك .. لا ينبغي أن تثقل المتاعب
 قلبك ..

فهزت كيتي رأسها وابتسمت في نودة قائلة : « لست كذلك ،
 بل إن لدى أملاً وشجاعة » .

لقد انتهى الماضي ، قلع المرق يدفون موتاهم .. فهل في هذا
 وجود وقوة قلب ؟ إنها لتتني بكل قلبها أن تكون قد تملت الرأفة
 والإحسان .. وما كانت لتدري ما يدخره المستقبل لها ، لكنها

أحست في نفسها القوة على أن تتقبل كل ما يأتيها به ، بروح خفيفة ،
 مبتهجة : : وفجأة ، لغير ما مبرر تدريبه ، انبعثت من أعماق عقلها
 الباطن رؤى من ذكرى الرحلة التي قاما بها معاً - هي وولتر المسكين -
 إلى المدينة الموبوءة التي لقي فيها حتفه : : في ذات صباح ، استأنفا
 السفر ولا يزال الظلام مسيطراً على الكون . وفيما كانت أضواء النهار
 تنبثق ، تملئت - وكأنها ترى خلال حجب المجهول - منظرًا يملك
 على المرء مشاعره ، حتى لقد أحست بأن هموم قلبها قد انمحت لفترة
 وجيزة ! منظرًا كان جماله خليقاً بأن يزرى بكل بلايا البشر ، فتبدو
 توافقه لا قيمة لها ولا معنى : فقد أشرقت الشمس ، فبددت
 الضباب : : وإذا الطريق التي كانوا يسلكونها تتغلغل متعرجة ،
 ملتوية ، إلى أقصى مرامي البصر ، خلال حقول الأرز ، ثم تجتاز
 نهراً صغيراً ، وتوغل خلال الريف الذي بدا كروى متناوجة من
 نور ! فلعل الأخطاء والخطايا والشقوق التي عانتها كيتي لم تكن عبثاً ،
 إذا هي استطاعت أن تسلك الدرب الذي يلوح الآن غير واضح
 أمامها : : لا الدرب الذي تحدث عنه « وادينجتن » الطيب الفكه ،
 والذي لا يقضى إلى غاية ، وإنما : : الدرب الذي سلكته راهبات
 الدير العزيزات في تواضع وخشوع ، وإنكار للذات : : الدرب الذي
 يقضى إلى السكينة ، والطمأنينة ، والسلام !

[تم الكتاب بمحمد الله]

٤٣٧٩

رقم الإيداع : ٩٧٧ - ١٩٢ - ٨٠ - ٦



مطبوعات كتابي إصدار جديد

عزيزى القارئ ..

الرواية الممتعة التى تقرأ ترجمتها الكاملة الأمينة فى هذا الكتاب الذى بين يديك ،
تعد من أشهر ما كتب الروائى البريطانى المشهور « سومرست موم » وقد جعل
عنوانها بالانجليزية **THE PAINTED VEIL** وترجمته الحرفية (القناع
الملون) أو قناع الأوهام كما أطلق عليه حين أخرجت الرواية للسينما العالمية ،
لأول مرة عام ١٩٣٤ ، وقد انتجتها يومئذ
أكبر شركات هوليوود (مترو جولدوين
ماير) ، وأنت يطولتها النمسائية أشهر
ممثلات السينما فى تلك الحقبة ، النجمة
السويدية الأصل « جريتا جاربو » ،
وأدى دور البطولة أمامها فى ذلك الفيلم
النجم المعروف « هيرت مارشان » ،
يشاركه فى الدور الثانى زميله القدير
« جورج برنت » ، وقد أغرى النجاح
الأسطورى للفيلم ، الشركة المنتجة ،
بإنتاجه مرة أخرى عام ١٩٥٧ تحت اسم
آخر هو « الخطيئة السابعة » ، ومثلته
فى المرة الثانية النجمة الأمريكية
« إليانور باركر » ، بالاشتراك مع
النجمين الكبيرين « جان بول آدمون »
و « جورج ساندروز »
والآن أتركك لتستمع بقراءة هذه
الرواية الرائعة بنصها الكامل ..



علمى مراد

